نحو ثقافة إسلامية

أ.د. مصطفى رجب
عميد كلية التربية بسوهاج

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ ش مصطفى طموم - المنيل - القاهرة
ت : ٣٦٥٥٤٨٧

نحو ثقافة إسلامية

أ.د. مصطفي رجب
عميد كلية التربية بسوهاج

الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ ش مصطفى طموم - المنيل - القاهرة
ت: ٣٦٥٥٤٨٧



رقم الإيداع ١٤٥٤٦ / ٩٨
الترقيم الدولى X-16- 5841- 977

مقدمة

هذه مقالات نشر معظمها فى الصحف والمجلات الإسلامية الرفيعة المستوى، جمعتها فى هذا الكتاب لما رأيت فى جمعها من فائدة تعود على المسلم العادى ـ غير المتخصص ـ من خلال معرفته بكثير من أمور دينه، وهى تجمع بين شمولية المعرفة وبساطة التناول وتيسير لغة الكتب القديمة ليسهل على القارىء العصرى إدراك ما ينبغى من حاجة إلى الثقافة الإسلامية. وقد قسمت الكتاب إلى خمسة أقسام يراها القارىء مفصلة فى فهرست الكتاب.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعنا به يوم لاينفع ولايتون.

والله ولى التوفيق، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضى الله عن صحابته إنه سميع مجيب.

سوهاج فى ١٩٩٨/٩/١

أ.د. مصطفى رجب
عميد كلية التربية بسوهاج

القسم الأول

دراسات قرآنية

القرآن الكريم مصدراً للفكر التربوى

يعد القران الكريم المصدر الاول لجوانب الفكر المختلفة على مر العصور، لذك نجد المسلمين قد جعلوه أصلا أساسيا من اصول التعليم فى كل قطر من الأقطار الاسلامية. ويقول ابن خلدون فى بيان الهدف من اتفاق الاقطار الاسلامية على اتخاد القران الكريم أصلا من أصول التعليم«ان الغاية من ذلك الوصول بالوليد الى رسوخ العقائد الإيمانية، وغرس أصول الأخلاق الكريمة عن طريق الدين الذى جاءمهذبا للنفوس، مقوماً للأخلاق باعثا على الخير» ،

وذلك لان القران ينفرد عن سائر الكتب السماوية بخصائص متميزة يمكن إجمالها فيما يلى:

(١) إنه نزل باللغة العربية، جاء ذلك صريحاً فى، قوله تعالى نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (الشعراء/ ١٩٢ -١٩٥).

(٢) أنه نقل إلى المسلمين بطريق التواتر الذى يفيد القطع واليقين بصحة نقله وثبوته، وفى ذلك يقول المولى عز وجل إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ (الحجر/ ٩).

(٣) أنه جاء شاملاً للدعوة إلى التوحيد، والتشريع لحياة الناس، واحتوى إلى جانب ذلك على قصص الأمم السابقة. ولم يشتمل كتاب سماوى سابق على هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة فى إطار واحد يهدف إلى غاية واحدة هى: الهداية كما هو الحال فى القرآن الكريم

وفى السطور القادمة نوضح بعض الجوانب التربوية فى القران الكريم، وذلك لاننا إذا اردنا ان نتناول كل الجوانب التربوية فى القران الكريم فذلك يحتاج الى دراسات كاملة .

(١) القران وحماية حقوق الطفل:

الطفل هو حجر الزاوية فى أى مجتمع من المجتمعات ، ولكن لكى ينشأ هذا الطفل تنشئة سليمة، يجب على المجتمع أن يحفظ له حقوقه، ونجد أن القران الكريم يعد من أكثر الكتب السماوية أهتماما بحقوق الطفل، وذلك فى جوانب عديدة: العمل على صيانة ارواح الاطفال،منع وأذ البنات الذى كان سائدافى الجاهلية قبل ظهور الاسلام «حقوق اليتامى» حق الطفل فى الرضاعة ...الخ.

ففى منع قتل الاطفال بسبب الفقر يقول المولى عز وجل ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ (الاسراء -٣١) .

- وفى وأد البنات يقول تعالى «وإذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت» (التكوير: ٨،٩) .
- وفى حق الطفل فى الرضاعة يقول المولى عز وجل«والولدان يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد ار يتم الرضاعة ...وأن أردتم آن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم أذا سامتم ما آتيتم بالمعروف وأتقو اللة وأعلموا أن اللة بما تعملون بصيرا » (البقرة -٢٣٣) .
- وفى حق الطفل اليتيم يقول تعالى « ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خيرا وأن تخالطوهم فأخوانكم ..» (البقرة ٢٢) .

- «ألم يجدك يتيما فآوى.. فأما اليتيم فلا تقهر (الضحى ٦، ٩).
- «أرأيت الذى يكذب بالدين ،فـذلك الذى يد ع اليـتـيم »(الماعـون ١,٢).

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليستقوا اللة وليقولوا قولا سديدا ، أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا» ((النساء : ٩، ١٠) .مما سبق يتضح أن القران الكريم أكتم بالطفل واعطاة حقوقا ينبغى علينا الالتزام بها ، وادا طبقنا ذلك في مجال التربية نجد انة ينبغى علينا أن نتعرف عبى حقوق الطفل فى التعليم واحترام حريتة والتعرف عل قدراتة

(٢) القران واحترام عقل الانسان :

لقد كرم الله سبحانه وتعالى االانسان وفضله على سائر مخلوقاتة،ولقد اشاد القران الكريم بعقل الانسان وثقتة بة وعرف الانسان بنفسة وحللها لة، والذى ينبغى أن نؤكد علية ان التنوية بلع قل على اختلاف خصائصة لم يأت فى القران الكريم عرضا، ولا من قبيل التكرار المعاد، بل كان هذا التنوية بالعقل نتيجة منتظرة يسلزمها لباب التربية الاسلامية وجوهرها، ويترقبها منها كل من عرف حقيقة الدين الاسلامى وعرف حقيقة الانسان فى تقديرة، فالدين الاسلامى لايعرف الكهانة ولايتوسط فية السدنة والاحبار بين المخلوق والخالق ولايفرض على الانسان قربانا يسعى بة الى المحراب بشفاعة من ولى متسلط او صاحب قداسة مطاع، فلا ترجمان فية لبن اللة وعبادة يملك التحريم والتحليل وفيما يلى بعض النصوص القرانية التى توضح ذلك:

يقول تعالى:

«إن فى ذلك لذكريلمن كان لة قلب (ق:٣٧)»،والقلب هنا يعنى العقل.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ المائدة:١٠٠» ،أى اصحاب العقول.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم ٢٨).

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣).

وقد عرض القرانَ الكريم قضية التوحيد وقضية الايمان الغيبيبى بشكل عقلانى بحت حين تسأل عن موقف الكفار من العقيدة الاسلامية مع إن لهم عقولا لم يستخدموها فى النظر الى مسألة الوحدانية وكيفية تعدد الالهة من وجهة نظر العقل الانسانى مدعاة الى فساد الادارة وهو مالم يحدث فى هدذا الكون المتسع، كما أن القران تحدث كثيرا عن ضرورة العقل فى تأمل حقائق الكون الطبيعية.

مما سبق يتضح ان القران الكريم المنزل من عند اللة سحانة وتعالى قد احترم عقلية الانسان وذلك أساس تربوى فى غاية الاهمية ،فيجب علينا فى الحقل التربوى احترام عقلية المتعلم ،وذلك من خلال مانقدمة لة من معلومات، والا نحجر على عقلية المتعلم لان فى ذلك أذلالاومهانة لشخصيتة.

(٣) القران والحث على التعليم والتعلم

بحث القران الكريم الانسان على التعليم والتعلم والصبر على طلب العلم وإحتمال المشقاتفى دلك الطلب، والحث على دوام الاستمرار فى

الاطلاع، كذلك يحثنا القران الكريم على ذلك لكى يستطيع الانسان دراسة ما فى الكون من مظاهر متعددة ومعرفة الصالح منها والطالح حتى يمكننة العيش فى الحياة الدنيا سعيدا معززا وحتى يفوز بالحياة الاخرة ، التى هى خير وابقى .

وهناك الكثير من النصوص القرانية التى توضح ذلك حيث يقول تعاليك

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

((سبأ: ٦)

«سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى لتبين لهم أنة الحق ..» (فصلت: ٥٣)

وفى الارض ايات للموقنينو، وفى انفسكم أفلا تبصرون» ((الذاريات: ٢٠- ٢١.

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت، والى السماء كيف رفعت، والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت» (الغاشية: ١٧_٢٠).

أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار، والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس وماأنزل اللة من ماء فأحيا بة الارض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون» (البقرة: ١٦٤) .

والحكمة من الايات السابقة هى حرص القران الكريم على عدم الاعتماد على الفطرة وحدها فى الاعتراف بالخالق، ومن ثم فهو يحرك

فى نفوس الناس الشوق للدراسة وطلب العلم، فيشير الى ما فى السموات من نظام بديع وإختلاف الليل والنهار وحركت الارض وغير ذلك من دقائق الكون واسرارة، مما لايدع مجالا للعقل بأنة نشأ عن المصادفة والاتفاق أو أنة نشآ من موجود غير شامل القدرة والعلم .وغير واسع الحكمة بل يضطرة الى البحث والجزم بأن قوة مدبرة حكيمة محيطة بالاشياء احاطة تامة هى التى نظمت ذلك الكون وخلفت هذة السنن، وأن إتباع إشارات القران الكريم واوامرة تجعل من الخير كلة للمسلم أن يسبح بعقلة فى هذا الوجود وآن يطلب المعرفة لادراك حقيقة السموات والارض والاحاطة بهذا النظام الباهر وهذة المعارف التى تزيد ايمان المؤمن وتطوئن قلبة .كذلك نجد الدين الاسلامى دين علم ونور لا دين جهالج وظلمة فأول اية نزل بها الوحى فيها أمر للرسول «ص» بالقراءة وتكرير لذلك الامر، وتنوية بشأن العلم والتعليم وذلك نلمسة من إسناد المولى عز وجل التعليم الى نفسة فى قولة تعالى:

«آقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، آقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم» (العلق: ١ –٥).

ففى هذة الايات الكريمة نوة الى القراءة والتعلم، وأن منقدر على خلق الانسان من آصل ضعيف لقادر على تعليمة الكتابة ليضبط بها العلوم ويتم بها التفاهم ويعلمة مالم يكن يعلمة من العلوم والاداب واسرار العلم، ومالم يكن يخطر ببالة، ويلهمة أشياء كا كان يعرف عنها شيئا، ويوحى الية أمورا لم تخطر ببالة .

أيضا نجد الاسلام يأمر بنشر العلم وعدم كتمانة،وفى عقاب من يكتم العلم يقول عز وجل « أن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات

والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب،أولئك يلعنهم اللة، ويلعنهم اللاعنون» (١٥٩).

كذلك ند الاسلام قد شجع على الاستمرار فى البحث والاطلاع وطلب العلم بجانب نشره، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام:

«وقل رب زدنى علما» (طه: ١١٤).

ومن هذه الايات يمكن القول بأن الله سبحانه وتعالى بعلمه المسبق علم أنه سيأتى قوم ف يفترة من الزمان ويقولون أن الاسلام ضد العلم والبحث العلمى.

فالله سبحانه وتعالى قد أنزل هذه الاية على لقمان رسوله الكريم حتى نستطيع أن نرد على هذه الافتراءات ونقول لهم «لو أن الاسلام ضد العلم والبحث العلمى ما أمر الله نبيه بأن يدعوه ليزيده علما على علم وفهما عل فهم، هذا بالإضافة الى ما تتضمنه الاية من اشارات أخرى كالحث على التعلم المستمر والتواضع فى طلب العلم.

مما سبق يتضح أن القرأن الكريم يحث على التعليم والتعلم والاستمرار فى طلب العلم والحرص على نشره، لذلك يجب علينا أن نلجأ الى القرآنا الكريم ونستفيد به فى مجال تربية ا لنشىء للتربية الاسلامية الصحيجة، فلقد آن الآوان أن نتخلص من ذلك الفكر الغريب الذى لا يهدف الا لهدم الاسلام والمسلمين وذلك عن طريق ما يبثه من أفكار تربوية قد لا تتناسب مع عقيدتنا وظروفنا.

وللاسف نجد أن بعض مفكرينا وكتابنا يقعون فى ذلك الخطأ

الجسيم عندما يريدون الكتابة فى موضوع كالتربية أو التعليم المستمر نجدهم يلجأون الى ما ترجم عن الغربيين فى ذلك المجال ولا يرجعون الى تراثنا الاسلامى الذى لم يترك أى مجال من مجالات العلم الا وتحدث عنها وخصائص وأسس البحث فيه وفائدته.. الخ.

(٤) مكانة العلماء فى القرآن:

لقد عظم القرآن العظيم لأنهم ورثه الأنبياء والمسئولون عن نشر العلم بين أفراد المجتمع، حتى يتعرف الانسان عل دينه وقواعد، ..ا لخ. وتلك الأشياء التى بمعرفتها يفوز الانسان برضاء الله فى ال حياة الدنيا والاخرة.

ونظرا لثقل المسئولية الملقاه على عاتق العلماء، فلقد كرمهمالله سبحانه وتعالى فى نصوص كثيرة من القرأن الكريم منها:

«شهد الله أنه لاالهِ إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط» (٠آل عمران: ١٨).

فى هذه الاية نجد المولى عز وجل بد بدأ بنفسه ثم الملائكة ثم أهل العلم. فهل هناك منزله اسمى من هذه المنزله؟

كذلك قوله تعالى:

«هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (الزمر: ٩).

يوضح الموالى عز وجل فيهذه الاية بصورة الستفهامية انه لايستوى كل من العالم والجاهل ـ المتعلم الأمى ـ العلماء وأنصاف المتعلمين ـ العلماء الذين يعملون بعلمهم مع العلماء الذين لايعملون بعلمهم.

فالعالم الذى لا يعمل بعلمه كالجاهل تماما بل يقع عليه وزر لانه كتم العلم الذى علمه له الله سبحانه وتعالى، وفى هؤلاء يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩).

«وتلك الأمثال نضربها لِلنَّاسِ وما يعقلها الا العالمون» (العنكبوت: ٤٣).

وفى هذه الأية يوضح المولى عز وجل أنه يضرب الامثال لناس حتى تقرب المعنى إل أذهانهم. ومع ذلك لهذه الامثال لايفهمها ولا يدرك معناها الا العلماء.

كذلك يقول تعالى:

«إنما يخشى الله من عباده العلماء» (فاطر: ٢٨).

فالعالم هو الذى يخاف الله ويخشاه أما الذى لا يخاف الله ولا يخشاه فليس بعالم.

أيضا يقول تعالى:

«يرفع الله الذى آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» (المجادلة: ١١).

ففى هذه الآية يمدح المولى عز وجل العلماء، ويوضح أنالرفعة عنده بالايمان والعلملا بالغنى والمال.

هذه مكاه العلماء كما يصورها القرآن الكريم، لذلك ينبغى أن نعمل فى الحقل التربوى المناهج الدراسية التى تقرر عليهم.

(٥) أخلاق العلماء كما يصورها القرآن الكريم:

الى جانب المكانبةج الرفيقة التى أعطاها الله سبحانه وتعالى للعلماء، نجده سبحانه وتعالى يوضح أنه ينبغى على العلماء الالتزام بالقيم الخلقية التى يفرضها العلم على أهله. ولذلك فإننا فى السطور القادمة نتناول زهم الفضا يجب أن يتحلى بها أهل العلم:

(١) الامانة العلمية:

تعد الامانة العلمية أولى الفضائل التى يجب أن يتحلى بها رجل العلم فهى من لوازم الايمان، فلا ايمان لمن لا أمانة له.

وفى ذلك يقول المولى عز وجل فى كتابه الكريم:

«والذين هم لأماناتكم وعهدهم راعون» (المؤمنون: ٨).

« يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون» (آل عمران: ٧١).

كذلك يقول تعالى:

«وإن منهم لفريقا **يلوون** ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون، ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول اللناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانسين بما كنتم تعلمون الكتاب ربما كنتم تدرسون» (آل عمران ٧٨ ـ ٧٩).

هذه بعض الآيات القرأنية التى تدل على ما ينبغى أنى تحلى به رجل العلم من أمانة علمية، وإذا نظرنا الى الواقع الحالى نجد هناك أناسا لا يلتمزمون بهذا المبدأ وذلك عن طريق قيامهم بأخذ بعض الأفكار من

الغير ونسبها الى أنفسهم، فأين الأمانة العلمية إذن؟ كذلك نجد من هو ضعيف الايمان ويستغل علمه لتحقيق مصالح شخصية.

(٢) التواضع:

من أخلاق العلماء اللاواضع، فالعالم الحق لايركبه العزور ولايستبد به االعجب، لانه يدرك بيقين أن العلم بحر لا شطآن له ولايصل أحد الى قراره. فخير له أن يتواضع حتى يزيده الله من علمه، ومهما يبلغ العالم من العلم فإن ذلك لايمثل الا القليل مما عند المولى عز وجل، وفى ذلك يقول تعالى:

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (الاسراء: ٨٥).

(٣) الشعور بالمسئولية:

من الصفات التى يجب أن يتحلى بها العالم الشعور بالمسؤولية الملقاه على عاتقهم أمام اللهعز وجل، فإنه يكون مسؤولاً امامه عن علمه الذى آتاه اياه.

كذلك على العالم أن يدرك أنه كلما زاد علمه، زادت المسئولية الملقاة على عاتفه. وتتمثل هذه المسؤولية فى وجوب تشر العلم وتوعية الناس بحقوقهم وواجباتهم الشرعية. وأوامر الله تعالى ونواهيه.

وفى ذلك يقول الملى عز وجل:

«فلولا نفر من كل منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولنيذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون» (التوبة: ١٢٢).

(٤) العفة:

بتعين على العالم أن يكون عفيفا، تلك العفة التى تنهاه عن الوقوع

فى أشياء لايرضى عنها المولى عز وجل ـ بمعنى أنه يستغل علمه فى غير أغراضه الأساسية. ومن أمثلة ذلك أن يتخذ العلم وسيلة لجلب المال، أو ما شابه ذلك من أغراض تنافى قدسية العلم.

وفى ذلك يقول تعالى:

«يأأيها الذين آمنوا إن كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله» (التوبة: ٣٤).

(٥) العزة:

والعزة من أخص فضائل المؤمنين، ونظرا لان العلماء هم صفوة المؤمنين فينبغى لهم أ ن يتحلوا بهذه الفضيلة، والعزة هنا ليست لفظاً مرادفاً للغرور والكبر والعجب، انما هى عزة فى مواجهة المتكبرين والمتعالين.

وفى ذلك يقول المولى عز وجل.

«ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» (المنافقون: ٨).

وهذه العزة تطلب من من المولى عز وجل ولا تطلب من الناس أو الحكام أو السلاطين. ومعنى العزة أن تشعر العلم بأنه صاحب رسالة مقدسة فلا يتدنى ولايبتذل نفسه ويهينها ولايسلك مسلكاً يصنعه موضع التهكم والازدراء والذلة.

ولذلك يقول المولى عز وجل:

«من كان يريد العزة فالله العزة جميعا» (فاطر/ ١٠).

(٦) الحرص على نشر العلم:

من أخلاقيات العلماء الحرص على نشر العلم وتبليغه للناس، فلا خير فى علم يكتم وانما جعل العلم لينشر.

ولذلك نجد المولى عز وجل يحذر من كتمان العلم فيقول:

«إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يعلنهم الله ويلعنهم اللاعنون» (البقرة: ١٥٩).

كذلك يقول تعالى:

«وإذ أخذ الله ميثاق الذى أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ورلاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهمواشترا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون» (آل عمران/ ١٨٧).

فنشر العلم وإذا عنه بين المحتاجين إليه هى غاية الغايات ومنتهى رسالة العلم. ومن ثم فهو محاسب علينشر علمه بين الناس وليستوجب اللعنة كما ر فى آية البقرة (١٥٩) إذا قصر فى هذه الرسالة. غير أن لنشر العلم آداباً وشروطاً فصلها التربويون العرب المسلمون القدامى كأبى حامد الغزالى وأبى طاهر الجيطالى وابن الأأكفانى وغيرهم ويمكن مراجعتها فى مؤلفاتهم.

(٧) العمل بمقضى العلم:

من أبرز أخلاقيات العلماء التى يجب أن يتحلوا بها العمل طبقاً لما يعلمون، وذلك لأنهم قدوة لغيرهم من الناس فإذا قالوا ولم بفعلوا كانوا قدوة سيئة.

ونجد المولى عز وجل يحدثنا عن موقف الذين لايعملون بعلمهم فيقول:

«يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عندا لله أن تقولوا ما لاتفعلون» (الصف: ٢ ـ ٣).

كذلك ما أنكره القرآن على بنى اسرائيل حين قال:

«أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» (البقرة: ٤٤).

هذه بعض أخلاقيات العلماء وواجباتهم كما يصورها القرآنالكريم والتى ينبغى التحلى بها. لكل من تاه الله قسطاً من العلم قل أو كثر.

(٦) القرأن والعدل:

والعدل هو الاحترام التام لحقوق الناس واعطاء كل ذى حق حقه، وذلك ما قرره المولى عز وجل فى كتابه العزيز فنجده يقول:

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (المائدة: ٨).

كذلك يقول تعالى:

«يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء للهولوعلى أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أوفقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا..» (النساء: ١٣٥).

وواضح من النص السابق أن العدل المطلق بأوسع معانيه هو مايدل عليه كتاب الله عز وجل.

وبترتب على العدل مايسمى فى التربية «بمبدأ تكافؤ الفرص» وهو أن يعطى كل فرد من أفراد المجتمع من الحقوق ما يتفق مع مواهبه واستعداداته. كما يترتب على مبدأ العدل أن يكون سلوك المعلم فى إدارة

الفصل الدراسى وسلوكه فى معاملة طلابه مبنياً على الحيدة والنزاهة والعدالة فى معاملة المتعلمين وتوجيههم وتربيتهم.

(٧) القرأن والحث على العمل:

يدعو القرأن الكريم الى العلم المنتج لخيرى الدنيا والاخرة، وبحث على الأخذ بأسباب القوة الصناعية والاقتصادية والاجتماعية من علم وتكنولوجيا.. الخ.

ونلاحظ أن المولى عز وجل دائما يقرن الايمان بالعمل الصالح. ولذلك نجده يقول:

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكن ورسوله والمومنون» (التوبة: ١٠٥).

إن الله لايضع أجر من أحسن عملا» (الكهف/ ٣٠).

«فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله» (الجمعة: ١٠).

مما سبق يتضح أن القرآن الكريم يدعو الى العمل المنتج الذى فيه خير المجتمع لذلك يجب علينا أن نعمل على تدريب القوى البشرية والعنابة بها حتى نستطيع أن نرتفع بمستوى المعيشة فى جميع جوانبها، وذلك يكون عن طريق الاهتمام بالتربية السليمة القائمة على العمل، وليست التربية القائمة على الحفظ والتكرار.

ونود أن نوضح فى السطور القادمة مافى القصص القرآنى من دروس تربوية، فالقصص القرآنى يعد مصدراً عذبا وهاما للتربية.

وفى ذلك يقول المولى عز وجل:

«لقد كان فى قصصهم عبرة لا ولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (يوسف: ١١١).

ولنا فى قصة يوسف الكثير من الدروس التربوية منها:

الدرس الأول:

وهو وجوب عدم التفرقة بين الأولاد فى المعاملة حتى لايورثهم ذلك الحقد والكراهية بعضهم لبعض.

وهنا يقول المولى عز وجلك

«ليوسف وأخوه أحب إل أبينا منا ونحن عصبه أن أبانا لفى ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين». (يوسف: ٨ ـ ٩).

من ذلك النص الكريم نستطيع أن نوجه النصيحة إلى الاباء بعدم التفرقة بين الابناء فى المعاملة، وذلك من خلال ما تقومب ه المؤسسات التربوية من اجتماعات للاباء.

الدرس الثانى:

وهو درس الصبر، فنجد أن سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا الصالة والسلام يصبر على محنه «الجب» ومحنة «الاسترقاق» ومحنة «السجن» وأبوه من ورائه يصبر على محنة «فراقه» وهو أحب أبنائه اليه.

وإذا كان هنام درس تربوى فى ذلك فانه يكون فى الصبر على طلب

العلم، ولايخفى على طالب علم ما ذكره القرآن الكريم ومانوه إليه الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام من أمر سيدنا موسى «كليم الله» وارتحاله فى طلب العلم عند «عبدالله» المعروف «بالخضر». فنجد المولى سبحانه وتعالى يوضح ذلك فى القرآن الكريم فيقول:

«وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرية أوأمضى حقبا» (الكهف: ٦٠).

وقطع هو وفتاه ما قطعا من مسافات لا يعلم طولها الا الله، ما كان ما أثرها ما عبر عليه موسى عليه السلام بقوله لفتاه.

«آتنا غذائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» (الكهف: ٦٢).

آفاق جديدة للبحث فى الفكر التربوى من خلال القرآن الكريم:

لا خلاف بين المشتغلين بالعلوم الاسلامية والعربيةعلى كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدرين الأولين لتلك العلوم مهما تختلف مناهج البحث فيها. ولا خلاف بينهم كذلك على كون القرآن الكريم هو المصدر الأول من هذين المصدرين.

وفيما يتعلق بدراسة الفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم. هناك أكثر من مدخل يمكن فى رأينا إجمالها فيما يلى:

١ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية فلسفية: وفى هذا الاطار يمكن للدارس أن يعقد موازنات بين عطاء القرآن الكريم فى مجال فلسفة التربية وما قالت به الفلسفات التربوية البشرية. ويدرس الباحث هنا الجوانب المعروفة لأية فلسفة تربوية مثل: رؤيتها للطبيعة البشرية، والقيم، والوجود، والحرية.. الخ.

٢ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية اجتماعية: وفى هذا الإطار يمكن للدارس أن يركز على مشكلات المجتمع وكيف تناولها القرآن الكريم. ويتعمق الباحث فى تحليل الأبعاد المختلفة لتلك المشكلات وأثرها فى الفرد. كما يتناول البحث فى هذا الميدان قضايا العمل والانتاج والاقتصاد والعلاقات الإنسانية بوصفها من «القوى والعوامل» المؤثرة فى أى نظام تربوى.

٣ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية فردية: وفى هذا الإطار يمكن للدارس أن يبحث وضعية «الانسان الفرد» فى القرآن الكريم بوصفه المحور الذى تدور حوله عملية التربية، فيرى كيف عرض الانسان فى القرآن: خلقا وتكوينا وتنشئة. وكيفبين القرآن أحوال نموه المختلفة وطباعه المختلفة.

٤ ـ دراسة الفكر التربوى من زاوية القصة القرآنية: وفى هذا الإطار يدرس الباحث قصص القرآن الحافلة بالعطاء التربوى المكثف بحيث يكشف عن مسالك التربية بالقصة فى القرآن ويحلل كيف استخدم القرآن عناصر القصة المختلفة: الشخصيات ـ الحوار ـ الزمان ـ المكان ـ الأحداث فى ابراز الفكر الأساسية للقصة.

مما سبق يتضح أن هناك مداخل متعددة لدراسة الفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم أشرنا إلى نماذج منها، وهناك غيرها الكثير. ومع ذلك فإن الدراسة الحالية هذه لن تتطرق إلى دراسة مفصلة للفكر التربوى من خلال أحد المداخل السابقة. ولكنها تطمح إلى إثارة «نقاط» بحثية يمكن لمن يرغب فى دراسة العطاء التربوى القرآنى أن يتخذ إحداها نقطة يبنى عليها خطةبحثية متكاملة. ونعتقد أن ذلك أجدى من تركيز البحث

فى نقطة واحدة قد لايجد فيها القارىء ما يبحث عنه من «إثارة» لمشكلات بحثية تهمه.

وفيما يلى نقدم عدة تصورات أكثر تحديداً لدراسات يمكن أن تتعرض للفكر التربوى فى ضوء القرآن الكريم.

التصور الأول: الأهداف التربوية فى ضوء القرآن الكريم:

يقول أحد المربين المعاصرين «إذا لم تكن متأكداً من المكان الذى تسير إليه فإنك ستصل إلى مكان آخر».

وهذه الجملة البسيطة توضح بشكل عملى أهمية تحديد الأهداف فى حياة الانسان العادى فالذى يمشى مكبا على وجهه محكوم عليه حتما بأن تضل طريقه. ولما كانت نظم التعليم الحالية بأشكالها المؤسسية أصبحت مسؤولة اجتماعيا عن تلك المؤسسات التعليمية أن تبذل جدهاً واضحاً من أجل تحديد ماهية رسالتها أو بتغير آخر، أهدافها التى تسعى إلى تحقيقها.

ومنذ ظهور تصنيف «بلوم» الشهير للأهداف التربوية فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن، ظهرت شيئا مئات من الكتب والدراسات التربوية حول موضوع الأهداف صياغتها واستخدامتها وبشكل عام تحتدم الخلافات بين الكتاب حول:

* مستويات الأهداف التربوية: ويقصد بها الغايات التربية Aimsوالأغراض Purosesوالأهداف العامة Goalsوالأهداف الخاصة Ob- gectives ويختلف ترتيبها تصاعدياً أو تنازليا من مؤلف إلى آخر.

* مصادر اشتقاق الأهداف: وتختلف أهميتها من مؤلف إلى خر

ولكنها (عند الجميع) لاتخرج عن ثلاثة مصادر تشتق منها أهداف التعليم وهى: المتعلم (من حيث نموه وحاجاته وميوله) والمجتمع (من حيث طبيعته ونظمه ومشكلاته) والمادة الدراسية (من حيث مجالاتها ومكوناتها وطرق تدرسها).

* سلطة وضع الأهداف التربوية: ويقصد بها الجهة المنوط بها تفيذيا تحديد الأهداف التربوية المرجوة: أهى السلطات السياسية أم السلطات التعليمية؟

* والحقيقة التى نؤمن بها: أن كثيراً من التخبط الذى تعانى منه نظم التعليم فى البلدان العربية والاسلامية، يرتبط ارتباطا وثيقا بتخبط تلك النظم فى صياغة أهدافها التربوية. وتبنى المشروع الغربى فى تناول تلك الأهداف تحت تأثير عوامل عديدة منها التبعية الثقافية (وبخاصة التبعية التربوية) للغرب ويمكن حل هذه الأشكالية ببساطة إذا ما اتجهت دراسات تربوية تتناول صياغة أهداف تربوية فى ضوء القرآن الكريم للمجتمعات الإسلامية. وتأتى هذه الخطوة من عدة منطلقات أهمها:

* ثبات الأهداف إذا ما اشتقت من مصدر لايتغير كالقرآن الكريم بحكم كونه نصاً إلهياً لا يأتيه الباطل. وثبات الأهداف يحقق للنظم التعليمية القدرة على إنجاز مهامها فى ظل وضوح رؤية نابعة من وضوح الأهداف واستقرارها. أما الأهداف الموضوعة باجتهادات بشرية فهى تخضع للهواء السياسية المتقلبة وحسابات المصالح القصيرة الأمد مما يسبب قلقاً دائماً للنظم التعليمية.

* إبراز الهوية الاسلامية فى ارتكازها على كتابها السماوى فى تشريعها التربوى، الذى هو جزء من النظام الاجتماعى العم الذى ينبغى له أن يخضع ـ فى شتى منظوماته الداخلية للتشريع الألهى...

* التصدى للاتهام الشائع للتربية الإسلامية بأنها مجرد «مواعظ» وتوجيهات خطابية جوفاء لا تناسب العصر الحاضر.

*والذى نتصوره فى هذا الصدد: أن تأخذ عدة دراسات حديثة على عاتقها مهمة اشتقاق أهداف تربوية من القرآن الكريم مصنفة فى مستويات المعروفة حاليا فى الأوساط التربوية. ولكن أسس تلك الأهداف مأخوذة من عطاء القرآن الكريم. وحتى لانتهم بالخطابية فإننا نضرب مثالا على ذلك. فإذا اعتبرنا «النقوى» مثلا عرضاً تربويا عريضا أوهدفاً أوغاية استناداً إلى قوله تعالى ﴿لعلكم تتقون﴾ أو ﴿هدى للمتقين﴾. فمن الممكن فى الخطوة التالية أن نضع تعريفاً جامعاً مانعاً للتقوى مستخلصاً من صفات المتقين بعد تحليلها موضوعياً من جميع أماكن ورودها فى القرآن. وفى خطوة تالية نحول ذلك التعريف إلى خطوات اجرائية ملموسة يمكن قياسه. وفى الخطوة الأخيرة نوزع تلك الخطوات الاجرائية على مناهج المواد الدراسية المختلفة أو على المراحل التعليمية المختلفة.. وهكذا.

التصور الثانى: الطبيعة البشرية فى ضوء القرآن الكريم:

الانسان هو محور العملية التربوية الذى تدور حوله. فالطفل «إنسان» بالدرجة الأولى يفرح، ويألم، ويحب، ويكره، وله طموحاته،وميوله. ويختلف كل فرد عن الآخر بدرجات متفاوتة من الاختلاف فى كل ناحية من نواحى شخصيته. ومن هنا تأتى أهمية دراسة الطبيعة البشرية كجزء أساسى من أى دراسة تخوض فلسفة التربية باعتبار الانسان هو «الخامة» الأساسية للعمل التربوى.

* وتتناول دراسة الطبيعة البشرية عناصر عديدة أهمها:

١ ـ أثر كل من الوراثة والبيئة فى تكوين الانسان.

٢ ـ الاختلاف بين الذكور والاناث.: أنواعه ـ اتجاهاته ـ آثاره.

٣ ـ هل الانسان مسير أو مخير؟

٤ أيهما أكثر تأثيراً فى السلوك: الجسم أم العقل؟

* وقد قدمت الفلسفات التربوية المعاصرة، آراء كثيرة لها فى كل ناحية من هذه النواحى وتناول تلك الآراء كثير ممن كتبوا فى فلسفة التربية. ولكن الدراسات التى تعرضت لدراسة الطبيعة البشرية فى القرآن الكريم ما تزال محدودة جدا. وفى تصورنا أن من الضرورى قبل المشروع فى وضع أسس للفكر التربوى الاسلامى تخصيص دراسة مستقلة لتجلية هذا الجانب الهام الذى هو ـ كما أشرنا فى البداية ـ محور العملية التربوية، فقد عرض الانسان فى القرآن منظوراً إليه من زاوية طبيعته البشرية من خلال:

أ ـ حديث القرآن عن الحواس: وظيفتها الأصلية، وإساءة استخدامها.

ب ـ حديث القرآن عن النفس: أنواعها ـ ودورها فى السلوك.

جـ ـ حديث القرآن عن دوافع السلوك: الوراثية، والبيئية.

د ـ حديث القرآن عن الحرية والاختيار فى حياة الانسان: وهى قضية نالت حظها من الدراسة على أيدى علماء الكلام ورجال الفرق والمفسرين.

التصور الثالث: الجوانب المعرفية فى القرآن الكريم:

تتناول مباحث نظرية المعرفة الجوانب التالية بوجه عام:

١ ـ طبيعة المعرفة (ماهيتها).

٢ ـ مصادر المعرفة (الحواس ـ الوحى ـ الحدس ـ العقل والحواس معاً).

٣ ـ أنواع المعرفة.

*وتأتى أهمية دراسة نظرية المعرفة مجرد أساسى من أية فلسفة تربوية، من كون لتربية بطبيعتها عملية «نقل معارف» إلى جانب كونها عملية اكتساب مهارات وعملية خلقية.. والملاحظ حاليا أن الاتجاه المسيطر على النظم التربوية المعاصرة وهو تغلب الجانب المعرفى على الجانبين الآخرين: المهارى والخلقى على الرغم من النداءات المتمررة لرجال التربيةالحديثة بضرورة إيجاد «توازن ما» بين الجوانب الثلاثة.

ومع الانفجار المعرفى السائد تصبح عملية «اختيار» ما يقدم فى المناهج المدرسية عمليةفى غاية الصعوبة. ففى العصر الحاضر «يتشاعف العلم فى أورباكل خمس عشرة سنة، وفى الولايات المتحدة لأمريكية كل عشرا سنوات، وفى روسيا كل سبع سنوات، وفى الصين كل خمس سنوات يدل على أن التنافس العالمى حالياً أصبح يجرى بصورة تشبه السباق إن لم نقل لصراع».

* والحقيقة أن البحث عن «نظرية» للمعرفة فى القرآن الكريم أمر لازم لابراز الهوية الحضارية للمجتمعات الاسلامية. وأمر حتمى لابراز «الذات» الخاصة للتربية فى الشعوب الاسلامية.

وفى تصورنا أن مثل هذا البحث يمكن أن يتناول الجوانب التالية:

أ ـ طرق اكتساب المعرفة فى القرآن (الدعوة إلى أعمال العقل ـ عدم إنكار دور الحواس فى اكتساب المعرفة ـ التركيز على دور الوحى والإلهام... الخ).

ب ـ ماهية المعرفة فى ضوء القرآن (فتح المجال أمام جميع العلوم مع مراعاة المعيار الشرعى فى النفع والضرر على نحو ما توحه كتابات التربويين القدامى كالغزالى وغريه).

جـ ـ تصنيفات المعرفة القرآنية.

١ ـ القرآن وعلوم الحياة (البيولوجيا: الحيوان والنبات والحشرات).

٢ ـ القرآن وعلم الانسان (الانثروبولوجيا).

٣ ـ القرآن وعلم اللغة.

٤ ـ القرآن والبحث التاريخى.

٥ ـ القرآن وعلم الطبيعة (الفيزياء: الجوامد، الحرارة، الطاقة، الكتلة، الزمن.. الخ).

التصور الرابع: التربية فى القصص القرآنى:

على الرغم من أن هذا الجانب نال قسطاً أوفر من الدراسات التربوية الحديثة إذا قورن بالجوانب السابقة، فإنه مازال يفتقر إلى دراسات أكثر عمقاً تتناوله من عدة زوايا جديدة لم تطرق حتى الآن مثل:

١ ـ دراسات تربط بين عطاء علم اللغة الحديث الذى يدرس «الزسلوب» وفقاً للمناهج الحديثة (التركيب النحوى والشرفى والصوتى

والدلالى) وعطاء علوم النفس والربية من أجل استنباط محتوى تربوى أكثر عمقاً.

٢ ـ دراسات تتناول القصص القصيرة جدا فى القرآن والتى لم تتوقف عندها الدراسات السابقة كثيراً مثل قصص (سبأ وسيل العرم ـ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ـ الصافنات الجياد ـ بناء الكعبة ـ القوم لجبارين ـ أصحاب الجنة (سورن ن) ـ صاحبى الجنتين (سورة الكهف) ـ وغيرها كثير).

٣ ـ دراسات تتناول القصص النبوى الذى جاد لتوضيح قصص قرآنى مجمل، أو القصص النبوى الذى جاء تفسير لآيات قرآنية غير قصصية أو بها إشارات سريعة.

٤ ـ دراسات تتناول القصص القرآنى موضوعياً قارنا من خلال عدة تفسيرات ذات اتجاهات مختلفة (تفسير بالمأثور ـ تفسير بالرأى ـ تفسير إشارى ـ تفسير إجمالى).

أما بعد:

فلعل فى السطور السابقة إشارة كافية للإمكانات البحثية التى ما تزال بكراً فى مجال القرآن الكريم والفكر التربوى. أردنا بها فتح الباب أمام طلاب البحث العلمى الصابرين الصادقين الذين سيجدون صعوبات جمة فى هذا الطريق، ولكن إيمانهم بقيمة ما سيصلون إليه من نتائج قيمة مفيدة يعصمهم من الملل والزلل. ولعل الله ءن ييسر لنا قريباً نشر نماذج لبعض دراسات قمنا بها فى هذا المجال فى المنهل الغراء بعون الله تعالى.

القيمة التربوية للشكر فى ضوء القرآن والسنة

لقد شرع الشكر فى الاسلام فى سياق الحرص على إقامة المجتمع الإسلامى السوى. فللشكر فوائد متعددةعلى المستوى الاجتماعى، أهمها خلق حالة من الود النفيس. فحين يسدى إليك أحد معروفاً يجب عليك شكره وهذا الشكر يحمل ـ ضمنا ـ الاعتراف بهذا المعروف، وذلك الصنيع، ومن ثم فإن هذا الشكر يلقى فى نفس من أسدى إليك المعروف صدى جيداً. ومن هنا تبدأ علاقات المودة بين أطراف المجتمع.

ولذلك فالشكر لغة يعنى الثناء والرضا، ولقد ذكرت المعاجم العربية أن الشكر يعنى الثناء على المحسن بما أولاه من معروف، وذكر المعجم الوسيط فى مادة شكر شكرت الدابة شكرا، وشكورا وشكرانا أى كفاها القليل من العلف وغيره، وأصابت مرعى فسمنت عليه.

ويذكر العلماء أن الشكر على ثلاثة أنواع: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها.

قواعد الشكر:

وللشكر قواعد خمسة أوجزها الإمام ابن القيم فيما يأتى:

١ ـ الخضوع للمنعم.

٢ ـ حبك له.

٣ ـ الاعتراف بأن النعمة له وحده.

٤ ـ الثناء عليه بها.

٥ ـ استعمال النعم وتسخيرها فى طاعته وعدم معصيته.

والشكر هو أول وصية وصى بها الله تعالى الانسان حيث قال تعالى «ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير» (لقمان: ١٤). كما جعل الشكر وسيلة لاثبات العبودية لله. قال تعالى ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢).

منزلة الشكر:

الشكر من أعلى المنازل وهو نصف الإيمان والإيمان ـ كما يذكر العلماء نصفان: نصف شكر. ونصف صبر. وقد أمر الله به، ونهى عن ضده وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، ووعد أهله بأحسن الجزاء، وجعله سبباً للمزيد من فضله وحارساً وحافظاً لنعمته، ولذلك فقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة. فقال تعالى: «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» (يونس: ١٠).

أثر الشكر فى المجتمع:

أن الشكر على النعم دليل الرقى والحضارة ومقياس التقدم وذلك لأن فى الشكر إظهاراً لطبائع النفس والفهم الصحيح واتساع المدارك، فالشكر يؤكد إدراك الشاكر للنعم وتقديره للمعروف، وهذا كله دليل على رهافة احساسه ورقة مشاعره ولذلك يمتدح الشاكر وينتقص الجاحد.

هذا فضلا عن عناية الإسلام عناية شديدة بتعليم الناس الشكر على النعمة فقد طلب الله سبحانه وتعالى من الأبناء أن يراعوا نعمة الله عليهم إذ غرس حب الأبناء فى قلوب الأبناء مما جعلهم يكدون ويتحملون العناء الشديد من أجل الأبناء، بل ويؤثرونهم على أنفسهم ولو

كان بهم خصاصة، ولذلك وجب شكر الابناء لله سبحانه وتعالى أولا للوالدين ثانيا كما فى آية لقمان.

والشكر يوجد الود بين الناس ويحفظ الإخاء والترابط الاجتماعى، والشكر إقرار بالمنعم والنعم ولذلك فهو يدفع النفس إلى الصفاء والخضوع، وما تركت أمه الشكر على النعمة وتمردت على الإحسان إلا كانت أولى بالعقوبة والهلاك ولذلك قال بعض الحكماء «عند التراخى عن شكر النعم تحل عظائم النقم».

الشكر فى القرآن الكريم:

وردت كلمة الشكر فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة، وبصيغ مختلفة من حيث الامر بالشكر، أو المبالغة فى الشكر، أو بيان شكر الناس، أو بيان شكر الله.

يقول الله تعالى: «ولقد مكناكم فى الأرض وجعلناكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون» (الاعراف: ١٠).

وفى آية أخرى يقول رب العزة «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون» (الانفال: ٢٦).

ويقول سبحانه وتعالى: وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل: ٧٨).

وقال جل شأنه: «ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون» البقرة: ٥٢.

وقال تعالى: «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون» (البقرة:٥٦).

وقال سبحانه وتعالى: و«ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون« (آل عمران: ١٢٣).

وقال تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (القصص: ٧٣).

وقال تعالى: «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (الروم: ٤٦).

وغير هذا من الايات التى فصلت نعم الله سبحانه وتعالى الموجبة لشكر الله سبحانه وتعالى، ولذلك تفضل الله على عباده به ولم يطلب منهم شكراً مباشراً إذ الشكر مسبوق بقوله «لعلكم» وفيه حث على الشكر مع التمتع بهذه النعم.

الأمر بالشكر من قبل الله تعالى لعباده:

قال تعالى: فأذكرونى أذكركم واشكروا لى ولاتكفرون (البقرة: ١٥٢).

وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون» (البقرة: ١٧٢).

وقال رجل شأنه: فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (النحل: ١١٤).

وقال تعالى: «(بل الله فاعبد وكن من الشاركين» (الزمر: ٦٦).

وهنا يلاحظ أن الامر المباشر من انما يتعلق بالامور المصيرية فى حياة

الانسان وعقيدته من حيث البر بالوالدين وذكر الله والرضا بالرزق ودفع الإنسان إلى تطيب رزقه وماله، والتنبيه الى أن الله وحده هو مقسم الأرزاق ومالكها ثم عبادة الله سبحانه وتعالى وهى أمور جوهرية فى تثبيت عقيدة الانسان. فالشكر هنا واجب لله سبحانه وتعالى وحده، والامر بالشكر تربية للنفس الانسانية على الخضوع والاقرار بالنعم والمنعم وحتى ينتزعه منها الإنصاف بالتعالى الذى يدفع الإنسان إلى الغرور الذى يهز العقيدة ويهدم الصفاء الروحى. ولذلك كان الأمر بالشكر هنا صريحا وواجب التنفيذ، والشكر لله على نعمه طاعة له واعتراف بوحدانيته ووجوده وكذلك ارادته سبحاته وتعالى ولهذا الكون بما فيه ومن فيه.

وصف الله بأنه شاكر لعباده:

يقول تعالى: «ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم» (البقرة: ١٥٨).

ويقول جل شأنه: «ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما» (النساء: ١٤٧).

ويقول تعالى: «ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور« (الشورى: ٢٣).

وشكر الله تعالى لعباده فى هذه الآيات يفيد الرضا عنهم، وما ينتج عن هذا الرضا من مقابلته بالثناء والقبول، ومن هنا كان تفسير الشكر فى حقه سبحانه وتعالى بمعنى الجزاء أى أن شكر الله لعباده إنما هو الجزاء

لهم، وأما وصفه سبحانه وتعالى لنفسه بالشاكر فقيل إنه من قبيل التلطف بعباده. هذا التلطف الذى يظهر فى الإحسان إليهم والانعام عليهم. ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له (سورة البقرة: ٢٤٥)، فالله سبحانه وتعالى لا يستقرض عن عوز أوحاجة ولكنه ذكر ذلك من باب التلطف مع عباده أى أنه يعامل عبده معاملة المستقرض حيث إن العبد ينفق فى حال غناه فيأخذ أضعاف ذلك فى فقره وحاجته وكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكرين من حيث إنه يوجب الثناء والثواب سمى شاكراً.

ولقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه «الشكور» وهو على وزن «فعول» إحدى صيغ المبالغة من الشاكر. قال تعالى: «وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور» (فاطر: ٣٤)، وهذا يؤكد حب الله لعباده وعمق تلطفه معهم.

الشكر فى السنة النبوية:

ورد عن رسول الله ﷺ فى الشكر من الأحاديث وأكد أهمية الشكر بالنسبة للإسلام والمسلمين، ففى حديث ورد فى سنن ابن ماجه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ، كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بالحمد أقطع. رواه ابن ماجه.

وجاء فى صحيح مسلم، عن ابن عباس قال: قال مطر الناس على عهد النبى ﷺ فقال النبى: أصبح الناس منهم شاكر ومنهم كافر قالوا هذا رحمة الله.

وجاء فى سنن الترمذى: عن أبى أمامه عن النبى ﷺ قال: عرض

على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوما وقال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك.

وجاء أيضا فى سنن الترمذى: عن جابر عن النبى ﷺ قال: ومن أعطى غطاء فليخبر به ومن لم يجد فليثن فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبى زور.

وجاء فى سنن النسائى: عن ابن عباس أن النبى ﷺ سجد فى الصلاة وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا.

أخرج الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: عجبت من قضاء الله للمؤمن إن أمر الله كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن إن اصابته سراء كان خيرا له، إن اصابته ضراء فصبر كان خير له. روى الإمام أحمد بن حنبل أيضا عن ابى هريرة عن النبى ﷺ: أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به الماء حتى رواه فشكر الله عز وجل فادخله الجنة.

وجاء فى صحيح سنن النسائى قوله ﷺ لمعاذ: إنى لاحبك يا معاذ فقلت وأنا أحبك يا رسول الله فقال: فلا تدع أن تقول فى كل صلاة رب أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وقال ﷺ، ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا. رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الالبانى فى صحيح ابن ماجه.

فالقيمة التربوية للشكر متأكدة بالكتاب والسنة ويمكن ايجاز تلك القيمة التربوية فى النقاط التالية:

١ ـ الشكر تواضع من المنعَم عليه للمنعِم ـ بكسر العين ـ وهذا التواضع يخفف من غلواء الإحساس الزائف بالكبرياء. ويخلص الإنسان من آفات الغرور والاعجاب بالنفس.

٢ ـ فى الشكر تذكير للإنسان بأنه ـ بنفسه ـ عاجز عن تحقيق كل ما يريد، وهناك فى حياته كثير من الأمور التى لايستطيع مواجهتها إلا بمساندة من الله تعالى أو من غيره من عباد الله.

٣ ـ الشكر وسيلة من وسائل الاستقرار الاجتماعى فى المجتمع المسلم لأنه يحقق تبادل الرضا بين طرفين فيسود السلام الاجتماعى. كما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض ـ وإن لم يشعروا ـ خدم

٤ ـ الشكر وسيلة من وسائل التقرب إلى الله لأن الشكر فى أحد معانيه هو ذكر دائم يترتب على فعله ما وعد الله تعالى عباده به حين قال «فاذكرونى أذكركم» فكلما شكر الإنسان ربه، ضمن ذكره عند ربه.

٥ ـ الشكر وسيلة لاستمطار الرحمة من عند الله تعالى.

٦ ـ وهو وسيلة لاستدامة النعمة «لئن شكرتك لأزيدنكم».

٧ ـ ووسيلة للتفكير الدائم فى ملكوت السموات والأرض وعظمة خلقها وتسخيرها لخدمة الانسان.

فالواجب على المربين ومخططى المناهج وواضعى السياسات التربوية فى البلدان العربية والإسلامية أن يسعوا إلى ترسيخ هذه القيمة فى مناشط التعليم ومناهجه من خلال الدروس الدينية، والقصص، وتأليف المسرحيات

الحاضة على الفضيلة كالشكر والأمانة وغيرها. وإعداد المسابقات المدرسية التى تدور - بأشكالها المختلفة - حول هذه المعانى السامية. والله من وراء القصد.

العهود والمواثيق فى القرأن الكريم

لقد جعل الله تعالى العهود والمواثيق ركائز أساسية لسير الأمة على المنهاج الصحيح وجعلها مسار السياسة الانسانية. وأمر بالتمسك بالوفاء حتى يعيش الإنسان فى حالة من الأمن والطمأنينة وبذلك يكون الانسان خليفة الله فى أرضه.

العهد ومعناه:

قال الله تعالى: وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا. قال بعض العلماء: العهد كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، وكذلك كل ما أمر الله به فى هذه الآيات ونهى عنه. وفى حديث الدعاء: «وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت» أى أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك لا أزول عنه، واستثنى بقوله ما استطعت موضع القدر السابق فى أمره (لسان العرب/٣١١/٣ ـ صادر).

والعهد يطلق على الإدراك، كعهدت فلانا بمعنى ادركته، ويطلق على الوصية، كعهد إليه بكذا أو أوصاه، ويطلق على معان فيها ملاحظة التوثيق والربط.

الميثاق ومعناه:

ذكر بعض العلماء أن الميثاق إما مصدر كالميعاد والميلاد، وإما اسم مصدر بمعنى اوثق أوالايثاق أو التوثيق. وفى المعجم الوسيط: الميثاق أى العهد.

وفى لسان العرب: المواثيق،. الميثاق، والتواثق تفاعل منه، والميثاق

العـهـد مـفـعـال من الوثـاق. وهو فى الأصل حبل يشد به الأسيـر، والدابة.

العهود والمواثيق التى بين الله والانبياء:

قـال تعالى: «وإذ أخذ الله ميثـاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقرتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين «آل عمران: ٨١).

قـال العلماء فى تفسير هذه الآية الكريمة: «واذ أخذ الله ميثاق النبيين» أمرهم أن يعطوا الله الميثـاق فى الإيمان بمحمد ﷺ فأعطوه فأخذه منهم. أو أخذه منهم بمعنى إلزامه إياهم الميثاق بالإيمان به ﷺ فإذا ألزمهم ذلك فأولى أن يلزم أممهم ـ والعهد من الميثاق عهد مع التابع وأراد ميثاق النبيين وأممهم.

«ثم جاءكم رسول » ﷺ: (مصدق لما معكم) هو ما آتاهم الله من الذى معهم «لتؤمنن به» أى بما آتاكم، والإيمان بما آتاهم متضمن الإيمان بالرسول المصدق لما معهم. وقوله «إصرى» أى عهدى على أممكم. فماذا قالوا؟ قالوا أقررنا أو أخذنا على ذلك إصراً، قال سعيد بن جبير والحسن وطاووس: أخذ الله الميثاق عل كل نبى أن يؤمن بمن يأتى بعده من الأنبياء وينصره بنفسه وقومه قال على وابن عباس وقتاده والسدى: أخذ الله الميثاق على السابقين كلهم أن ؤمنوا بمحمد ﷺ ويأمروا أقوامهم بالايمان به ونصره، ويأخذوا العهد على أقوامهم فى ذلك ان ادركوه ونصروه قال «فاشهدوا» اعزموا بقلوبكم فاشهدوا على أنفسكم

وأتباعكم بذلك ـ أو ليشهد بعضكم على بعض، فكل واحد شاهد ومشهود عليه. أو اشهدوا أيها الأنبياء على أممكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعلى أممكم بإقرار، وهذا تحذير عن النكث عظيم.

وقال صاحب التحرير والتنوير في تفسير هذه الآية: «وهذا ميثاق أخذه الله على جميع الأنبياء، يؤذنهم فيه بأن رسولاً يجيىء مصدقا لما معهم، ويأمرهم بالإيمان به، ونصره. والمقصود من ذلك إعلام أممهم بذلك ليكون الميثاق محفوظا لدى سائر الأجيال. وقد جاء فى سفر التثنية قول موسى عليه السلام: قال لى الرب أقم لهم نبيًا فى وسط أخوانهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فليكلمهم بكل ما أوصيه به. والبشارات فى كتب الانبياء لبنى اسرائيل وفى الأناجيل كثيرة وفى أخذ العهد على الأنبياء زيادة للتنويه برسالة محمد ﷺ وهذا المعنى من ظهر الاية.

العهود والمواثيق بين الله والبشر جميعا:

قال تعالى: «لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا» مريم/ ٨٧ جاء فى قول سيد قطب فى تفسير هذه الآية: لا شفاعة يومئذ الا لمن قدم عملاً صالحاً فهو عهد له عند الله يستوفيه.

وقال غيره من العلماء : «لا يملكون الشفاعة» الواو للناس كلهم وكذا الجن أو للمتقين، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لأحد، وقوله: الا من اتخذ عند الرحمن عهدا استثناء متصل من الواو العائدة إلى العباد مطلقا والعهد ماعهد الله لهم من أن يشفعوا بغيرهم. وعن ابن عباس: العهد ألاَّ إله الا الله متبعاً بالأعمال الصالحات وروى قرأ ابن مسعود الاية وقال: يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: من كان عندى عهد لقيم ولا

يقوم إلا من قال فى الدنيا: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا أنك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر، وتبعدنى من الخير وانى لاأثق الا برحمتك فأجعل لى عندك عهدا، الى يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد» رواه ابن أبى شبيه، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وابن مردوديه، والحاكم.

قال تعالى: «ألم أعهد إليكم يا بنى ادم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين» (يس: ٦٠).

قال ابن عاشور فى تفسير هذه الآية : إقبال على جميع البشر الذى جمعهم المحشر غير أهل الجنة الذين عجلوا إلى الجنة «فيشمل هذا جميع أهل الضلالة والمشركين وغيرهم ولعله شامل لأهل الأعراف وهو اشهاد على المشركين وتوبيخ لهم والاستفهام تقريرى ـ وخوطبوا بعنوان، بنى آدم، لانه مقام التوبيخ على عبادتهم الشيطان يقتضى تذكيرهم بأنه من أبناء الذى جعله الشيطان عدوا له. والعهد: الوصاية ووصاه الله بنى آدم ألا يعبدوا الشيطان فى ما تقرر واشتهر فى الاسم بما جاء به الرسل فى العصور الماضية فلا يسمع انكاره وبهذا الاعتبار صح الانكار عليهم فى حالهم التشبيه بحال من يجحد العهد.

وجاء فى تفسير سيد قطب لهذه الاية: عداؤهم هنا: يا بنى آدم، فيه من والتبكيت ما فيه وقد أخرج الشيطان أباهم من الجنة ثم هم يعبدونه وهم لهم عدو مبين.. ثم بعد ذلك يوجه الله الأمة جميها إلى عبادته ـ ويأخذ عليهم العهود والمواثيق حيث قال تعالى: «واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى» (الأعراف: ١٧٢).

فالله أخذ عهداً وموثقاً على ذرية آدم بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم تأتى آيات الله موجهة الى الأنبياء للوفاء بالعهود والمواثيق التى عاهدهم عليها وهى عبادته أولا ثم التصديق بالانبياء والمرسلين.

العهود والمواثيق التى بين الله واليهود:

قال تعالى: «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون« (البقرة: ٢٧).

جاء فى تفسير هذه الآية أن هناك اختلافًا فى المراد بعهد الله فى هذه الاية، فقيل هو عهد فطرى، وهو ما أودعه الله فى فطرة كل إنسان من معرفة أن لهذا الكون مكونًا وقاهراً يديره، وأن الإنسان مفتقر الى الصلة بهذا الكون من طريق العبادة والطاعة والإذعان. فإذا ما عكس هذه الفطرة فهو ناقض لعهده تعالى، وقيل هو ما أخذه الله على الامم عن طريق أنبيائهم من عهد الإيمان بالنبى الخاتم محمد ﷺ وقيل هو العهد المأخوذ على أهل الكتاب بأن يبينوا الحق ولا يكتمونه. وهو المراد بقوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً فبئس ما يشترون» (آل عمران: ١٨٧). وعلى ذلك فالمقصودون: «اليهود» الذين كانوا يشككون الناس فى القرآن وفى نبوة الرسول بما كانوا يلقونه من الشبه ويلقونه من الأكاذيب، وقيل المراد فى هذه الآية هو هذا العهد البشرى الذى أخذه الله على جميع بنى آدم.

ولصاحب المنار قول فى تفسير هذه الآية مجملة أن العهد فى الآية

مجمل لم يسبقه ولم يتله ما يبينه لأن الواقع يكشف عن المراد به. فعهد الله هو ما أخذهم منه بمنحهم ما يفهمون به هذه السنن المعهودة لناس للنظر والاعتبار، والتجزئة والاختبار. أوالفعل والحواس المشردة إليها، وهى عامة والحج بها قائمة على كل من وهب نعمة العقل وبلغ سن الرشد سليم الحواس، ونقضه عبارة عند عدم استعمال تلك المواهب استعمالاً صحيحاً.

العهود والمواثيق التى بين الله تعالى وبين المسلمين وبين المسلمين وبينهم وبين المسلمين وغيرهم:

قال تعالى: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل السائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون« (البقرة: ١٧٧).

يذكر صاحب المنار فى تفسير هذه الآية أن العهد عبارة عما يلتزم به المرء لآخر وهو بعمومه يشمل ما عاهد المؤمنون عليه بإيمانهم من السمع والطاعة والاذعان بكل ما جاء به دينه، ويذكر العهد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة كثيراً. ويراد به فى الغالب ما يعاهد الناس بعضهم بعضا عليه، ويشترط فى وجوب الوفاء بالعهد ألا يكون فى معصية، وفى معنى العهود العقود وقد أمرنا بالوفاء به فيجب على المسلم أن يلتزم الوفاء فيما يتعاقد عليه من الناس ما لم يكن مخالفا لامر الله ورسوله الثابت عنه وقواعد الدين العامة، وإن الايفاء بالعقود والعهود من أهم الفرائض

التى فرضها الله تعالى لنظام المعيشة والعمران. وإنما الصلاة والزكاة من وسائله والزكاه فرع منه فى وجه آخر. وانظر حال أمة استهانت بالايفاء بالعهود والإخلال بالتزام العقود تر كيف حل بها عذاب الله تعالى بالإذلال وفقد الاستدلال فى ضياع الثقة بينها حتى فى الأهل والعيال. فهم يعيشون عيشة الأفراد لا عيشة الأمة هور متحركة ووحوش مفترسة، فلا تعاون ولا تناصر ولاتعاضد ولا تآزر بل استبدل بهذه المزايا صفات التحاسد والتباغض والتعادى والتعارض. وقد ذكر صاحب المنار أنه أحصى فى سنة قضايا للتخاصم قال: فألغيت أن خمسًا وسبعين قضية فى المئة بين الأقارب والباقى بين الناس، ولو كان فى الناس وفاء لسلموا من كل هذا البلاء.

قال تعالى: «وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظًا» (النساء: ٢١).

ذكر سيد قطب فى تفسير هذه الآية، أن الله ترك الفعل «أفضى» بلا مفعول محدد لشيوع اللفظ مطلقا يشع كل معانيه ويلقى كل ظلاله، ويسكب كل إيحاءاته ولايقف عند حدود الجسد وافضاءاته، بل يشمل العواطف والمشاعر والوجدانات والتصورات والأسرار والهموم والتجارب فى كل صور التجاوب.، يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة آناء الليل وأطراف النهار. كل هذا الحشد من التصورات والظلال والانداء والمشاعر والعواطف يرسمه ذلك التعبير الموحى العجيب«وقد أفضى بعضكم إلى بعض». «وأخذن منكم ميثاقا غليظًا»: هو ميثاق النكاح باسم الله وعلى سنة الله، وهو ميثاق غليظ لايستهين بحرمته قلب مؤمن وهو يخاطب الذين آمنوا ويدعوهم بهذه الصفة أن يحترموا هذا الميثاق الغليظ.

قال تعالى: الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حَصِرَتْ صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومكم ولو شاء الله لسطلهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً» سور النساء: ٩٠.

ذكر صاحب التحرير والتنوير فى تفسير هذه الآية أن الاستثناء فى هذه الآية من الأمر فى قوله تعالى: «وخذوهم واقتلوهم» أى إلا الذين آمنوا ولم يهاجروا أو الذين ارتدوا على أدبارهم الى مكة بعد أن هاجروا، وهؤلاء يصلون الى قوم ممن عاهدوكم فلاتتعرضوا لهم بالقتل لئلا تنقضوا عهودكم المنعقدة مع قومهم،ومعنى يصلون، أى ينتسبون أو يلتحقون ولو كانت بمعنى انتسب منهم من المعاهدين أصلاً ولو كانت بمعنى التحق منهم كالمعاهدين لأن معاهد المعاهد كالمعاهد. والمراد بالذين يصلون قوم غير معنيين بل كل من اتصل بقوم لهم عهد مع المسلمين ولذلك قال مجاهد: هؤلاء من القوم الذين نزل فيهم «فما لكم من المنافقين فئتين ومعنى جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم. اجاءوا إلى المدينة مهاجرين ولكنهم شرطوا أن يقاتلوا مع المؤمنين قومهم ما قبلوا منهم ذلك. وكان هذا رخصة لهم أول الإسلام إذاكان المسلمون قد هادنوا قبائل من العرب تألفًا لهم ولمن دخل فى عهدهم فلما قوى الإسلام صار الجهاد مع المسلمين واجبًا على كل من يدخل الإسلام.

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد» «المائدة: ١».

ذكر المفسرون فى قوله: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.. إن هذه

الآية إنما ذكرت لاقامة الضوابط فى حياة الإنسان مع نفسه وغيره من الناس. وفى هذه الآية أمر بالوفاء بالعقود التى تعنى ضوابط الحياة. وعلى الناس الامتثال لهذا الأمر وأن به حتى يتم لهم الأمن والاستقرار وفيها إظهار لوجوب طاعة الله.

قال تعالى: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور «المائدة: ٧».

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية: يقول الله تعالى مذكرا عباده المؤمنين بنعمته عليهم فى شرعه لهم هذا الدين العظيم وارساله الرسول العظيم وما أخذه عليهم من العهود والميثاق فى مبايعته ومناصرته والقيام بدينه وابلاغه عنه وقبوله منه، وقال تعالى: «وما لكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم تؤمنون، وقيل هذا تذكار لليهود ربما أخذ عليهم من المواثيق والعهود فى متابعة محمد ﷺ والانقياد لشرعه.

قال تعالى: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليه على سواء إن الله لايحب الخائنين» الأنفال: ٥٨.

قال بعض المفسرين فى هذه الآية أن معنى هذه الآية أن تتوقع من قوم خيانة بنقض عهدك معهم بأن يظهر لك من الدلائل والقرائن وما ينذر به، فاقطع عليهم طريق الخيانة قبل وقوعه بأن تنبذ إليهم عهدهم أى تعلمهم فسخه وعدم تقيدك به وانبذ إليهم على سواء أى على طريق سوى واضح لاخداع فيه ولا استخفاء ولاخيانة ولا ظلم لأن الإسلام لايتيح لأهله الخيانة مطلقاً.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ «الإسراء: ٣٤».

قيل في تفسير هذه الآية، إن العهد بالتعريف للجنس المفيد للاستغراق يشمل العهد الذى عاهدوا عليه النبى وهو البيعة على الايمان والنصر، وهذا التشريع من أصول حرمة الأمة فى نظر الأمم والثقة بها للانزواء تحت سلطانها، والجملة معطوفة على التى قبلها وهى من عداد ما وقع بعد«أن» التفسيرية من قوله: ألا تعبدوا... (الايات) ـ وهى الوصية الحادية عشر.

وجملة أن العهد كان مسئولاً تقليل للأمر، أى للإيجاب الذى اقتضاه وإعادة لفظ «العهد» فى مقام إضماره للاهتمام به، وحذف متعلق مسئولا لظهوره، أى مسئولا عنه أى سيسألكم الله عنه يوم القيامة.

وبعد:

فان الحديث سيطول لو أردنا استقصاء كل آداب العهود والمواثيق فى القرآن الكريم مما لا يتسع المقام وفى القدر السابق كفاية للدلالة على أن تأكيد التشريع لقيمة الوفاء بالعهد والالتزام بالوعد يحقق للانسانية مالا تحققه التشريعات الوضعية من ضوابط سلوكية.

فالقرآن الكريم بتأكيده هذه القيمة التربوية النبيلة ـ قيمة الوفاء بالعهد ـ انما يحرص غرسها ورعايتها داخل النفس حتى تثمر سلوكا يوميا طبيعيا فى حياة الانسان أشبه بالسلوك الغريزى. أما التشريعات الوضعية فانها تناولت مسألة «الوفاء بالعهود» لا بوصفها مسألة خلقية بحته، وإنما بوصفها سلوكا جزئيا أورد فعل فالمخلف وعده فى القوانين

البشرية يعاقب بالسجن أو الغرامة المالية وهذا التناول قاصر عن البلوغ بانسانية الإنسان الى المدى السامي الذى أهل له الإنسان حين استخلفه الخالق سبحانه فى الأرض والله تعالى أعلى وأعلم.

الآثار التربوية للصبر فى ضوء القرآن الكريم

الدلالات اللغوية:

تدل مادة (ص.ب.ر) فى أصل وضعها اللغوى على معنى «الجنس» فيقال: صبرت الشيء أى حبسته، ومنع ما يرد فى بعض كتب التاريخ من أن فلانا قتل صبرا أى حبس حتى مات محبوسا بلا طعام ولا شراب. ومن هذا الأصل اللغوى تفرعت الدلالات الأخرى للمادة اللغوية فأصبح الصبر يعنى التجلد واحتمال الشدائد، والهدوء والطمأنينة فى مواجهة المصائب، وقد اصطلح العلماء على تعريف الصبر بأنه «حبس النفس على ما تكره».

ونقيض الصبر هو الجزع لأن النفس الإنسانية جبلت على الاضطراب والحركة فكان الجزع والفزع من لوازمها. ومن هنا جاء الأمر بالصبر محفوفًا بالحمد والثناء على الصابرين، لأنه يستلزم فطرة قوية ونفسية قادرة على التحمل.

الصبر فى القرآن الكريم:

ذكر الله تعالى اصبر فى أكثر من سبعين موضعا فى القرآن الكريم، وجعله من أسباب السلامة من الخسران الذى حكم به على الناس كافة إلا الصابرين فقال تعالى:

(والعصر، إن الانسان لفى خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر) «سورة العصر».

وقد حدد القرآن الكريم أجور العاملين ما عدا الصابرين، فقد قال تعالى فى حقهم: (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) «الزمر: ١٠).

في حين قال في غيرهم من المؤمنين (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) «الأنعام: ٦٠».

وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ «البقرة: ٢٦١».

فإذا كان الذي يفعل الحسن قد عرف مقدما أجره بأن له عشر حسنات، وإذا كان المنفق قد عرف أن له بكل نفقة ثواب سبعمائة أو ألف وأربعمائة من مثلها، فان الصابرين جعل الله تعالى أجورهم غير محددة لأنه سيغدق عليهم من الثواب بغير حساب.

وربما كان ذلك كذلك، لأن الصبر يتطلب من المشقة ومجاهدة النفس ما لاتتطلبه الفضائل الخلقية الأخرى كالانفاق، وفعل الخير اليسير، ولذلك قال تعالى: (استعينوا بالصبر والصلاة) «البقرة: ٤٥». أي استعينوا بهما على مداومة الطاعة والإيمان، لأن ملازمة المرء للصبر تيسر عليه إتيان الأفعال الشاقة من أعمال العبادات، والصبر سبب للاصطفاء، فالله تعالى مع الصابرين، ويحب الصابرين، فهو يصطفيهم، ويقربهم اليه جزاء على حسن صبرهم، والدليل على ذلك قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) «السجدة: ٢٤».

الأمر بالصبر:

ولما كان الله قد جمع للمصابرين أمورا لم يجمعها لغير حين قال في حقهم (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) «البقرة: ١٥٧».

لما كان للصبر هذه المكانة الرفيعة، فقد أمر الله تعالى به رسوله

وعباده جميعا، فقال مخاطبا نبيه الكريم ﷺ: (واتبع مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله) «يونس: ١٠٩».

(واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) «هود: ١١٥».

(واصبر وما صبرك إلا بالله) «النحل: ١٢٧».

(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) «الأحقاف: ٣٥».

(فاصبر صبرا جميلا) «المعارج: ٥».

(فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) «ق: ٣٩».

وكما أمر به نبيه ﷺ فقد أمر به المؤمنين جميعاً فقال تعالى مخاطبا إياهم:

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) «البقرة: ١٥٣».

(اصبروا وصابروا ورابطوا) «آل عمران: ٢٠٠».

وقد قال العلماء: أن الفرق بين الصبر والمصابرة أن المصابرة أشد قسوة من الصبر، لأنها تعنى تحمل المشقة بغير تعبيس الوجه، أى أنها تتطلب طاقة فوق ما يتطلبه الصبر.

(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) «النحل: ١٢٦».

(واصبروا إن الله مع الصابرين) «الأنفال: ٤٦».

جزاء الصبر:

أجمل القرآن الكريم ثواب الصابرين فقال: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) «الزمر: ١٠»، ولكنه فصل فى مواضع أخرى فبين

أنواعا من هذا الزجر العميم والخير العظيم فقال فى موضع آخر «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (الرعد: ٢٤)، فجعل السلام نصيبهم يوم الفزع الأكبر وما أعظمه من نصيب والناس يومئذ هائجون كأنهم سكارى وما هم بسكارى.

وقال فى موضع آخر: «إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون (المؤمنون: ١١١)، وقال أيضا (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيما تحبة وسلامًا) «الفرقان: ٧٥».

وقال أيضا (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) «القصص: ٥٤».

وقال: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) «الانسان: ١٢».

والغرفة المشار إليها دليل على أنهم يسكنون قصوراعالية فخمة. فاللغة العربية تفرق بين الحجرة والغرفة بأن الحجرات هى تلك المساكن المبنية على الأرض مباشرة، أما الغرفة والغرف والغرفات فهى المساكن من الطابق الثانى فما فوق.

الاثار التربوية للصبر:

لو لم يكن للصبر شرف إلا أن الله تعالى وصف به نفسه لكفاه شرفا فقد سمى الله تعالى نفسه «الصبور» وإحساس المؤمن بأنه يتجلى بصفة من صفات الله تعالى فيه ما فيه ترقية السلوك. وقد حث العلماء من السلف الصالح المؤمنين عل التحلى بصفات كثيرة من صفات الله تعالى كالرحمة والكرم والصبر والعدل.. الخ، ولا يعنى ذلك إساءة للعقيدة، فالله تعالى وصف نبيه الكريم ﷺ ببعض صفاته فقال عنه «بالمؤمنين رؤوف رحيم» «التوبة: ١٢٨».

ومن هذه الآية أمكن للعلماء أن يقولوا بجواز ـ بل باستحباب ـ أن يتحلى المؤمن ـ ما استطاع ـ بالصفات التى هو مؤهل لها بفطرته كالأنواع التى ذكرناها، أما الصفات الخاصة بالألوهية كالقدرة والكبرياء وغيرها فكمال الايمان يقتضى التسليم بها للخالق الأعظم جل وعلا.

وللصبر آثار تربوية أخرى يمكننا أن نوجز أهمها فيما يلى:

١ ـ الصبر تهذيب وتربية، لأن معناه ـ بلغة التربويين ـ تمكين الإنسان من إعادة التكيف الشخصى والاجتماعى مع الأحداث والمواقف أى أنه تعديل مستمر للسلوك فى الاتجاه الإيجابى، وهذا هو الهدف النهائى من آية فلسفة تربوية.

٢ ـ وللصبر أثر آخر من حيث إنه يجعل الصابر قدوة لغيره، فحين يرى الآخرون الإنسان الصابر ساكنا هادئًا مطمئن النفس تهون عليهم مصائبهم ويرون فى هذا السلوك مثالا للرجولة، ونموذجا للإنسانية فى أوج كمالها.

٣ ـ وفى الصبر تحقيق التماسك الاجتماعى، لأن التواصى بالصبر يعصم المجتمع من تشتت الآراء، ويمنع تسلل روح الهزيمة الى النفس، ويقتل الشائعات فى مهدها، فهو وسيلة من وسائل صنع «الرأى العام» الصحيح فى المجتمع المسلم.

٤ ـ والصبر أداة فعالة من أدوات الدعوة، وفى سيرة النبى ﷺ عشرات القصص عما لقيه فى بدء الدعوة من أذى، وما عاناه المسلمين الأوائل من آلام ومكائد، ولكنهم صبروا وصابروا فنجحت الدعوة أيما

نجاح. والداعية ـ أيا كان ما يدعو إليه ـ ان لم يتذرع بالصبر فلن يكتب له نجاح.

٥ ـ والصبر وسيلة من وسائل الرقى الاجتماعى، فقوله تعالى: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) «السجدة: ٢٤». دليل على ذلك وفى حياتنا المعاصرة أمثلة كثيرة لأولئك الذين صبروا على مايدبر لهم من دسائس، وتناسوا ما يحاك لهم من مؤامرات، فوقاهم الله مكر الماكرين وكتب لهم التوفيق والرقى، وبات أعداؤهم يتجرعون كؤوس الندم.

٦ ـ والصبر وسيلة للنصر (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) «الأنفال: ٦٥».

٧ ـ والصبر فى النهاية مجلبة لرضا الله عز وجل ولو لم يكن له إلا هذه الثمرة لكفاة. فقد ورد فى الحديث القدسى «إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى إلى عواده أبدلته لحمًا خيرا من لحمه ودما خيراً من دمه، فإذا أبرأته ولا ذنب به واذا توفيته فالى رحمته« «احياء علوم الدين: ٤/ ٧١».

٨ ـ وللصبر ثمرة تربوية أخرى وهو أنه محمود بالفطرة، فالمرء حينما يرى مصاباً يبكى ويولول ويعترض على القضاء والقدر، يحتقره فى نفسه ويتهمه بأنه أقرب إلى الطفل منه إلى الرجل. وفى هذا دليل على أن صفة الصبر من الصفات المرغوب فيها بالفطرة. والله أعلم.

الصحابة.. فى القرآن الكريم

تحدث الكتاب العزيز عن الصحابة رضوان الله عليهم فى مواضع كثيرة كقوله تعالى فى سورة المائدة.

«يأأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» «المائدة: ٥٤».

وقد روى الحاكم فى المستدرك أن الرسول ﷺ عندما نزلت هذه الآية أشار إلى أبى موسى الأشعرى وقال «هم قوم هذا»، كما تحدث القرآن عن بعض القبائل التى أظهرت تمسكها بالدين وحبها لرسول الله ﷺ مثل جهينة ومزينه ـ فيما يروى الأمامان الجلالان ـ اللتين نزل فيهما قوله تعالى:

«ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم» «التوبة: ٩٩».

إلا أن هناك آيتين امتازتا بأنهما تناولتا بصورة مباشرة أوصاف صحابة النبى ﷺ وجزاءهم ومكانتهم عند الله. وعلى هاتين الآيتين وما آزرهما من أحاديث شريفة، بنى العلماء أحكامهم الخاصة بالتعامل مع الصحابة، وما ينبغى من التأدب عند ذكرهم.

أما أولا: هما فهو قوله تعالى:

«والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان

رض الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» «التوبة: ١٠٠».

والثانية: قوله تعالى:

«محمد رسول الله. والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا. سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم فى التوارة. ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فا ستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً» «الفتح: ٢٩».

هاتان الايتان هما الأصل فيما ينبغى على المسلم من التأدب مع الصحابة جميعاً فإن الله عز وجل اختارهم لصحبة نبيه ونقل رسالته لمن بعدهم من الأجيال المسلمة، وإلحاق العيب أوالنقص بهم فيه غمز فى الشريعة عموما لأنهم كانوا وسيلة نقلها.

وقد دأبت فرق ضالة على الطعن فى كبار الصحابة الذين تواترت الأخبار بتعظيم مكانتهم وتقدير الرسول الكريم ﷺ لمواقفهم معه. روى الامام البغوى رحمه الله فى تفسيره (معالم التنزيل ـ ج ٥ ص ١٩١) عن عبدالرحمن ابن عوف رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (أبو بكر ـ وعمر، وعثمان، وعلى فى الجنة، وطلحة الزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص فى الجنة، وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة). وروى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان،

وأفرضهم (أى أعلمهم بالفرائض وهى المواريث) زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبى بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وعن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال «اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى: أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى عمار، وتمسكو بعهد ابن أم عبد». وعن الأعشى عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «عهد إلىّ الرسول ﷺ أنه لايحبك إلا مؤمن ولا يبغضك الا منافق».

ماذا يريدون من الطعن فى الصحابة:

والذى يعجب له الإنسان السوى أن يأتى قوم متأخرون عن عصر الصحابة الزاهر فيطلقون ألسنتهم الشائهة وعقولهم التائهة فى أولئك النفر الكرام الذين مدحهم الله جل شأنه من فوق سبع سماوات فوصفهم بأنهم:

١ ـ أشداء على الكفار: لا يمالئون ولا يهادنون ولا يشجبون ويكتفون بالثرثرة، بل جاهدوا فى الله حق جهاده وكان الواحد منهم يحب الله ورسوله أكثر من حبه لأبيه أو ابنه. وكانوا يفتدون دين الله بأرواحهم وأموالهم.

٢ ـ رحماء بينهم: يرحم بعضهم بعضاً، وينزل الواحد منهم لأخيه عن ماله وأرضه بل وأحيانا ترك بعض الأنصار خير أزواجه ليتزوجها المهاجر من إخوانه المؤمنين.

٣ ـ ركع وسجد: كناية عن كثرة صلاتهم وعبادتهم.

٤ ـ يبتغون فضلا من الله ورضوانا: لا يطلبون متاعا دنيويا زائفا، ولا نعيما مؤقتا زائلا،وإنما يطلبون الجة ورضا الحق عنهم.

٥ ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، ووصف الأنصار بأنهم «يحبون من هاجر إليهم «ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا: أى لا يجدون فى صدورهم غيظاً ولاحسداً ولا حزازة مما كان يناله المهاجرون من الفيء وذلك حين قسم الرسول ﷺ أموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا منها، فطلبت من ديارهم وأموالهم بغير حق. فكانت النتيجة أن امتدح الله تعالى صنيعهم هذا فى آيات بينات تظل تتلى لتخلد لهم هذا الموقف الإنسانى النبيل. كيف يقبل مسلم لم يأت بعشر معشار ما أتى به هؤلاء العظماء أن يجرحهم أو يستدرك أو يطعن فى عدالتهم؟.

إن الأهواء الفاسدة، والنفوس المريضة هى التى تقف وراء من لايرضون عمن رضى الله عنهم ورضوا عنه وشياطينهم تزين لهم أن ذلك من الدين!!!

حساسية الصحابة تجاه الرسول الكريم:

روى البخارى وأحمد وغيرهما عن أنس رض الله عنه قال (واللفظ لأحمد): «لما نزلت هذه الآية: «يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ـ إلى قوله وأنتم لا تشعرون». الحجرات: ٢، وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال: «أنا الذى كنت أرفع صوتى على رسول الله ﷺ!! أنا من أهل النار!! حبط عملى!!» وجلس فى أهله حزينا ففقده رسول الله ﷺ (أى افتقده وسأل عنه حين لم يجده فى مجلسه) فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ. مالك؟ قال:

«أنا الذى أرفع صوتى فوق صوت النبى ﷺ وأجهر له بالقول! حبط عملى! أنا من أهل النار! فأتوا النبى ﷺ فأخبروه بما قال فقال النبى ﷺ «لا بل هو من أهل الجنة». قال أنس رضى الله عنه: فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابن بن قيس مرة ثانية وقد تحنط ولبس كفنه فقال: بئسما تعودون أقرانكم. فقاتلهم حتى قتل» هذه القصة وعشرات أمثالها مبثوثة فى كتب السيرة والسنة تدلنا على مدى ماكان يتمتع به الصحابة رضوان الله عليهم من حساسية فى معاملتهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

وقد ذكر العلماء عند تفسير آية الفتح (محمد رسول الله والذين معه) أن رجلا كان ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ فى عصر الامام مالك بن أنس رحمه الله فذكروا أمره فى مجلس مالك فقرأ الامام رحمه الله هذه الآية حتى بلغ قوله تعالى: «يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار» فقال مالك: «من أصبح من الناس فى قلبه غيظ عل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية». نقل القرطبى هذه الرواية عن الخطيب البغدادى ثم عقب عليها بقوله «لقد أحسن مالك فى مقالته وأصاب فى تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين. قال الله تعالى: «محمد رسول الله والذين معه أشداء عل الكفار رحماء بينهم «الآية. وقال «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة» وقال «رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه». وقال «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله: والذين تبؤوا الدار

والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا الى قوله: فأولئك هم المفلحون». فالآيات القرآنية. شهدت للصحابة جميعا بأنه مرضى عنهم من رب العالمين وبأنهم مفلحون وصادقون. فكان من يذم صحابيا يرفض خبر القرآن ويعطى نفسه حق الحكم على رجال رفع الله تعالى مكانتهم فوق أحكام الرجال حين حكم هو عز وجل عليهم بأنهم من الصادقين وأنهم هم المفلحون.

ومكانتهم فى السنة سامية أيضا:

فقد ثبت فى الصحيح المتفق عليه قوله عليه الصلاة والسلام «خير الناس قربى هم الذين يلونهم». وقوله عليه الصلاة والسلام» لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا لم يدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه». وروى البزار عن جابر مرفوعا صحيحا «إن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى من أصحابى أربعة ـ يعنى الخلفاء الراشدين ـ فجعلهم أصحابى». ونقل القرطبى حديث عويم ابن ساعده أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل اختارنى واختار لى أصحابى فجعل لى منهم وزراء وأختاناً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا».

وعن عمر بن حبيب قال «حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعتها الحضور وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بحديث أبى هريرة عن رسول ﷺ فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث عن رسول الله ﷺ لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قوله

فقلت أنا (أى عمر ابن حبيب): الحديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وأبوهريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبى ﷺ. فنظر الى الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت الى منزلى. فلم ألبث حتى قيل لى: صاحب البريد بالباب. فدخل فقال لى: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول. وتحنط وتكفن. فقلت: «اللهم انك تعلم أنى دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمنى منه». فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسى من ذهب. حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع. فلما بصر بى قال لى: يا عمر بن حبيب ما تلقانى أحد من الرد والدفع لقولى بمثل ما تلقيتنى به. فقلت يا أمير المؤمنين إن الذى قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به إذا كان اصحابه كذابين فالشريعة باطلة ولافرائض والاحكام فى الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مرود غير مقبول. فرجع الرشيد الى نفسه ثم قال: «أحييتنى يا عمر ابن حبيب أحياكم الله». وأمر لى بعشرة آلاف درهم.

فماذا عن الفتنة الكبرى:

وقد كانت الفتنة الكبرى التى حدثت عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه هى أساس التعصب السخيف الذى خاض فيه بعض ضعاف النفوس من المتشدد لكل فريق. فالذين أحبوا عليا رضى الله عنه تطرف بعضهم فى حبه حتى تطاول على الشيخين وعلى عثمان بن عفان. والذين أبغضوا عليا رضى الله عنه من الحرورية بالغوا فى بغضهم وكراهيتهم مع أنهم يعلمون صحة حديث «عهد إلى رسول الله ﷺ أنه لايحبك إلا مؤمن ولا يبغضك الا منافق».

والرأى الأصوب فى هذه الفتنة هو ما قاله بعض أخيار السلف حين سئل عنها فقال: «تلك حرب طهر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا» وسئل آخر عنها فقرأ قوله تعالى: «تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يفعلون».

قال الإمام ابن كثير فى تفسير آية سورة الفتح «محمد رسول الله والذى معه» «ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمة الله عليه فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضى الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضى الله عنهم فهو كافر لهذه الاية ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك».

وقال الامام القرطبى: «لايجوز أن ينسب الى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به. إذ كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة. وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم. وألا نذكرهم الا بأحسن الذكر لحرمه الصحبة ولنهى النبى ﷺ عن سبهم وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضا عنهم».

هذا مع ما ورد من الاخبار من طرق مختلفة عن النبى ﷺ من الأخبار أن طلحة شهيد يمشى على وجه الأرض فلو كان ما خرج اليه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهيدا. وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ فى التأويل وتقصيرا فى الواجب عليه. لأن الشهادة لا تكون الا بقتل فى طاعة.

ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار على بأن قاتل الزبير فى النار وقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار»

واذا كان كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين ولا آثمين بالقتال. لأن ذلك لو كان كذلك لما جاءت البشارة بأن طلحة شهيد وبأن قاتل الزبير فى النار. وكذلك من قعد من الصحابة ولم يشترك فى الحرب فهو غير مخطىء فى التأويل.

والخلاصة: أن من الواجب على كل مسلم أن ينزع نفسه عن الوقوع فى أكبر خطأ وهو الطعن فى هؤلاء الرجال العظام الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه. رحمهم الله وألحقنا بهم على مرضاه الله وحب رسوله.

التجارة فى الأسلوب القرآنى

التجارة بمعنى تبادل السلع، أو مبادلة السع بالعملت، هيقوام حياة الناس منذ بدأت الإنسانية تتشكل على هيئة تجعات بشرية، لكل تجمع أو جماعة منها قدرات اقتصادية ـ مادية أو بشرية ـ معينة، واحتاجت تلك الجماعات، من أجل تحقيق مصالحها، إلى تبادل المنافع والخبرات.

وتزداد أهمية التجارة فى حياة الناس، بازدياد تعقد الحياة، واختلاف نظم المعيشة، من بلد إلى بلد آخر، أو من جماعة إلى أخرى، إذ تحتاج كل جماعة إلى غيرها لسد احتياجاتها من الغذاء والكساء ولوازم العمران ومتطلبات الرفاهية.

ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربى مبين، وبلغة قريش، وهم أهل التجارة الذين سجل القرآن الكريم رحلاتهم التجارية فى الشتاء والشيف لما كان ذلك كذلك، فقد يكون من المهم أن نلقى نظرة على الأساليب المختلفة الى استخدم فيها لفظ (التجارة) فى القرآن الكريم فى سياقات مختلفة لننظر بعد ذلك فيما تد على تلك الاستخدامات من الوجهة التربوية.

التجارة فى السياق المعنوى:

١ ـ استخدام القرآن الكريم لفظ التجارة فى سياق معنوى، بهدف الموازنة بين الحق والباطل ليدرك السامعون والقارئون لكتاب الله، مدى ضلال الضالين، وانحراف المنحرفين، بمنظور اقتصادى بحت. فالكفار والعصاة حين يعرضون عن منهج الله سبحانه وتعالى. ويختارون الزيغ والضلال، فكأنهم بذلك يبيعون الغالى، ويشترون الرخيص، ويؤثرون

الفانى على الباقى، يقول جل جلاله: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ سورة البقرة: آية ١٦.

يقول الإمام ابن جرير الطبرى فى تفسير هذه الآية:

«إن قال قائل: وكيف اشترى هؤلاء القوم الضلالة بالهدى، وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمان فيقال فيهم: باعوا هداهم الذى كانوا عليه بضلالتهم حتى استبدلوها منه؟ وقد علمت أن معنى الشراء المفهوم اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضا منه، والمنافقونالذين وصفهم الله بهذه الصفة لم يكونوا قط على هدى فيتركوه ويعاتضوا منه كفرا ونفاقا. ثم ابن جرير بعد هذا التساول اختلاف أهل التأويل فى معنى ذلك.

قال أبو جعفر: فكأن الذين قالوا فى تأويل ذلك: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، وجهوا معنى الشراء إلى أنه المشترى مكان الثمن المشترى به، فقالوا: كذلك المنافق والكافر قد أخذا مكان الإيمان الكفر، فكان ذلك منهما شراء الكفر والضلالة اللذين أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى، وكان الهدى الذى تركاه هو الثمن الذى جعلاه عوضا من الظلالة التى أخذاها.

وأما الذين تأولوا أن معنى قوله: «اشتروا»: «استحبوا»، فإنهم لما وجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفار فى موضع آخر فنسبهم إلى استحبابهم الكفر على الهدى، فقال: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ صرفوا قوله: ﴿اشتروا الضلالة بالهدى﴾ إلى ذلك وقالوا: قد تدخل الباء مكان «على»، «وعلى» مكان الباء، كما يثال:

مررت بفلان ومررت على فلان بمعنيواحد، وكقول الله جل ثناؤه، «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك» أي: على قنطار، فكان تأويل آاية على معنى هؤلاء: أولئك الذين اختاروا الضللة على الهدى.

وفي تأويل قوه تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾، قال أبو جعفر: وتأويل ذلك أن المنافقين بشرائهم الضلالة بالهدى خسروا ولم يربحوا، لأن الرابح من التجار، المستبدل من سلعته المملوكة عليه بدلا هو أنفس من سلعته أو فضل من ثمنها الذى يبتاعها به. فأما المستبدل من سلعته بدلا دونهما ودون الثمن الذى يبتاعها به فهو الخاسر في تجارتهلاشك. فكذلك الكافر والمنافق لأنهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى والخوف والرعب على الحفظ والأمن، فاستبدلا في العاجل بالرشاد الحيرة، وبالهدى الضلالة، وبالحفظ الخوف، وبالأمن الرعب مع ما قد أعد لهما في الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب، فخابا وخسرا، ذلك هو الخسران المبين.

٢ ـ كمااستخدم القرآن الكريم لفظ التجارة في سياق معنوى آخر، بهدف تقريب القيمة المعنوية إلى الإدراك الحسى الإنسانى. وذلك حين أراد أن يقنع المونين بالعمل الصالح وأهمية حبه وإيثاره والإقبال عليه فشبه ذلك بالتجارة الرابحة فقال تعالى: ﴿يا زيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم منعذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلوكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ سورة الصف: الآيات ١٠ ـ ١٢.

نقل الإمام القرطبى في تفسير هذه الاية عن مقاتل أنها نزلت في

عثمان بن مظعون. وذلك لأنه قال لرسول الله ﷺ: لو أذنت لى فطلقت خولة، وترهبت واختصيت وحرمت اللحكم، ولا أنام بليل أبدا، ولا أفطر بنهار أبدا! فقال رسول الله ﷺ: «إن من سنتى النكاح ولارهبانية فى الإسلام إنما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم. ومن سنتى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتى فليس من». فقال عثمان: والله لو ددت يا نبى الله أ ى التجارات أجب إلى الله فأتجر فيها فنزلت:

وقوله تعالى: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ ذكر الأموال أولاً لأنها التى يبدأ بها فى الإنفاق «ذلكم» أى هذا الفعل «خير لكم» من من أموالكم وأنفسكم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ و«تؤمنون» عند المبرد والزجاج فى معنى آمنوا ولذلك ةاء ﴿يغفر لكم﴾ مجزوما على أنه جواب الأمر. وقال الفراء ﴿يغفر لكم﴾ جواب الاستفهام يكون «تؤمنون بالله، وتجاهدونش عطف بيان على قوله: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ كأن التجارة لم يدر ما هى فبينت بالإيمان والجهاد فهى ها فى المعنى، فكأنه قال: هى تؤمنون بالله وتجاهدون يغفر لكم. وقد وجه الزمخرى قول الفراء أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان (والجهاد). كأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد فيغفر لكم. قال المهدوى: فإن لم تقدر هذا التقدير لم تضح المسألة لأن التقدير يصير إن دللتم يغفر لكم، والغفران إنما نعت بالقبول والريمان لا بالدلالة. قال الزجاج: ليس إذا دلهم على ما ينفعهم ويغفر لهم، إنما يغفر لهم، إذا آمنوا وجاهدوا.

التجارة فى السياق المادى:

أما التجارة فى السياق المادى، فقد أشار إليها القرآن الريم بصفتها مظهرا من مظاهر حركة الحياة الاقتصادية التى يمارسها بشكل طبيعى.

وتضمنت هذه الإشارة:

١ ـ تبادل السلع: أشار القرآن الكريم إلى التجارة عن طريق تبادل السلع في معرض الحديث عن أهمية كتابة الديون بين المتعاملين، فقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ سورة البقرة: آية ٢٨٢.

قال ابن كثير: «إلا إن تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها» أى إذا كان البيع بالحاضر يدا بيد، فلا بأس بعدم الكتابة لانتفاء المحذور فى تركها.

فأما الإشهاد على البيع فقد قال تعالى: ﴿وزشهدوا إذا تبايعتم﴾ وروى عن سعيد بن جبير، فى قوله تعالى: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ يعنى أشهدوا على حقكم إذا كان فى أجل أو لم يكن فيه أجل فأشهدوا على حقكم على كل حال، قال: وروى عن جابر بن زيد ومجاهد وعطاء والضحاك نحو ذلك، وقال الشعبى والحسن: هذا الأمر منسوخ بقوله: ﴿فإن من بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته﴾ وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب لا على الوجوب، والدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصارى، وقد روى الإمام أحمد بسنده عن عمارة بن خزيمة الأنصارى، أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبى ﷺ أن النبى ﷺ ابتاع فرسا من أعرابى فاستتبعه النبى ﷺ ليقضيه ثمن

فرسه، فأسرع النبى ﷺ وأبطأ الأعرابى، فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس، ولايشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه ، حتى زاد بعضهم الأعرابى فى السوم على ثمن الفرس الذى اتباعه النبى ﷺ فنادى الأعرابى النبى ﷺ فقال: إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه والا بعته، فقال النبى ﷺ حين سمع نداء الأعرابى، قالك أليس قد ابتعته منك؟ قال الأعرابى: لا واله ما بعتك، فقال النبى ﷺ «بل قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوذون بالنبى وﷺ الأعرابى،وهما يتراجعان فطفق الأعرابى يقول: هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابى: وذلك إن النبى ﷺ لم يكن يقول إلا حقا حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبى ﷺ ومراجعة الأعرابى يقول: هلم شهيدا يشهد أنى بايعتك، قال خزيمة: أنا زشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبى ﷺ على خزيمة فقال «بم تشهد»؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

الأثر النفسى للنشاط التجارى:

أشار القرآن الكريم إلى ما يعبر عنه الاقتاديون المعاصرون بقولهم: (رأس المال جبان) ومعناه خوف المستثمرين على رؤوس أموالهم أن تنهار لأسباب مجهولة، وقد جاءت هذه الرشارة فى قوله تعالى: ﴿وتجار تخشون كسادها﴾ من قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ سورة التوبة: آية ٤٢ .

قال الإمام القرطبى فى هذا المعنى:

«لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة جعل رجل يقول لأبيه والأب لابنه والأخ لأخيه والرجل لزوجته: إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من تسارع لذلك، ومنهم من أبى أن يهاجر، فيقول: والله لئن لم تخرجوا إلى دار الهجرة لا أنفعكم ولا أنفق عليكم شيئاً أبدا. ومنهم من تتعلق به امرأته وولده ويقولون له: أنشدك بالله ألا تخرج فتضيع بعدك فمنهم من يرق فيدع الهجرة ويقيم معهم فنزلت الآية: ﴿ياأيها الذيت آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياد إن استحبوا الفر على الإيمان﴾.

يقول: (إت اختاروا) الإقامة على الكفر بمكة على الإيمان بالله والهجرة إلى المدينة. ﴿ومن يتولهم منكم﴾ بعد نزول الآية ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

ثم نزل في الذين تخلفوا ولم يهاجروا: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾. وقال تعالى في هذا السياق أيضا: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وزنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ سورة فاطر: آية ٢٩.

٢ ـ التعال الخلقى فى التجارة: أكد القرآن الكريم فى حديثه عن التجارة بمعناها المادى، أهمية السلوك الخلقى القويم فى التعامل التجارى بين الأفراد، وذلك ما عبر عنه بقوله تعالى: ﴿عن تراض منكم﴾ من الاية الكريمة ﴿يازيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ سورةالناسءك آية ٢٩ . والتراضى بين الطرفين المتعاملين ينفى بالضرورة سائر المعاملات المنفرة التى لا يشوبها الرضا مثل:

ـ الربافى التعامل.

ـ الغرر فى البيوع.

ـ الغش فى البيوع.

وغير ذلك مما يحول التجارة من عمل خلقى إلى جشع يدمر ما بين الناس من علاقات أخوة وتعاون وتكافل.

٣ ـ التجارة قوة وبناء لاهدامة: فحين يشنغل الإنسان بماله وتجارته عن دينه وحقوق غيره عليه، يكون بذلك قد انتقل من الجد إلى الهزل، وأصبح شغله الشاغل جمع المال وتكديس الثروة، وقد أنكر القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ سورة الجمعة: آية ١١.

وقال تعالى ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ويخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ سورة النور: آية ٣٧.

دروس تربوية:

من العرضالسابق نستطيع أن نستنتج دروسا تربوية يستخلصها المسلم من اشتعراضه لايات التجارة فى القرآن الكريم منها:

١ ـ بمنطق اقتصادى بحت: الموازنة بين الدنيا والآخرة فيصالح الآخرة، لأن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق، فالأفضل للمسلم أن يسعى للآخرة سعيها وهو مؤمن، ويكتفى من الدنيا بما يحقق له الراحة دون انغماس وتهالك على ملذات الحياة، فقد دعا رسول الله ﷺ على المتهالكين على الدنيا فى حديث أخرجه البخارى بسنده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهم ـ قالك قال رسول الله ﷺ «تعس عبدال الدنيار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض».

وقال ﷺ أيضا: «وإن هذا المال خضرة حلوة..».

٢ ـ التجارة إذا كانت هى كل هم المسلم أصبحت قرينة اللهو واللعب من حيث صرفها للمسلم عن ذكر الله وعن عبادته.

٣ ـ لابد للتجار والمستهلكين على السواء ءن يتحلوا فى معاملاتهم بالأخلاق السامية التى شرعها الإسلام وساتقرت فى نظرة الإنسان مثل نبذ الغش والخداع والتزوير والتدليس والربا... الخ.

٤ ـ على المتعاملين فى التجارة أن يسعوا إلى معرفة ما يترتب على هذا النشاط الاقتصادى من حقوق كالضرائب والزكاة والصدقة، لما فى ذلك من إزالة لآثار الحقد فى نفوس ضعاف النفوس، ولما فى ذلك من ستر وعون لفقراء المسلمين وقضاء لحاجاتهم.

الشعر فى ضوء معانى القرآن الكريم والسنة النبوية

هناك مقولات تسريت فى تراثنا العربى القديم دون تمحيص، وتلقتها الأجيال المتعاقبة بشىء من التسليم مرجعه إلى تقديس كل ما هو قديم متوارث، والتحرز من الخوض فيه، أو محاولة اختبار مدى صدقه.

من ذلك الأكذوبة التى شاعت وذاعت وملأت كثيراً من مؤلفاتنا وهى إن الإسلام وقف من الشعر موقفا عدائيا، وحد من إنطلاق الشعراء، واستند مروجو هذه القربة إلى عدة زسانيد من أهمها:

١ ـ وقوله تعالى: ﴿والشعواء يتبعهم الغارون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ العشراء/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

٢ ـ ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن عمر رضى اللهم عنهما عن النبىﷺ لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا.

وكذلك رواه أبو هريرة وذكر ابن رشيق القيروانى فى الهمدة.

ورروا لنا كتب التراث أقوالاً بلغت من الشهرة والذيوع حداً لايكاد يصل بها إلى نوع من التسليم منها:

١ ـ ما ذكره ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) منسوبا إلى الأصمعى: «إن الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل فى الخير ضعف ولأن، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره».

٢ ـ ما نسبه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) إلى أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً من إجماعهم على أن «أعذب الشعر أكذبه».

٣ ـ تلك الروايات المتناثرة عن موقف الخلفاء الراشدين من الشعراء وأشهرها وأكثرها دوراناً فى كتب التاريخ ما روى من أن عمر بن الخطاب رضه الله عنه زجر حسان بن ثابت حين سمعه ينشد الشعر فى مسجد الرسول ﷺ وسجن الحطيئة حين هجا الزبرقان بن بدر، وأنذر النجاشى الحارثى بقطع لسانه حين هجا بنى العجلان.

وسوف نناقش فيما يلى تلك المقولات السابقة:

وجوه فى تفسير الآية الكريمة:

من المتواضع عليه بين علماء التفسير والفقهاء أن من المستقبح عزل آية من سياقها وتفسيرها بشكل حاسم يترتب عليه حكم، بل إن القرآن يفسر بعضت، كما أن من القواعد الثابتة فى الإسلام أن السنة توضع عموم النص القرآنى، وأمثلة ذلك كثيرة منبثة فيكتب التفسير والحديث والعلوم الفقهية.

ونكتفى بشاهد واحد من شواهد كثيرة ذكرها العلامة الفقيه أبو محمد البطليموسى فى كتابه «التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين» حيث قال ما معناه «وربما وردت الآية غير مستوفية للغرض المراد من التعبد، وورد تمام الغرض فى اية أخرى، فقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة/ ١٨٦ . يشير إلى عموم إجابة الله تعالى لكل من دعاه، ثم قال فى آية أخرى ﴿بل رياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء﴾ الأنعام/ ٤١ . فبدل اشترط المشيئة فى هذه الآية الثانية على أنه مراد الآية الأولى وبهذا الفهم، إذا استعرضنا الآيات الكريمة التى وردت فيها كلمة الشعر

أو الشاعر فى القرآن يمكننا أن نستنتج أن الاهتمام الأساسى للقرآن هو نفى أن يكون الرسول ﷺ شاعرا، وذلك دفعا لتهمة كون شاعرا التى اتهمه بها المشركون.

ولعل السبب الحقيقى لاهتمام القرآن بنفى العشر عن السرسول، هو ما كان قائما فى أذهان العرب حينئذ من ارتباط بين الشعر والجلن، فقد آمن العرب إيمانا راسخا بأن لكل شاعر شيطانا يوحى إليه ما يقول، فقال قائلهم:

إنى وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

بل إننا نجد فى القرآن الكريم ما يشير إلى بعض العرب كانوا يعبدون الجن، فذلك قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ سبأ/ ٤٠ ـ ٤١.

ويمكننا أن نستدل على هذه الحقيقة ـ حقيقة عبادة بعض العرب للجن ـ إلى جانب الاية القرآنية بدليل ثان هو قول عبد الله بن الحارث السهمى أحد شعراء المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فى بدء الدعوة الإسلامية حيث قال ـ يصف حال المهاجرين المضطربة بعد طردهم من مكة:

«تفهم عباد الرحمن من حر أرضهم   فأضحوا على أمر شديد البلابل»

وقد كان من الشائع فى ثقافة عرب الجاهلية ارتباط الشعراء والكهان بالجن والشياطين رذا كانت هاتان الطائفتان من الناس، الشعراء والكهان، على درجة عالية من البلاغة والفصحاة، والقدرة على التأثير النفسى،

كما كان الشاعر أو الكاهن من النوعيات النادرة الوجود فقد نقلت إلينا كتب التراث أن القبيلة كانت تحتفا احتفالاً كبيرا حين يولد فيها شاعر وليست الولادة هنا ولادة بيولوجية، بل المقصود حين تكتشف الموهبةعند فرد من أفرادها.

ذلك أن الشعر كان لسان العرب، وكان وسيلتهم الإعلامية، كما كان سلاحاً من أسلحة الحياة البدوية. كل ذلك فضلا عما يتميز به الشاعر أو الكاهن من استعداد فطرى فى الطبع لمخالفة العادة بما تهيأ فى طبعه من غرابة الأطوار، ورهافة الحس، والميل إلى إلى التأمل والشرود.

وحين جاء الرسول ﷺ العرب بدعوته الجديدة، كانوا قبل الجهر بها يلاحظون على محمد بن عبدالله ﷺ مخالفته لعقائدهم الوثنية، وميله إلى العزلة، وانقطاعه الدائم عن لهوهم وعبثهم، وعكوفه المتصل على التأمل والوحدة فى غار حراء. فلما فاجأهم بدعوته إياهم إلى ترك ما كان يعبد أباؤهم، وعبادة إله واحد ليس من جنس آلهتهم، كان ذلكشديد الوقع على نفوسهم، وكانت هذه صدمة خاطفة لعقائدهم، فلم يتهموا محمداً ﷺ بالمروق عن العادة، ومجاوزة المألوف، والتحدث بالأمور الغربية التى يتحدث بها عادة الكهان أو الشعراء أو السحرة. وهذه الفئات الثلاث ترتبط بالجن والشياطين.

ولذلك كان نفى تهمة السحر والكهانة والشعر عن محمد ﷺ وجها من وجوه إثبات النبوة، ولنقرأ الايات التى ورد فيها النعى على بعض الشعراء فى سياقها العام ولنلاحظ أن سورة الشعراء سورة مكية:

﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم *

يلقون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لايفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ الشعراء/ ٢٢٧.

فالسياق العام للايات يدعو إلى التشنيع بالكذب، والتهمة الموجهة إلى الشعراء أنفسهم فى الايات هى الكذب ﴿يقولون مالا يفعلون﴾ وبذلك استحقوا التشبيه بين ورد ذكره قلبهم من الكهنة أولياء الشياطين الذى تنزل عليهم الشياطين بعد أن تتسع إلى الملأ الأعلى فتوحى إليهم بعض ما استمعت إليه على ما ذهب الإمام الزمخشرى.

وإذا نظرنا إلى الآيتت منمنظور لغوى لم نبعد كثيراً عن هذا الفهم، فليس بعيداً أن يكون قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ الشعراء/ ٢٢٤. فى موضع العطف بالواو من باب عطف الجمل، أو أن تكون الواو للقطع والتقدير: وكذلك الشعراء يتبعهم الغاوون. وفى ظل هذين الاحتمالين يظل الربط بين الشعراء ومن قبلهم ﴿كل أفاك أثيم﴾ قائما فى وجهين: الأول الكذب، والثانى التلقى عن الشياطين.

ومن هنا يتضح لنا أن اهتمام القرآن الكريم ينفى الشعر عن الرسول ﷺ كان مرجعه إلى ما رسخ فى أذهان عرب الجاهلية من علاقة ارتباط بين الشعر ـ كالكهانة والسحر ـ والشياطين، ويتصل بهذا أن ما توحى به الشياطين يغلب عليه الكذب والدجل، وما يتفوه به الشعراء يغلب عليه التهويم والخيال وليس هذا شأن الأنبياء ولا شأن القرآن.

على أن القضية جانبا آخر، وهو أن القرآن، وهو يشرع لحياة المسلمين ما كان لينهاهم عن فن هو من المباحات، ولو صح ما استنتجه بعض المتحذلقين من فهم سيقم لمدول هذه الايت، لأصبح الشعر حراما أو فيحكم الحرام، وليس كذلك.

وجوه فى مناقشة الحديث:

وأما الحديث النبوى الذى ذكره ابن رشيق القيروانى منسوبا إلى أبى هريرة من قول الرسول ﷺ: لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا هير له من أن يمتلىء شعرا. فيمكن الرد عليه من وجوه.

الأول: أن هذا الحديث ذكر أمام السيدة عائشة رضى الله عها، فقال: عن أبى هريرة رضى اللهعنه: لم يحفظ تعنى أنه نسى نص الحديث الأصلى) وإنما قال (أى رسول الله ﷺ)... من أن يمتلىء شعرا هجيت به «وقد عرض الشيخ تاج الدين السبكى لهذه المسألة فى الجزء الأرل من كتابه «طبقات الشافعية».

الثانى: ما رواه رشيق نفسه فى كتابه العمدة بعد ذلك حيث أورد حديثين شريفين عن النبى ﷺ أولهما: «الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به فى بواديها، وتسل الضغائن من بينها«، والثانى قوله ﷺ: «لادتع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين».

ولسنا نناقش أسانيد هذه الأحاديث الثلاثة، لعلى الأقل لو افترضنا أنها على درجة متقاربة من حيث صحة السند، فإن حديثين يلغلبان حديثا، وبخاصة أن السيدة عائشة قد صحته بما لايجعله قيدا على عموم الشعر، وإنما هو قد ح فى الشعر اذى هجى به رسول الله ﷺ، وحينئذ لايكون هناك تناقض بين الأحادث الثلاثة، ويندفع الالتباس.

الثالث: والوجه الثالث والأهم أن الرسول ﷺ كان طوال حياته مهتما بالشعر واشلعراء، ومواقفه العديدة التى فصلتها كتب التراث - والتى سنذكر بعضها بعد قليل - تشهد بذلك.

آراء النقاد القدامى:

وأما ما رواه ابن قتيبة منقولا عن الأصعى من أن الشعر نكد يقوى فى الشر، ويلين ويضعف فى الخير، واستشهاده على رأيه ذاك بشعر حسان بن ثابت، وماذكره قدامة بن جعفر مكن إجماع أهلالفهم على أن «أعذب الشعر أكذبه» فيمكن الرد عليه من وجوه:

أولهما: أن مثل هذه الأحكام العامة قيلت فى البواكير الأولى التى شهدت مولد النقد الأدبى العربى، وهى لاتعتمد على منهج بقدر ما تشير إلى حكم نطباعى سريع.

ثانيهما: أن حسان بن ثابت واحد من أبرز ثلاثة شعراء من الأنصار أ[illegible]طوا بالرسول ﷺ وهم: حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وقد زسلم حسان بن ثابت فى سن متقدمة نسبياً، فقد مر من عمره فى الجاهلية ما يقرب من خسين سنة، ولذلك لم يكن تطور شره شيئاً خارقا بل إنه كان أكثر الثلاثة الشعراء الأنصار استمساكاً بتقاليد القصيدة الفنية. لا من حيث الشكل، بل من حيث المضمون، فقد استقر لدى الدارسين أن حسان بن ثابت كان أقدر الشعراء الثلاثة فى هجاءِ المشركين على تعييرهم بمثالبهم القبلية، وذكر زيامهم فى الجاهلية.

يشاركه فى هذا كعب بن مالك، على حين كان عبدالله بن رواحة يعير المشركين بكفرهم، بل إنحسان بن ثابت لم ستطع التخلص من

الفخر بقومه الهزرج، حتى أنه كان أحياناً يفتخر بقومه أمام الرسول، كما نجد لحسان قصيدة مدح بها الرسول احتوت مقدمتها الطللية التى مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

على وصف مجلس من مجالس الخمر فذلك حيث يقول:

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهههنا اللقا

على الرغم من أن هناك احتمالين واردين إزاء هذا المطلع فى هذه القصيدة:

أولهما: أن يكون هذا المطلع قد نظمه حسان فى جاهليته، وثانيهما: أن يكون قد نظم القصيدة كاملة قبل تحريم الخمر. ولكن كلا الاحتمالين لايكفى لنفى أن حسا لم يشعف شعره فى الإسلام، ولم يتخل كثيراً عن الأصول الفنية للشعر، يضاف إلى هذا أن حسان بن ثابت قبل الإسلام، لم يكن من فحول الشعراء إذا ما قورن بمعاصريه كالتابغة الذبيانى والخنساء وعلقمة بن عبدة.

الرسول والشعر:

للرسول ﷺ مواقف عديدة مع الشعر والشعراء تشير فى مجملها إليتقديره ﷺ واهتمامه برسالة الكلمة الشاعرة، ودورها الفعال فى تلبية الحاجات الإنسانية، وإدراكه مالها فى أثر فى نفوس العرب وسلوكهم، كما تعبر من جانب آخر عن ملكة عربية أصيلة فى نفسه ﷺ فى تذوق لشعر الجيد والإثابة عليه.

وأريد أن أقسم مواقفة تلك إلى أقوال وأفعال، فمن أقواله فى شأن الشعر:

* إن من الشعر لحكمة، أو لحكما.

* إعطاء الشعراء من بر الوالدين.

* لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين.

* الشعر كلام من كلام العرب جزل، تكلم به فى بواديها وتسل الضغائن من بينها.

وأما أفعاله:

فمنها تشجيعه لحسان بن ثابت فى أكثر من مقام على قول الشعر فى هجاء المشرمين وأخباره شائعة فى كتب الأدب، ومنها ما جاء متاب الإصابة مما يوحى بأن السرول كان قد وفد عليه من بنى تميم وعنده الصلصال بن الدلهمس فقال قيس بن عاصم: يا رسول الله عظنا عظةنتنفع بها، فوعظهم موعظة سنة، فطلب قيس من الجالسين أن ينظموا موعظة الرسول شعرا، فلم ينكر الرسول ذلك وأرسل إلى حسان بن ثابت، فقام الصلصال فقال: يا سرول الله قد حضرنى أبيات، أحسبها توافق ما أراد قيس.

فقال الرسول ﷺ هاتها، فأنشد الصلصال:

تجنب خليطا من مقالك إنما	قرين الفنى فى القبر ما كان يفعل
ولابد بعد الموت من أن تعده	ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
وإنكنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذى يرضى به الله تشغل
ولن يصحب الإنسان من قبل موته	ومن بعده ألا اذى كان يفعل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلا بينهم ثم يرحل

ومن مواقفه العلمية كذلك مواقفه مع الشعراء الذين هجوه من

الكفار، فقد كان عفوه عن كعب بن زهير وعن سارية بن زنيم بسبب ما قالا من اعتذار فى ثوب شعرى قشيب، وما زشهر قصيدة كعب بن زهير التى اعتذر بها ومطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ميتم إثرها لم يفد مكبول

ولما قتل النضر بن مالك ـ أو ابن الحارث ـ وبلغ الرسول ﷺ رثاء أخته قتيلة له دعبتها على النبى ﷺ حيث قالت:

أمحمد ولأنت نسل نجيبة في قومها، والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغظ المحنق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحقهم إن كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لفديته بأعز ما يغلو لديك وينفق

تأثر النبى الكريم، وقال: لو سمعت هذا قبل قتله لمننت عليه (أى ما قتلته)، وحين دخل النبى ﷺ مكة للعمرة، تقدم ابن رواحة بين يديه فى البيت الحرام وهو يرتجز:

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
طربا يزيل الهام عن مقليه ويذهل الخليل عن خليله

قال عمر بن الخطاب: يا ابن رواحة، أفى حرم الله، وبين يدى رسول الله ﷺ تقول هذا العر؟ فقال الرسول ﷺ: حل عنه يا عمر فوالذى نغسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل.

من ذلك نستنتج أن الأفكار الشائعة، والأحكام العامة التى تتصل بالعلاقة بين الإسلام والشعر لاتصيب كبد الحقيقة، بل إنها مجازفات منهجية وثرثرة لا تستند إلى دليل، وبخاصة إذا رجعنا إلى ذلك الكم من شعر الصاحبة والتابعين الذى ورد فى ثنايا مصادر تراثنا الخالد.

الاقتباس من القرآن فى الشعر ضوابطه ونحاذيره:

يتفق معظم المتخصصين فى العلوم اللغوية والشرعية على أن القرآن يمثل أرقى مستوى للأداء اللغوى العربى، لدرجة أن طه حسين كان يفضل اعتبار القرآن الكريم نمطاً خاصاً من أنماط التعبير البيانى الربى، فيقول «إن لدينا القرآن والشعر والنثر فيجعل القرآن مستوى خاصاً من مستويات التعبير أرقى من المستويين المعروفين فى لغة العرب، وما الشعر والنثر، والمقصود بالطبع هو النثر الفنى».

ويحسن بنا قبل البدء فى مناقشة القضية أن نتوقف عند ثلاث مسائل متشابهة أو لعلنا نقول: غير واضحة فى أذهان كثير من أدباء هذه الأيام من الذين لم يتح لهم قسط وافر وقدر كان من التخصص العلمى أو الدراسة المتعمقة.

أولهما: مسألة السرقة:

فقد عقد البلاغيون العرب أبواباً خاصة فى مؤلفاتهم لدراسة السرقات الأدبية ويمكن للقارىء أن يجد كتاباً خاصاً بمسألة السرقات مثل الوساطة بين البحترى وأب تمام والصبح المتنبى عن حيثية المتنبى، ودفع الظلم والتحرى عن أبى العلاء المعرى، وغيرها، ويعد كتاب الدكتور بدوى طبانة: السرقات الأدبية دراسة فى ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، نشر بمكتبة الأنجلو ـ القاهرة ـ ١٩٦٩م. مرجعا وافيافى هذا المجال.

وتقوم دراسة البلاغيين للسرقات الأدبية على أساس من الذوق الخاص الناقد الذى يوازن بين علمين أدبيين محتكماً إلى ذوقه، فيرى أين يقف كل منهما من الآخر؟

ويحفل القسم الثالث من «السائر لابن الأثير» بنماذج متنوعة من السرقات الأدبية مرتبة وفقاً لتقسيم وضعه ابن الاثير الأنماط السرقات المختلفة مثل: أخذ المعنى واللفظ معاً أو ما يسميه قدامى البلاغيين وقوع الحافر على الحافر، أو أخذ المعنى وأكثر اللفظ، أو أخذ المعنى وأيسر اللفظ، أو أخذ المعنى ثم لبه، أو أخذ المعنى ثم الزيادة عليه.. إلخ.

ولعل الإطار العام لقضية السرقات الأدبية ـ بالرغم من إتساعه ـ قد ظل محصوراً فى نطاق الشعر لأسباب منها: أن البحث عن توارد الخواطر والمعانى بين الشعراء هو ما كان يشغل بال نقادنا فيقومون أحكامهم على زساس الموازنة الفنية بيت شاعرين ومنها كذلك الإدراك الواعى المبكر لذى نقادنا وبلاغيينا القدامى لككون القرآن الكريم أرفع من أن يتطاول الأدباء إلى تقليده أو مسخ معانيه، ومنهنا قوبلت بالتوبيخ والاستهجان كل محاولات اصطناع لغة أدبية تحاكى لغة القرآن نثراً، وربما اعتبر ذلك فى وقت من الأوقات «هرطقة تستحق المحاكمة».

أما إستفادة الشعراء من القرآن الكريم فلم يدخلها النقاد القدامى فى إطار السرقات، ومن هنا نخلص إلى استبعاد أن يكون تأثر الشاعر بالقرآن الكريم سرقة أدبية.

ثانيتهما: التضمين:

والمقصود بالتضمين: استخدام بعض آيات القرآن الكريم فى العمل الأدبى وقد قسمه «القلقشندى» فى كتابه «صبح الأعشى/ ١/ ٢٣٤» إلى قسمين:

أولاً: الاستشهاد بالقرآن: وهو أقل وقوعاً فى الكلام ودوراناً فى

الاستعمال كما يقول القلقشندى، وهو أن يضمن الكاتب كلامه شيئاً من القرآن بشرط تنبيه القارئ أو المستمع إلى أن هذا قرآن مثل قول أبس إسحاق فى عهد كتبه نيابة عنخليفة إلى وال من ولاته بعد أن أمره بالتقوى:

«فإذا زطلع اله منه على نقاء حيبه، وطهارة ذيله، وصحة مروءته، واستقامة سيرته، أعانة على حفظ ما استحفظه، وأنهضه بثقل ما حمل، وجعل له مخلصاً من الشبهة ومخرجاً من الحيرة، فقد قال اللهتعالى ﴿.. ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب...﴾ الطلاق/ ٢، ٣.

فالكاتب هنا اسشتهد بآية قرآنية ولكنبه نبه إلى ذلك لقوله: فقد قال تعالى، فالاستشهاد لا يكون إلا بهذا لشكل.

ثالثتهما: الاقتباس من القرآن:

وهو أن يضمن الكاتب كلامه شيئا من القرآن دون أن يشير إلى ذلك أو ينبه عليه، وساق القلقشندى أمثلة لذلك منها:

قول ابن نباتة السعدى فى بعض خطبه: فيا أيها الغفلة المطرقون! أما أنتم بهذا الحديث مصدقون؟ ما لكم لاتسعمون؟ ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أتكم تنطقون﴾ وقول الشيخ شهاب الدين الحلبى من عهد السلطان».. وجمع بك شمل الأمة بعد أن ﴿كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ وعضدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم.

وفى هذين النمودجين تجد الخطيب أو الكاتب استخدام بعض آيات القرآن الكريم وتركها تنساب بين كلامه كما لو كانت من كلامه، وهو

يقصد بذلك إلى تقوية أسلوبه ودعمه بالأسلوب القوى المؤثر المبنى على أرقى مستوى بانى عربى.

التفرقة بين نوعين من التضمين:

وقد يكون مفيداً للقراء أن أنبه إلى إنهناك نوعين من التضمين: الأول هو التضمين بالمعنى الذى عرضناه وو وضع آية من القرآن، أو حديث شريف، أو قول مأثور، أو بيت شعر، وسط العمل الأدبى الجديد نثراً أو شعراً بهدف ترقية الأسلوب وهو ما سناه القلقشندى بالاقتباس، والثانى: هو التضمين الذى نجده فى كتب النحو والعروض والبلاغة بمعنى تعليق معنى بيت على بيت سابق له، مثل قول امرىء القيس:

فقلت له لما تمطى بطلبه ... وأردف إعجازاً وناء لكلل

ألا زيها الليل ألا انجل ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

البيت الأول لايتم له معنى إلا بوجود البيت الثانى، وقد فطن ابن الأثير حين تناول هذا النوع من التضمين إلى نقطة هامة سبق بها عصره، وهى أن النقاد السبقين عليه كانوا يعتبرون هذا النوع من التضمين معيباً لأنه يقوم على ربط بيت ببيت، ولكن ابن الأثير تفطن إلى ما فى هذا النوع من ترابط للمعنى الكلى، أو بلغتنا المعاصرة «الوحدة العضوية» فقال عن هذا النوع من التضمين:

«وهو عندى غير معيب لأنه إن كان سبب عيبه أن يعلق البيت الأول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيباً، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق أحدهما بالآخر».

وزاد على هذا بأن اسشتهد بآيات من القرآن الكريم ارتبط بعضها

ببعض كقوله سبحانه وعالى ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إنى كان لى قرين * يقول أأنك لمن المصدقين * رذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمدينون﴾ الصافات/ ٥١ ـ ٥٣.

يقثول ابن الأثير: فهذه الفقر الثلاث الأخيرة مرتبطة بعضها ببعض، فلا تفهم من كل واحدة منهن إلا بالتى تليها، وهذا كالأبيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ولو كان عيباً لما ورد فى كتاب الله عز وجل.

التى لابد أن نتوقف عندها هى: الحكم الشرعى فى الاقتباس، وهنا لابد من الرجوع إلى المصادر التاريخية الموثوق بها لمعرفة ما إذا كانت هنا سوابق قضائية فى مثل هذه المسزة أم لا؟ وقد سبق لنا أن ناقشنا علاقة الإسلام بالشعر فى مقال كبير استوفى جوانب هذه العلاقة نشرته مجلة العربى الكويتية فى عدد أغسطس ١٩٨٨م. وخلصنا فيه إلى أن الإسلام لم يحرم الشعر كما أنه لم يحرم الغناء على رطلاقه.. بل إن الرسول ﷺ كان يستمع إلى الشعراء ويشحع شعراءه على الرد على شعراد الكفار. غير أن معرفة موقف الرسول ﷺ والصحابة رضى اللهعنهم من مسألة الاقتباس لابد لها من الرجوع إلى دواوين شعراء صدر الرسلام ودراسة شعرهم درساً تحليلياً، وربما تخصص لذلك مقالاً آخر، وأما ما يقتضيه المقام هنا فهو الاكتفاء بما ذهب إليه الإمام الشافعى من أن «الضشعر ضرب من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح».

وفى رأينا أن الوجه الذى طرحت به القضية فى الملحق الثقافى وهو: أمن الأفضل الاقتباس من القرآن الكريم أم من أساطير الغرب وثقافته؟ إن هذا الطرح لايبرر كل زساليب الاقتباس، بل لابد من وجود معايير فنية أخلاقية تحدد كيف يمكن الإفادة من التراث الرسلامى عامة ـ وليس القرآن فقط ـ فى بناء العمل الفنى.

وقبل أن ينفعل أدعياء الحرية ويثيرون التراب فى وجهى أبادر بالقول: إننى لاأقصد بالمعايير الفنية الأخلاقية زية قيوذ تقيد حرية الإبداع، فهذا ما لا يمكن أن يخطر ل يبال، ولكنى أقصد ضرورة مراعاة مشاعر المتلقى الدينية، وهذا هو ما جعلنى أصر على وضع «الحكم الشرعى» كمسألة من المسائل التى تلتبس بقضية الاقتباس القرآنى.

وعلى سبيل المثال، فقد انتقدت فى مقال نشرته مجلة أدب ونقد المصرية عام ١٩٨٧م. عدد مارس، إعجاب أحد الكتاب بقول أمل دنقل:

المجد للشيطان معبود الرياح

من قال: لا فى وجه من قالوا نعم؟

وكان انتقادى منصبا على أسلوب الناقد الذى كتب أن أمل دنقل يمجد قيمة الرفض المطلق وثمل ذروته الشيطان حين «رفض السجود فى وجه الخانعين الخائفين» ففكتبت معقبا على ذلك الهراء: أن كون أمل شاعراً لايعطى له الحق فى المساس بعقائد الناس، وكون الكاتب ماركسيا لايبرر له هذا السخف باسم النقد.

لماذا نقتبس.. وكيف نقتبس:

ربما يكون مدهشا أن نفترض أن بعض الشعراء يسعون إلى الاقتباس دون وعى بسبب هذا السعى، وبتفسير أوضح لايعرفون لماذا يقدمون على الاقتباس، ليست هذه تظرة تشاؤية،ولكننى أشك فى أن بعض الشعراء ـ وأنا أتحدث عن الموجات الحادثية أو الموجات التى طرأت على أرض الشعر العربى بعد حملة التخريب التى قادها أدونيس ومحمد عفيفى مطر ومن جرى مجراهما ـ يماسرون الشعر أو يرتكبون الشعر كما كان يتندر

أستاذنا طاهر أبو فاشا رحمه الله لمجرد أنهم يرغبون فى ذلك لا أن عندهم ما يقولونه، ودليلى على ذلك زنك تقرأ كثيراً مما ينشر الان فى المجلات الأدبية التى تزعم أنها «حديثة أو حداثية» كما يفضلون التعبير عن أنفسهم، فلا تجد فيها إلا غثاء كغثاء السيل، ورغاء وهراء لا طائل من ورائه، وتجدهم وسط هذا الهراء يزجون بآية قرآنية أو جملة قرآنية لا لشيء إلا لمجرد التقليد، وناقد لنعكس هذا الوضع للأسف الشديد على بعض الكتابات النقدية التى أسفت فى الآونة الأخيرة فى استخدام مصطلحات مثل الصوفية للتعبير عن تلك التهويمات الغبية المسترة خلف سياق ذى طابع دينى فى بعض الأحيان.

وحتى تكون البداية صحيحة لابد من وضع هذا السؤال:

لماذا نقتبس:

الاقتباس فى نظرنا يستهدف هدفين:

١ ـ ترقية لغة التعبير.

٢ ـ تفجير طاقات دالى.

فمن حيث الهدف الأول لا خلاف على أن التركيبة اللغوية لاايات القرآن الكريم يأتى على أرقى مستوى يمكن أن يتضمنه الأسلوب العربى. وفى الشعر الحديث تعد التركيبة اللغوية أضعف بكثير من الشعر من حيث الصحة اللغوية ومن حيث الصحة الصرفية ومنن حيث الألفاظ التى شاع استخدامها حتى أسماها د. عبدالقادر القط فى تقديمه لديوان «بدلا من الكذب» للشاعر محمد مهران السيد بـ «الأكليشيهات» ويندر أن تقرأ ديواناً لشاعر معاصر فتجده خالياص من مثل هذه التعابير الجاهزة،

ويكفى للتدليل على ذلك، أن ضرب مثلاً بحافظ إبراهيم ـ وهو من هو بالقياس إلى شعراء هذه الأيام ـ ففى صفحة ٦٠ يقول:

ظنتا ذلك المكان خلاء   لارقيبا يخشى ولا نمانما

والحديث عن فتاتين، والفعل يخشى مبنى للمجهول، وكان الأصوب أن يقول لارقيب لأنه لا وجه للنصب هنا إلا على تأويل سخيف.

وفى صفحة ٦١ يقول فى ذات القصيدة عن الشعرين أحمد شوقى وإسماعيل صبرى:

ملئا لشرق حكمة وأقاما فى ثنايا النفوس أنى أقاما

وعند قراءة البيت وقفا للوزن المستخدم الخفيف لابد من إسقاط ألف الاثنين نن الفعل ملأ، أما إذا بقيت الألف ـ وهى ركن ركين لايصح حذفه ـ فسينكسر الوزن وهذه فى عرف علماء اللغة مخالفة لغوية / صوتى.

فإذا تركنا حافظا إل أمل دنقل ـ وهو من بالقياس إلى أدعياد الحداثة ـ وجدنا الخطأ اللغوى يشيع حتى ليصبح من الصعب حصره، وسأختار أمثلة من ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ـ أرقى دواوينه وأعظمهما ـ ففى صفحة ١١٤ يقول:

«ياسيد الشواهد البيضاء»

فذها خطأ صرفى لغوى، لأن وزن أفعل أبيض، يجمع على فعل بضم الفاد وسكون العين فيكون الصواب الشواهد البيض.

نستخلص من هذا ضعف التركيبة اللغوية فى الشعر الحديث يدفع الشاعر إلى الاستعانة بالتعبير القرآنى، فى محاولة لترقية لغته الشعرية.

ومن حيث الهدف الثانى وهو تفجير طاقات دلالية خاصة نجد أن الشاعر الحديث يعتمد فى تشكيل ضورته الشعرية على مصادر يستولد منها الصورة، منها المصادر المادية مثل الطبيعة الحية كالإنسان والحيوان والنبات، والطبيعة الجامدة وهى معروفة وما أكثر مفرداتها فى الشعر الحديث كالسماء والليل والمطر والرعد والبرق.. إلخ. ثم المصادر الثقافية وهى خلاصة التكوين الثقافى للشاعر بما يشمله هذا التكوين من ثقافة دينية وتاريخية وعلمية.. إلخ. ومن هذا المصدر الثقافى يستولد الشاعر صوره الشعرية فتأتى لتعكس لنا حصيلته الثقافية بشكل غير مباشر عند تحليلنا للعمل الفنى.

ولما كان الشعر بطبيعته فناً جماهيرياً تلقائياً، فإن واحداً من أهداف الشاعر هو أن يتقبل جمهوره شعره قبولا حسناً بالإعجاب والتقدير وهو سبيل تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى عدة تكنيكات فنى أحدهما: إيجاد تفاهم مشترك بينه وبين المتلقى، هذا التفاهم إن لم يكن فى الفكرة كان فى الخيال، وإن لكن يكن فى الخيال كان فى الألفاظ وإن لم يكن فى الألفاظ فى العاطفة، هذه هى المكونات الأساسية للفن الشعرى، وإذا فقد الشاعر التواصل مع جمهوره فمعنى ذلك أنه لم ينجح فى إيجاد خط فكرى أو عاطفى أو لغوى بينه وبين الجمهور، ولعل هذا هو السر فى فشل من يكتبون القصيدة الحدثة المسرفة فى التعامل مع الصورة الغامضة فى الوصول إلى المتلقى (وهذا على افتراض أن ما يقولنه فيه شيد من ماء الشعر).

وهنا يأتى احتياج الشاعر للاقتباس من التعابير القرآنية بوضعها حد أدنى من المشترك الثقافى العام بين المبدع وجمهوره يلجأ إليه الشاعر لتقريب الهوة بينه وبن جمهوره.

ولكن المحذور الأعظم هو أن يشيء الشاعر الاقتباس، وهذا ينقلنا إلى سؤال تال مهم وهو:

كيف نقتبس:

إن الشاعر حين يلجأ إلى التعبير القرآنى ينبغى أن يكون حريصا على تفادى مأزقين هما:

١ ـ ألا يتحول إلى واعظ دينى.

٢ ـ ألا يتحامل على النص الدينى فيسطو على معظمه فما كان المتلقى كما قال الشاعر عبد الستار سليم أن يقرأ النص قرآنيا ولا داعى لتحريفه.

فالمأزق الأول يأتى من ضعف الوعى الفنى وضحالة الفكرة لدى الشاعر، وقديما على بن الجهم يدمح أحد الخلفاء:

الله أكبر والنبى محمد　　　والحق أبلج والخليفة جعفر!

أراد ابن جهم أن يقول قصيدة بمدح أمير المؤمنين فأذنا.

فهتا جاءت السخرية لأن افتتاح القصيدة بتعبير جاهر هو «الله أكبر» مع ضعف البناء الفنى فى البيت ككل، أعطى الجمهور إحساساً بأن الشاعر تحول من فنان إلى مؤذن، وحين يقول ابن سناء الملك مقتبساً من القرآن:

رحلوا فلست مسائلاً دراهم　　　أنا باخع نفسى على آثارهم

فأى فن فى هذا البيت؟

وحين يقول شاعر مغربى مقتبساً وهو يرثى أحد أصدقائه:

قد كان ما خفت أن يكونا　　　إنا إلى الله راجعونا!!

وحين يقول الأحوص الأنصارى:

إذا رمت منها سلوة قال شافع　　　من الحب: ميعاد السلو المقابر

ستبقى لهافى مضمر القلب والحشا　　　سريرة حب يوم تبلى السرائر

فما الجديد الذى أضافه اقتباسه القرآنى؟ أما ما القيمة الجمالية التى اكتسبها البناء الشعرى؟

فى رأينا أن الاقتباس القرآنى لابد أن يتفادى مأزق الخطابة والوعظ، وفى الوقت نفسه لابد أن يتفادى مأزق التحامل الكامل على النص، فلا يأتى شاعر فينظم قصة أهل الكهف مثلا برمتها ويدعى أنها شاعر! كما فعل ذلك الشاعر الذى نظم حديثا شريفاً فقال:

إن القلوب لأجناد مجندة　　　بالإذن من ربها تهوى وتأتلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف　　　وما تناكر منها فهو مختلف!!

أليس فى إمكان القارىء أو السامع أن يؤدى المعنى بتسميع الحديث نفسه، وهذا أفضل؟! إن الاقتباس لابد أن يكون مجرد لمحة فنية انفعلاً ذاهلاً فى المتلقى وتجعله ـ من تلقاء ثقافته الخاصة ـ يستعيد دلالة قصة معينة أو يدرك ما وراء تعبير معين استخدامه الاشعر بحنكة.

فالشاعر حين يتحدث عن حالة حب يريد أن تخاص منها فيستخدم

تعبيراً مثل: أركض برجلك، ويكتفى بهذا، فرنه يثير مشاعر المتلقى بذكاء، فتجيش أحاسيسه بدلالة تاريخية لهذا التعبير الذى استخدمه القرآن لإخراج النبى أيوب عليه السلام من حالة الإحباط والمرض إلى حالة أخرى تتجدد فيها حياته ومعنوياته وهكذا، والشاعر الذى يقول: «سيوضع الصاع برحل الشعراء» ويكتفى بهذا يستثير فى نفس مشاعر ضد التلفيق وتزوير التهم للشعراء، استئناساً بالحيلة الطريفة التى لجأ إليها رجال النبى يوسف عليهالسلام لإبقاء أخيه معه.

وهناك نماذج لاقتباسات رشيدةمثل قول الشاعر محمد يوسف فى ديوانه «غربة الفرفور» صفحة ٣٨: «أبيضت عينا النهر»، فهو هناك يقول لنا أن النهر حزين وأصبح شيخاً كبيراً هرماً، ويفقد أبناءه فيحزن عليهم ويشكو إلى الله.. إلخ هذه الدلالات التيلم يصرخ بها الشاعر، ولكنه تركنا نهيهم معها استئناساً بتعبير «أبيضت عيناه من الحزت» الوارد فى حق نبى الله يعقوب عليه السلام.

ولكن حين يقول أمل دنقل:

والتين والزيتون

وطور سينين وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين من سبتمير الحزين

رأيت هتاف شعبى الجريح

رزيت خلف الصورة

وجهك يا منصورة!!

فما الذى أضافه تضمين آيات القرآن وتحريفها؟ وهل لو زقسم بالطلاق مثلا بدلا من أن يقسم بالتين والزيتون.. كنا سنكذبه؟

ختاما نوجز رؤيتنا فيأنه من الضرورى أن توجد معايير فنية/أخلاقية لضبط عمليات الاقتباس القرآنى مثل:

١ ـ أن يكون الاقتباس ضرورة فنية ولاتضعف العمل الفنى.

٢ ـ ألا يأتى الاقتباس فى إطار يصادم العقيدة أو الشريعة التى هى جزء زساسى من ثقافة المتلقى، والجرأة فى مثل هذا ليست من الفن فى شىء، ولاتعدو كونها وقاحة أخلاقية.

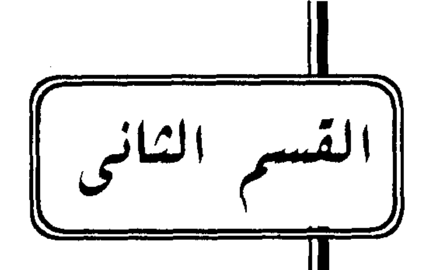
٣ ـ ألا يكون الاقتباس نص قرآنى بصورة مباشرة مثل حالة القسم بالتين والزيتون على شىء يمكن القسم عليه «بالعيش والملح» كما يقولون فى مصر!

٤ ـ يمكن أن تيفرغ الاقتباس القرآنى إلى نوعين:

أ ـ اقتباس دلالات قصصية.

ب ـ اقتباس تعابير أو تراكيب لغوية.

وآمل أن أكون قد وضحت وجهة نظرى.. والله من وراد القصد.



دراسات فى السنة النبوية

مدخل:

من المعلوم بالضرورة أن السنة النبوية المطهرة تأتى فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث مصادر الفكر الاسلامى. ومن هنا نشأت الحاجة إل العناية بعلوم السنة وبحوثها على مدى التاريخ. ومن هنا ـ أيضاً ـ جاءت مواطن غمز أعداء هذا الدين الذين أدركوا من فترة مبكرة أن مطاعنهم إذا اتجهت الى القرأن فستبوء بالخسران لا محالة. فاتجهوا بسمومهم وأحقادهم الى السنة النبوية بهدف التشكيك فيها مما حدا بعلماء المسلمين ـ إلى السهر المتواصل على حفظ السنة وصيانتها من الدس والغمز والطعن.

وليس هنا مجال التفصيل فى هذه النقطة. ولكننا سنكتفى بالإشارة إلى أهمية السنة ومكانتها ثم نخلص الى موقع القصة منها:

علاقة السنة بالقرآن الكريم:

للسنة من حيث علاقتها بالقرآن الكريم حالتان: إما أن تكون شارحه له، أو تكون زائدة عليه، فان كانت زائدة عليه بحث العلماء فى مدى اتفاق هذه الزيادة ـ بعد التأكد من صحتها سنداً ومتناً ـ مع القرأن الكريم وإذا ثبت اتفاقها مع نصوص القرأن وجب العمل بها بلا خلاف.

أما إن كانت متفقة مع القرآن، شارحه له فإتها تسير على طرق أربع هى:

أ ـ أن تكون مؤكدة للقرآن:

أن يكون ما جاء فيها متفقاً مع نص قرآنى صريح كقوله ﷺ: «لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيبة من نفس» فأنه مؤكد لقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، الا أن تكون تجارة عن

تراض منكم» (النساء: ٢٩). وعلى ذلك يكون حكم تحريم أكل أموال الغير بالباطل له دليلان: من القرآن ومن السنة.

ب ـ أن تكون مفسرة لنص مجمل:

فالأحاديث المختلفة التى بين تفاصيل هيئة الصلاة وأحكامها فسرت عموم قوله تعالى «وأقيموا الصلاة»، وكذلك الحال فى الصيام والزكاة والحج حيث جاءت نصوص القرآن مجملة وأخذ المسلمون تفسيرها من فعل الرسول ﷺ وأقواله.

جـ ـ أن تخصص نصاً قرآنيا عاما:

فقوله ﷺ «لايرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم»[(١)] وقوله «لايرث القاتل»[(٢)] جاء العموم قوله تعالى: «يوصيكم الله فى أولادكم: للذكر مثل حظ الانثيين» (النساء: ١١) فالنص القرآنى ـ على ظاهره ـ عام يفيد طريقة توريث الأبناء. فجاءت السنة فخصصت ذلك ببيان أن ديانة الابن والأب إذا اختلفتا فلا يتوارثان، كما بينت فى الحديث الثانى أن قاتل أبيه لا يرثه لأنه استعجل الشيء قبل أوانه.

د ـ أن تقيد نقصا قرآنيا مطلقا:

فقوله تعالى: «والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما« (المائدة: ٣٨) مطلق فجاءت السنة فقيدت هذا الإطلاق وبين أن القطع إنما يكون فى

(١) صحيح مسلم، كتاب الفرائض جـ٣ ص ١٢٣٣ عن أسامة بن زيد.

(٢) ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ) سن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، بيروت: (دار إحياء التراث العربى. د.ت.جـ٢ ـ ٩١٣ حديث رقم ٢٧٣٥.

اليد اليمنى، كما أن النص مطلق يكون من الرسغ. وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حين أتى بسارق فقطع يده من مفصل الكف[١].

انفراد السنة بالتشريع:

وفيما عدا الحالات الأربع السابقة وماقد ينضوى تحتها، تنفرد السنة النبوية بتشريع الأحكام وبيان الآداب التى يجب على المسلم الإلتزام بها فمن أمثلة ذلك:

أ ـ ما جاء عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب: من خال أو عم أو أخ»[٢].

ب ـ قوله ﷺ «لايجمع بين المرأة وعمتها ولابن المرأة وخالتها»[٣].

جـ ـ تحريم الذهب والحرير على الرجال.

د ـ تحليل ميته البحر.

هـ ـ سنة صلاة الوتر.

أدلة الالتزام بالسنة:

وقد تسول النفس الإمارة بالسوء لإنسان أن يتنصل من العلم بالسنة مدعيا أن فى القرآن ما يكفى المسلم، وهذا إفك عظيم لا يقول به إلا مارق من الدين للأدلة التالية:

(١) صحيح البخارى، كتاب الحدود/ باب فى قوله تعالى: «والسارق والسارقة» مجلد ١٢ ص ٩٦، ٩٧.

(٢) السابق، م ١ ص ١٢٠.

(٣) صحيح مسلم، مرجع سابق، جـ٢، ٢ ١٠٢٨

أولاً: وضح نصوص القرآن التي تلزم المسلم باتباع الرسول ﷺ في جميع ما أمر به أو نهى عنه فمن ذلك:

١ ـ قوله تعالى: «قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين» (آل عمران: ٣٢).

٢ ـ قوله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله» (آل عمران: ٣١).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ﴾ (النساء: ٥٩).

٤ ـ قوله تعالى: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم» (النساء: ٦٥).

٥ ـ قوله تعالى: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» (القصص: ٥٠).

٦ ـ قوله تعالى: «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر: ٧).

وهناك عشرات الايات الأخرى التي تؤكد هذا لامعنى وهو: وجب اتباع ما جاء به النبي ﷺ.

ثانياً: وضوح نصوص السنة التي تلزم المسلم باتباعها. فمن ذلك:

١ ـ قوله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه. ألا يوشك رجل

شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. إلا وأن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرمه الله»[1].

٢ ـ قوله ﷺ «إنى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنه نبيه»[2].

٣ ـ قوله ﷺ «إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلاله. فمن أدرك فذلك منكم فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ[3]».

ثالثاً: اجماع المسلمين على ضرورة الالتزام بالسنة: فمن ذلك:

١ ـ ما روى عن ميمون بن مهران ـ أحد ثقات التابعين وفقهائهم ـ فى قوله تعالى «فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون «قال ميمون الرد الى الله هو الرد الى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد اليه فى حياته والى سنته بعدمماته»[4].

٢ ـ ما روى عن عبدالله بن مسعود ـ أحد الصحابة العلماء ـ أنه قال «إذا سئلتم عن شيء فانظروا فى كتاب الله فان لم تجدوه فى كتاب الله ففى سنة رسول الله[5].

---

(١) الدارمى (ت ٢٥٤هـ) سنن الدارمى (بيروت: دار الكتب العلمية. د. ت، المقدمة باب السنة قاضية جـ١)، ص ١١٧.

(٢) الحاكم النيسابورى، المستدرك على الصحيحيين، بيروت: دار المعرفة، م١، ص ٩٣ كتاب العلم/ باب خطبة الوداع.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، مرجع سابق، م٤، ص ١٢٦.

(٤) ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) جامع بيان العلم وفضله، القاهرة: دار الطباعة المنيوية د.ت، جـ١، ص ١٨٧.

(٥) سنة الدارمى، مصدر سابق، باب الفتيا، جـ١، ص ٥٣.

فهذان النصان ـ وغيرهما ـ دليل على أن الأمة الإسلامية اتفقت كلمتها من أيام الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم على ضرورة الالتزام بالسنة كمصدر ثان للتشريع بعد القرآن مباشرة، أو كمصدر أول بالنسبة لما لم يرد فيه نص فى القرآن. وهى بهذه الصفة ـ أقصد فى حالة عدم وجود نص فى القرآن ـ تعد مصدرا ثانيا إذا وضعنا فى الاعتبار أوامر القرآن القاطعة التى أوردناها سابقا باتباع الرسول وطاعة أوامره. أى أنها ـ هنا ـ مصدر أول من الناحية الشكلية فقط. بمعنى أن السنة التى تتضمن أحكاما لم يرد بها نص قرآنى صريح تستمد قوتها وشرعيتها وحجيتها والزامها من النصوص القرآنية الصريحة التى توجب على المسلم طاعة الرسول ﷺ واتباع أوامره جميعاً.

أقسام السنة بصفة عامة:

تختلف تقسيمات العلماء للسنة النبوية تبعاً لاختلاف تخصصاتهم وأهداف مناهجهم فمثلاً علماء الحديث يعرفون السنة بأنها:

«كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول، أو عمل، أو تقرير أو خلقية (بسكون اللام) أو خلقية (بضم الخاء واللام) أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها»(١).

وهذا التعريف يجعلها أقساما ستة هى (القول ـ الفعل ـ التقرير ـ المظاهر الخلقية (كاللباس والجسم وما إليهما) ـ الأخلاق ـ السيرة).

وأما علماء أصول الفقه الذين ينصب اهتمام علومهم على أدلة الأحكام فهم ينظرون من السنة الى جانبها التشريعى فصار تعريف السنة عندهم مرتبطا بأهداف مناهج علومهم فهى عندهم:

---

(١) محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث، ط٣ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٥) ص ١٨.

«كل ماصدر عن النبى ﷺ غير القرآن ـ من قول، أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعى»[1].

وأما علماء الفقه الذين ينحصر بحثهم فى الحكم الشرعى من حيث: الوجوب، أو الحرمة، أو الندب (الاستحباب)، أو الاباحة. فأن تركيزهم فى تعريف السنة ينصب على أفعال الرسول ﷺ التى تفيدهم فى معرفة الحكم الشرعى. فالسنة عندهم ـ بهذا الفهم ـ تقابل الواجب أو الفرضى. أى أنهم إذا قالوا: هذا الفعل واجب فمعناه أنه يلازم كل مسلم عمله ويثاب على عمله ويعاقب على تركه، أما إذا قالوا: هذا الفعل سنه فمعناه أنه فى الدرجة الثانية بعد الواجب أو الفرضى أى يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.

فتعريف السنة عندهم:

«كل ما ثبت عن النبى ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب»[2].

وموازنة التعريفات الثلاثة السابقة تثمر النتائج التالية:

١ ـ إن تعريف علماء الحديث أوسع التعريفات لأنه شمل كل ماورد عن الرسول ﷺ سواء أكان قبل البعثة أم بعدها، وسواء أأثبت حكما شرعيا أم لم يثبت.

٢ ـ أن من السنة القولية والفعلية ما لا يثبت حكما شرعيا بشكل صريح كالقصة النبوية مثلا وهذا لم يلتفت اليه الأصوليون.

(١) المرجع السابق، ص ١٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩.

٣ ـ أن تعريف الفقهاء يركز على الجانب الفعلى بالدرجة الأولى يليه الجانب القولى فالتقريرى.

٤ ـ أن الحد الأدنى المشترك فى التعريفات الثلاثة هو الإتفاق على الجوانب الثلاثة (القول ـ الفعل ـ التقرير).

السنة القولية:

وواضح من تسميتها أنها أقوال الرسول ﷺ فى المناسبات والمواقف المختلفة خلال حياته وقد يكون بعضها أقوى من بعض من حيث السند (سلسلة الرواة)، أو أوضح من بعض من حيث الدلالة على الأحكام الشرعية. وسنعود بعد قليل لالقاء مزيد من الضوء على هذا النوع من السنة.

السنة الفعلية:

وهى تصرفات الرسول ﷺ التى نقلها عنه أصحاب رضوان الله عليهم وفعلوها أو أوصوا بفعلها تأسيسا بالسلوك النبوى وتمشياً مع قوله تعالى: «لقد كان لكم فى رسول أسوة حسنة» (الأحزاب: ٢١). فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبيد بن جريح أنه قال (أى عبيد بن جريح) لعبد الله بن عمر بن الخطاب: يا أبا عبدالرحمن رأيتك تصنع أربعا لم أر من أصحابك من يصنعها. قال: ماهن يا ابن جريح؟ قال: رأيتك لاتمس من الأركان الا اليمانيين[١] ورأيتك تلبس النعال السبتية[٢] ورأيتك تصبغ بالصفرة (أى تصبغ شعرك باللون الأصفر) ورأيتك اذا كنت بمكة أهل الناس اذا رأوا الهلال ولم تهلل. فقال ابن

(١) الركن اليمانى (فى اكعبة) الذى يبدأ منه الطواف حولها.

(٢) السبتنية: (بكسر السين وتشديدها): السعال المصنوعة من جلد البقر وليس فيها شعر.

عـمـر: أمـا الأركـان فـانى لم أر رسـول الله ﷺ يلبس النعـال التى ليس فيهاشعر ويتوضأ فأنا أحب أن البسها وأما الصفرة: فأنى رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها. وأما الاهلال بانى لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به ناقته[1].

ومن قبيل السنة الفعلية ما نقل إلى المسلمين وصار عليهم حجة من أفعال الرسول ﷺ فى صلاته وصومه وحجة فكل تفاصيل هذه العبادات منقولة من فعل الرسول ومن أمثلتها ما رواه الحاكم بسنده عن أبى بكر عن أبيه أن النبى ﷺ كان يقول فى دبر الصلاة: اللهم أنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»[2]. ويدخل فى نطاق السنة الفـعليـة تلك الأحكام الشرعية التى روى الصحابة فعلها عن الرسول من أمثلتها ما رواه ابن مـاجـه بسنده عن ابن عبـاس «ان النبى ﷺ جـعل الديه اثنى عـشر ألفا»[3].

السنة التقريرية:

وهذا القـسم من السنةيضم كل الأقـوال التى قـيلت، أو الأمـور أو الأفعال التى جرت أمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فسكت عنها أو وافق عليها أو لم ينكرها أ واستحسنها وبذلك يعتبر ما أقره الرسول كأنه صدر عنه فمن ذلك ما روى من أنه ﷺ مر بامرأة تبكى على قبر فقال لها: اتقى الله واصبرى فقالت المرأة: إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ـ وهى لم تعرفه. فلما عرفته جاءته معتذرة فقال لها: «إنما الصبر عند

(١) مسند أحمد، مرجع سابق، جـ٢، ص ٦٦.
(٢) الحاكم النيسابورى، مرجع شابق، م١، ص ٢٥٢، وعب عليه بقوله: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووالقه الذهبى (كتاب الصلاة).
(٣) ابن ماجه، مرجع سابع، م٢، ٨٧٨ (كتاب الديات/ باب ديه الخطأ).

الصدمة الأولى» فاستنتج الفقهاء من رؤيته اياها عند القبر وسكوته على ذلك جواز زيارة المرأة للقبور ومن ذلك ما روى من أن المنافقين كانوا يطعنون فى نسب أسامة بن زيد لأنه كان شديد السواد وكان أبوه زيد شديد البياض، وبينما كان أسامه وأبوه نائمين فى المسجد وقد ظهرت أقدامهما من تحت الغطاء ومر قائف[1] فرأى أقدامهما فقال: هذه الأقدام بعضها من بعض فظهر السرور على وجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان فى المسجد فى ذلك الوقت[2] فكان إقراره بهذا السرور الذى ظهر عليه دليلا على أن القيافه طريقة من طرق اثبات النسب.

أقسام السنة القولية:

لم يقدم لنا السابقون تقسيمات مفصلة للسنة القولية ففى مؤلفات علماء الحديث وعلماء الفقه وأصول الفقه لانجد أكثر من مجرد نماذج معينة لعدة أحاديث عامة ينونون بها السنة القولية تفريقاً بينها وبين السنتين الفعلية والتقريرية. وفيما يلى سنجتهد فى تقسيم السنة القولية الى ما يمكن تصوره من أقسام:

أ ـ الأوامر:

الأمر صورة من صورة السنة القولية وهو طلب الرسول ﷺ من شخص أو أكثر فعل شيء. وقد يأتى الأمر عاما فيكون موجهاً للمسلمين كافة. ويختلف حكم تنفيذه والعمل به بحسب قرائن صدوره. والأوامر

---

(١) القيافه: معرفة خواص الجسم الخارجية.

(٢) زكى الدين شعبان، اصول الفقه الاسلامى، ليبيا: منشورات جامعة قار ينوس، ط٤، ١٩٧٩، ص ص ٥٧ ـ ٥٨.

النبوية فى السنة القولية كثيرة كقوله ﷺ الذى رواه أبو هريرة «ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه»[1] وقوله الذى رواه جابر بن عبدالله «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو ليعتزل مسجدنا»[2] وقد يأتى الأمر خاصا أى موجها الى شخص معين من الصحابة فى أمر معين. وهنا يمكن للفقهاء أن يختلفوا حول وجوب العمل بهذا الأمر أو جوازه أو إباحته بحسب قرائن الأحوال ومدى اتفاق هذا الأمر الخاص مع الأصول العامة للشريعة من الكتاب والسنة الاخرى التى قد تعضد هذا الأمر أو تخالفه. وللأوامر بعامة صور معروفة فى اللغة منها أن يقترن الفعل المضارع بلام الأمر مثل «ليأكل أحدكم» أو يأتى الفعل مجرداً منها مثل «سم الله وكل بيمنيك» وقد يكون الأمر مروياً على لسان الصحابة كقول الصحابى «أمرنا رسول الله ﷺ أن نفعل كذا أو كذا «فإذا صح مثل هذا الحديث كان من الأوامر النبوية لأن الصحابة كلهم عدول ثقات ولابد أن ما ينقلونه من أوامر الرسول عليه السلام سمعوه منه بأنفسهم أو سمعه بعضهم من بعض وقد كانوا يتشددون فى رواية الأحاديث تشدداً يجعلنا نقبل رواية الصحابى من غير شك. وإلى جانب هذا التشدد كانوا يقلون من الرواية خشية الوقوع فى الكذب وهم يعلمون الحديث الصحيح المتواتر الذى يتوعد الكاذبين على رسول الله ﷺ بالنار.

ب ـ النواهى:

النهى هو خلاف الأمر فإذا كان الأمر يعنى طلب فعل شىء ما، فان النهى يعنى طلب عدم فعل شىء ما، أو بلغة الفقهاء «طلب الكف عن

---

(١) ابن ماجه، مرجع سابق، م٢ ص ١٨٠٧ (كتاب الاطعمة/ باب الأكل باليمين).

(٢) البخاير (فتح البارى) م٩، ٢ ٥٧٥ (كتاب الأطعمة/ باب ما يكره من الثوم والبصل).

فعل شيء». والمنهيات هى الأشياء التى طلب الرسول على الصلاة والسلام عدم فعلها وقد أفرد لها الإمام محمد بن على الحكيم الترمذى كتابا خاصا لانعرف غيره فى التراث العربى بهذه الخصوصية[1].

وللنواهى بوجه عام صيغتان شائعتان هما:

١ ـ أن يأتى النهى فى صورة فعل مضارع مسبوق بلا الناهية مثل قوله تعالى: «ولا تقربوا الزنا» الإسراء: ٣٢.

٢ ـ أن يأتى بصورة غير مباشرة باستخدام الفاظ تدل بذاتها على النهى مثل: نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كذا أو كذا. أو ألفاظ تدل على التحريم مثل قوله تعالى فى اية المحرم زواجهن ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ﴾ إلى آخر الاية (النساء: ٢٣).

وبخلاف هاتين الصيغتين قد يأتى النهى فى صيغ أقل شيوعا منها:

١ ـ استخدام لفظ (إيا) مضافا إلى ضمير المخاطب وهذه صيغة من صيغ التحذير مثل إياك أن تفعل كذا، أو إياكم أن تفعلوا كذا، أو إياكم وفعل كذا.

٢ ـ استخدام أسلوب إنشائى معنى خبرى لفظا مثل «من أراد كذا فلا يفعل كذا» فهذا فى ظاهره خبر ولكنه انشائى فى المعنى. ومن المعروف أن الأمر والنهى من أقسام الكلام الانشائى.

٣ ـ استخدام الفعل (دع) بمعنى اترك وهذا وان كان أمرا فى

---

(١) محمد بن على الحكيم الترمذى، المنهيات، تحقيق محمد عثمان الخشت (القاهرة: مكتبة القرآن، ٨٦.

ظاهره فإنه نهى فى الحقيقة كقوله عليه الصلاة والسلام «دع ما يريبك الى ما لا يريبك»(١).

جـ ـ القصص:

يبقى من السنة القولية بعد الأوامر والنواهى تلك القصص التى كان رسول الله ﷺ يقصها على أصحابه، وهى موضوع اهتمامنا فى هذه الدراسة لأن هذه القصص لم تكن بدافع التسلية بقدر ما كانت بدافع التعليم والتأديب والاعتبار بما فيها من عبر.

وإذا أطلقنا تعبير «القصص فى السنة» فقد نجد أنفسنا بازاء نوعين من القصص هما:

الأول: القصص التى وقعت أحداثها أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورواها عنه الصحابة الذين كانوا أبطالها أو معاصرين لحدوثها وكثير من هذا النوع موجود فى كتب المغازى والسير.

الثانى: القصص التى وقعت أحداثها قديمًا وحكاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه تذكيراً لهم وتعليمًا. وهذا القسم هو موضع اهتمامنا وموضوع دارستنا هذه المتواضعة. وقد قصرنا استشهاداتنا على صحيحى البخارى ومسلم دون بقية كتب السنة لما يتمتع به هذان الكتابان من أعلى درجات الثقة بين كتب الحديث كما سنوضح فى السطور القادمة.

---

(١) ذكره صاحب «كنز العمال» وعزاه الى أحمد فى مسنده الى الترمزى وابن حيان المتقى الهندى (على بن حسام الدين ت ٩٧٥هـ)، كنز العمال فى سن الأقوال والأفعال، شرح وتصحيح بكرى حيانى وصفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٩٨٩م، م٣، ٤٢٩.

مكانة الصحيحين بين كتب السنة :

معنى كلمة «صحيح» ودرجاتها:

حتى قبل القرن الثالث الهجرى كان العلماء يقسمون الحديث إلى مقبول (أو صحيح) وهو ما توفرت له الشروط التى تعارفوا عليها لاعتبار الحديث صحيحاً ومردود (أو ضعيف)، وهو الذى يفتقد أحد هذه الشروط.

ثم تطور هذا القسمان إلى ثلاثة أقسام فيما بعد القرن الثالث وهى:

١ ـ صحيح ٢ ـ حسن ٣ ـ ضعيف

وتعريفات الحديث الصحيح كثيرة فى كتب علماء الحديث وخلاصتها أنه «الحديث الذى يتصل سنده برجال عدول ضابطين من أول السند إلى نهايته من غير شذوذ ولاعله».

والمقصود بالسند: سلسلة الرواه. وبالعدول: جمع عدل (لفتح العين وسكون الدال) وهو المسلم البالغ العاقل السالم من الفسق والمحافظ على مروءته والمعروف لمن يعاصرونه بهذه الصفات. وبالضابط: الذى يروى ما يسمعه بالضبط دون تحريف أو تبديل ويظل على هذه الصفة طوال حياته فإذا اختلط عقله أو تغيرت حاله لم يصبح ضابطا لما حفظه فتسقط روايته. والمقصود بالشذوذ: ما يرويه عدل ضابط ولكنه يخالف فيه ما رواه جماعة مساوون له فى الدرجة بزيادة أو نقص فهنا يصبح حديثه شاذاً. والمقصود بالعلة: انقطاع السند بين راو وآخر وما شابه ذلك من علل يعرفها أهل الاختصاص وبذلك تكون خلاصة شروط الحديث الصحيح:

١ ـ اتصال السند.

٢ ـ عدالة كل راو من الرواه.

٣ ـ ضبط كل راو من الرواة ضبطا تاما.

٤ ـ سلامة سند الحديث (ومتنه) من الشذوذ.

٥ ـ سلامته من العله.

وأما الحديث الحسن فهو ما استفى الشروط الخمسة السابقة إلا الشرط الثالث فقد تخف درجة ضبط أحد الرواه فيسمى الضبط حينئذ ضبطا غير تام فيكون الحديث حسنا وهو عموما من أقسام الحديث. أما الضعيف فهو الذى يفقد فقداناً تاما. أحد الشروط السابقة ولكل قسم من الأقسام الثلاثة أنواع متعددة مفصله فى كتب علوم الحديث(*).

تفاوت درجات الصحيح:

تتفاوت درجات الحديث الصحيح عند علماء الحديث بقدر تحرى الرواه ومدى ضبطهم ودقتهم وهذه الدرجات المجمع عليها:

المرتبة الأولى: ما اتفق عليه البخارى ومسلم ـ أى اخرجاه فى صحيحيهما ـ وهذا معنى المصطلح المعروف «متفق عليه».

المرتبة الثانية: ما انفرد البخارى بروايته دون مسلم.

المرتبة الثالثة: ما انفرد مسلم بروايته دون البخارى.

المرتبة الرابعة: ما استوفى شروطهما ولم يخرجاه فى صحيحهما.

المرتبة الخامسة: ما استوفى شروط البخارى ولم يخرجه فى صحيحه

المرتبة السادسة: ما استوفى شروط مسلم ولم يخرجه فى صحيحه.

المرتبة السابعة: ما صح عند غيرهما وليس على شروطهما ولا على شروط أحدهما.

وبناء على هذا التقسيم المعتمد لدى علماء الحديث وقع اختيارنا على صحيحى البخارى ومسلم بوصفهما حائزين أعلى درجات الثقة. كما اخترنا القصص التى اتفقنا عليها لتكون عينة لهذه الدراسة ماعدا قصة واحدة انفرد بها أحدهما.

أولاً: صحيح البخارى:

قبل الامام البخارى كان الامام الشافعى (ت: ٢٠٤هـ) يقول «مابعد كتاب الله أصح من موطأ مالك «وذلك لأن الموطأ للامام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ) كان أول كتاب جمع فيه صاحبها الاحاديث الصحيحة الا أن علماء الحديث يرون ان كتابه الموطأ لم يخل من الأحاديث المرسلة (أى التى انقطع بعض سندها) أو البلاغات (أى الأحاديث المصدره بكلمة بلغنى أن كذا) وهذان النوعان ـ وقد يكونان صحيحين ـ ليسا مما يعرف لدى علماء الحديث ـ (الصحيح المجرد) أى المستوفى للشروط السابقة بدقة.

ومن هنا فإن الإجماع منعقد على أن صحيح البخارى (ت:

(*) يمكن مثلاً مراجعة ذلك فى المراجع التالية:
- الشوكانى، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الاصول (بيروت: دار الفكر. د.ت).
- ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحدث، المتن الابن كثير والشرح للشيخ أحمد شاكر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣).
- توفيق سالمان، المنهل الحديث فى علوم الحديث (القاهرة: كلية أصول الدين بالأزهر، ١٩٩١م).
- اسماعيل مخلوف، دراسات فى علوم الحديث (القاهرة: مطبعةالفجر الجديد، ١٩٩١م).

٢٥٦هـ) هـو أول كـتـاب وضع بهـدف جـمع الأحـاديث الصـحيـحة المجردة.

فمن هو البخارى؟

هو أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم الملقب بالبخارى نسبة الى بخارى التى ولد بها عام ١٩٤هـ. وقد طلب العلم فى معظم البلاد المعروفة بوجود العلماء فيها فى عصره كالشام ومصر والجزيرة (سافر إلى كل منها مرتين) والبصرة (أربع مرات) وأقام بالحجاز ست سنوات فضلا عن طول إقامته بالكوفة وبغداد وأسفاره الى بلخ وحمص وغيرهم وقال عن نفسه: كتبت عن أكثر من ألف رجل.

وقد اشتهر البخارى بذكائه الخارق وقوة حفظه الشديدة لدرجة أن بعض علماء عصره أرادوا أن يمتحنوه فقرأوا عليه مائة حديث دفعة واحدة وتعمدوا خلط أسماء الرواه فى أسانيدها. فلما أجاب عليهم رد الأسانيد والمتون إلى أصولها مما جعل الحافظ بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) الذى شرح صحيح البخارى بكتابه الشهير «فتح البارى: شرح صحيح البخارى» يقول إنه لا يعجب من تصحيح الإمام البخارى للاسانيد المغلوطة عمداً بهدف امتحانه. وإنما يعجب حقا من سرعة حفظه للأحاديث المائة بترتيبه المغلوط ثم ردها فى الحال بنفس ترتيبها.

وقد قيل عن البخارى أنه لم يغتب أحدا قط منذ علم أن الغيبة حرام. وشهد له بالتقوى والورع وسعة الحفظ أساتذته ومعاصروه فضلا عن تلاميذه. وقال هو عن نفسه: أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى الف حديث غير صحيح.

كتاب صحيح البخارى:

اسم الكتاب فى الأصل هو «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه «وقد بين البخارى أن سبب تأليف كتابه أمران» هما:

١ ـ رغبة شيخة وأستاذه اسحق بن راهوب إلى تلاميذه فى وضع كتاب لصحيح السنة.

٢ ـ رؤيا رأى فيها نفسه مع النبى ﷺ وهو (أى البخارى) يذب عنه بمروحه فى يده (أى يدافع عنه) وسأل عن تفسيرها أهل العلم فقالوا له: أنك ستدفع عنه الكذب مما حمله على الشروع فى جمع كتابه.

وقد استغرق البخارى فى تأليف كتابه هذا ست عشرة سنة جمعاً وتدقيقاً وجمع فيه تسعة آلاف واثنين وثمانين حديثا كما يقول ابن حجر فى المقدمة منها آلفان واثنان وستمائة حديث موصولا بلا تكرار وسبعة آلاف وثلاثمائة، وسبعة وتسعون حديثا غير موصول. وذلك أن الإمام البخارى كان يذكر الحديث فى أكثر من باب من الأبواب التى قسم كتابه إليها فقد يأتى به هنا موصولاً وهناك مقطوعا(١) أو معلقا(٢) أو مرفوعا(٣). وهكذا وللعلماء اختلافات فى عدد ما فى البخارى من الأحاديث بسبب طريقته فى ايراد الحديث فى أكثر من باب.

(١) المقطوع: أى الذى لاى كون صنده متصلا.

(٢) المعلق: أن لايذكر مخرج الحديث اسم من سمعه منه وللتعليق صيغتان: صيغة جزم كأن ايوقل (وروى، وجاء.. وعن..) بدلاً من تعبيرات الموصول (حدثنا فلان أو أخبرنا فلان عن فلان). وصيغة التمريض التى توحى بشلك المخرج فى الحديث كأن يقول (قيل، ويذكر.. ويروى..) وهكذا..

(٩٣ المرفوع:

وقال الإمام البخارى: أخرجت الصحيح من ستمائة ألف حديث، وما كتبت حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وما أدخلت فى الجامع إلا ما صح».

وكان الامام البخارى يشترط فى الذى يروى له حديث أن يكون قد لقى من يروى عنه وسمع منه الحديث بنفسه. أما الامام مسلم فكان يتساهل فى هذا الشرط ولا يشترط اللقاء بين الرواين ومن هنا اعتبر العلماء صحيح البخارى أعلى درجة من صحيح مسلم كما أن جميع رواة البخارى من حيث العدالة والضبط كانوا اثنين وأوثق من رواه مسلم وقد أفردت كتب مخصوصة للترجمة لحياة رجال البخارى ورجال مسلم.

ثانياً: صحيح مسلم:

من هو الإمام مسلم؟

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيرى النيسابورى ولد سنة ٢٠٢هـ وقبل ٢٠٤ وقبل ٢٠٦هـ ورحل الى مكة سنة ٢٢٠هـ وإلى كل من الكوفة ومصر وغيرهما. وقد تتلمذ وسمع من الإمام البخارى ولازمه وكان من أكثر تلاميذه استفادة من علمه وأدبه. وتوفى سنة ٢٦١هـ. وقد أثنى عليه العلماء وأشادوا بقوة حفظه وورعه وتلقت الأمة بالقبول منذ وضعه الى اليوم.

صحيح مسلم:

واسم كتابه «الجامع الصحيح» وقد ألفه أو جمعه من الأحاديث الصحيحة ليشتغل الناس بما فيه من علم نافع عما شاع فى عصره من

قصص القصاصين وافتراءات الزنادقة وأكاذيب أصحاب الفرق الضالة وكلهم كان يضع الحديث كذباً ليقوى به مذهبه.

ويمتاز كتاب مسلم عن كتاب البخارى بأنه يجمع أحاديث الباب الواحد معاً ويسوق الحديث بأسانيده المختلفة. ومن دقة الإمام مسلم أنه يذكر جميع الشيوخ الذين سمع منهم حديثاً معيناً ثم يثبته بعد ذلك مشيراً إلى اسم الشيخ الذى يتقيد بروايته عند الكتابه. وللكتاب مقدمة فى تقسيم الأخبار وطبقات الرواه وعلى أيهم اعتمد فى صحيحه ويعتبرها بعض الباحثين من المؤلفات المبكرة فى علوم الحديث.

وقد قال الإمام النووى إن عدد أحاديث صحيح مسلم نحو أربعة آلاف حديث بعد إسقاط المكرر.

ويعد هذه اللمحة الموجزة عن الصحيحين نشير إجمالاً الى ما أورده ابن كثير وابن الصلاح وغيرهما من أن الأمة تلقت هذين الكتابين بالقبول وكل ما فيهما صحيح بلاشك. إلا أن هناك عدة أمور تستحق الإشارة وهى:

١ ـ أن الكتابين لم يستوعبا كل ما صح عن رسول الله ﷺ بل هناك كتب أخرى أكثرها صحيح كصحيح ابن خزيمة ابن حيان والمستدرك للحاكم والموطأ لمالك.

٢ ـ أن بعض ما لاحظه كبار علماء السلف كالدار قطنى وغيره ويردده بعض المتهافتين فى هذه الأيام دون وعى لم يكن معناه انتقاد أحاديث يعينها فى الصحيحين من حيث الصحة لأن الدار قطنى وغيره يعلمون حجة جميع ما فيها ولكنهم أشاروا إلى أن الإمامين

رحمهما الله لم يلتزما فى بعض الأحاديث التزاما دقيقا بتلك الشروط الفنية التى أعلنوا عن التزامها من حيث العدالة أو الضبط أو اتصال السند. ولكن الإمامين لم يذكرا ذلك فى مجموع الأحاديث الصحيحة وإنما أشارا إلى ما فى مثل هذه الأحاديث من علل فنية لكنها فى جملتها صحيحة.

٣ ـ أن تكريس عشرات المؤلفات على مدى العصور لشرح الكتابين فيه دلالة على أهميتهما.

القصص فى الصحيحين:

انتهينا عند تقسيم السنة القولية الى أنها تضم ثلاثة أقسام هى:

١ ـ الأوامر ٢ ـ النواهى ٣ـ القصص

والقصص فى كتب السنة من الكثرة بحيث قد يصعب على القارىء أن يستخلص منها ما تهدف إليه من غير أن يلم بأطرافها جميعا.

واذا كانت وظيفة الأوامر والنواهى واضحة فى ذهن المسلم، فان أهداف القصص النبوى لابد لها من أن تكون واضحة هى الأخرى حتى لاتؤخذ على أنها ضرب من التسلية والترفية. والله تعالى يقول عن نبيه الكريم: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى». (النجم: ٣، ٤).

وقبل أن نخوض فى الحديث عن أهداف القصص النبوى يحسن بنا أن نصنف تلك القصص وهناك معياران للتصنيف نستطيع الأخذ بأحداهما:

الأول: معيار فنى. تصنف فيه القصص إلى نوعين:

أ ـ قصص قصيرة جداً: وهي تلك التى لا تتجاوز روايتها بضعة أسطر وتخلو غالباً من الأحادث الكثيرة والشخصيات الكثيرة والحوار ومن أمثلتها ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صل الله عليه وآله وسلم قال:

«عذبت امرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض[1].

ب ـ حكايات أو أقاصيص: وهى أكبر من النوع الأول وتحتوى على العناصر الفنية المعروفة للقصة وهى:

ب/١ ـ الأحداث

ب/٢ ـ الشخصيات

ب/٣ ـ الزمان والمكان

ب/٤ ـ الحوار

ومن هذا النوع مجموعة من القصص التى اختيرت عينة لتحليلها فى هذا البحث.

الثانى: معيار موضوعى ونقصد به تصنيف القصص إل ثلاث فئات:

١ ـ الفئة الأولى وهى نوعان:

أ ـ نوع من القصص حكاه الرسول ﷺ ولم يحدد له زماناً ولا مكاناً كقصة قتل الهرة السابقة.

(١) صيحح مسلم يشرح النووى مجلد ١٤ ص ٢٤٠، ٢٤١ (كتاب قتل الحيات، باب تحريم قتل الهره).

ب ـ نوع احتوى زماناً ومكاناً وحكاه الرسول عن أمم سابقة. ويضم هذا النوع قصصاً تناولت الانبياء السابقين وقصصا لم تتناول الانبياء.

وهذان النوعان يندرجان تحت فئة واحدة وهى القصص التى حكاها الرسول ﷺ.

٢ـ الفئة الثانية:

وتشمل تلك القصص التى حكاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن حصيلة ما رآه ليلة الإسراء والمعراج أو فى رؤاه المنامية العادية.

٣ ـ الفئة الثالثة:

وتشمل تلك القصص التى وقعت فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان ابطالهم أصحابه أو اعداءه وكثير من هذا النوع من القصص حدث فى الغزوات أو الرحلات.

وقد وردت الفئات الثلاث فى الصحيحين وان كان من الصعب تحديد النسبة المئوية لكمية القصص بالنسبة لبقية الأحاديث نظراً لما أشرنا إليه آنفاً من اختلاف كبار علماء السلف فى تحديد عدد ما فى الصحيحين من الحديث. على أن تحديد النسبة المئوية فى ذاته (يفيد كثيرا بالنظر الى أن كل ما فى الصحيحين صحيح ومقطوع بنسبته الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فبالتالى يمكن الاعتماد على قصة واحدة فقط بوصفها من السن الصحيحة الواجب الالتزام بما فيها من آداب.

وقد أخذنا فى اختيار عينة هذا البحث بالمعيارين معاً. حيث أخذنا بالمعيار الفنى فى اختيار القصص ذات الأحداث أو ما اسميناه فى اطار ذلك المعيار بالاقاصيص وأخذنا بالمعيار الموضوعى حيث اخترنا النوع

الثانى من الفئة الأولى أى تلك القصص التى احتوت زمانا أو مكانا وحكاها الرسول ﷺ عن أمم سابقة.

أهداف القصص النبوى:

للقصص النبوى أهداف كثيرة تتبلور فيما يلى:

أولاً: استخدامها كوسيلة تعليمية:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحلقون حول رسوله الكريم سائلين عن أحكام الدين الجديد التى كانت تتنزل تباعا حسب المواقف. ومن هنا كان من الشاق عليهم أن تكون كل الجلسات تعليمية بحته بحيث تخلو من تشويق.

والرسول عليه الصلاة والسلام بوصفه معلمًا ومربيًا اتاه الله الكتاب والحكمة كان يعرف نفسيه المتعلمين وفى الوقت نفسه لم يكن بطبيعته مستعدا لتضييع وقته ووقتهم فى اللهو أو فى القصص التافهة وهو الذى كان يدعو ويقول «اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع»[١].

ثانياً: استخدامها لهدف معرفى:

فكثير من ا لقصص كان الصحابة يستنتجون منه بعض المعارف المجهولة لديهم من أخبار الأمم السابقة وعاداتها وتقاليدها وتشريعاتها واختلافاتها المذهبية.

ثالثاً: استخدامها كمنهج من مناهج الدعوة:

مجالس النبى ﷺ لاتكاد تخلو من وفود قادمة من الأقطار البعيدة أو القبائل التى أسلمت حديثا، أو القادمة للدخول فى الإسلام وكان هؤلاء

(١) ابن ماجه، مرجع سابق، جـ١، ص ٥٦، (عن أنس).

القادمون يجلسون فربما يطيلون الجلوس، والصحابة معهم بالطبع وكان جلوسهم بهدف تعلم أصول الدين. والرسول عليه الصلاة والسلام بوصفه الداعية الأول يعلم ما للقصص من أثر طيب فى الوصول إلى أعماق القلوب أكثر من المواعظ المجردة.

رابعاً: استخدامها لبيان القرآن وتوضيحه:

وهناك نوع من القصص النبوى حكاه الرسول ﷺ توضيحا لبعض قصص القرآن كقصة موسى وسبب خروجه إلى الخضر عليهما السلام. وما رواه من قصص تتعلق بالأنبياء إبراهيم وأيوب وغيرهما. عليهم السلام.

خامساً: استخدامها لغرس مكارم الاخلاق:

الإنسان بفطرته ميال إلى تقليد غيره. وتعليم الأخلاق بالمواعظ أضعف تأثيراً من القصص لأن القصص تدل السامع على إمكانية انتهاج السلوك الخير اقتداء ببعض أبطال القصة لأنهم من البشر ذوى القدرات الخاصة. هذا الجانب يدل على عبقرية النبى عليه السلام فى مجال التربية. إذ إن قول الرجل لابنه أفعل كذا ولا تفعل كذا لا يؤثر فيه بقدر ما تؤثر فيه قصة طريفة شائقة يقوم بطلها بهذا الفعل فى إطار أحداث جذابه فتتولد القدوة الحسنة.

وبصفة عامة يمكن القول بأن مجموع هذه الأهداف يجعل للقصص النبوى قيمة تربوية بحاجة الى مزيد من البحث التحليلى لإدراك جوانبها العميقة وإلى أى حد يمكن الإفادة منها فى مناهجنا التربوية المعاصرة وهذا ما سنوضحه ـ بقدر الطاقة ـ فى السطور القادمة.

(نفوس كبيرة)

روى البخارى ومسلم بسنديهما.. عن أبى هريرة رضى الله عنه القصة التالية والنص للبخارى(*).

«قال النبى ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار من عقاره جرة فيه ذهب، فقال له الذى اشترى العقار: خذ فيها ذهب، فقال له الذى اشترى العقار: خذ ذهبك منى، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما الى رجل، فقال الذى تحاكما اليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لى غلام، وقال الاخر: لى جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا».

١ ـ الراوى الأعلى:

أبو هريرة: عبدالله ـ أو عبدالرحمن ـ بن صخر الدوسى روى عن النبى ﷺ ما يقرب من ٥٣٧٤ حديث. ت سنة ٥٩ هـ.

٢ ـ المحور العام للقصة:

تدور أحداث هذه القصة حول «الورع» وما يمكن أن يفعله بالنفس الإنسانية، فبطلا القصة رجلان مؤمنان استطاع كل منهما أن يتغلب على نفسه الأمارة بالسوء فذهب إلى الآخر يرد اليه ما ظن أنه لا حق له فيه من ذهب. ووصل بهما خوفهما من الحرام الى أن يتنازعا ويتجادلا،

(*) أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤ جـ٦، ص ٥١٢، ٥١٣. ومسلم فى كتاب الأقضية باب استحباب الصلاح الحاكم بين الخصمين ج١٢ ص ١٩، ٢٠ وابن ماجه فى كتاب اللقطة باب من أصاب ركازاً جـ٢، ٨٣٩ (ط المكتبة العلمية بيروت ـ لنان، د.ت). وأحمد فى المسند جـ٢ ص ٣١٦.

ويتحاكما إلى طرف ثالث لعله يدفع عن كل منهما ما يجد فى نفسه من حرج.

إن مثل هذه النفوس التى لم تغتر بالمال أيًا كان مصدره، تطهرت من رجس الشح بماء الإيمان، واستبدلت بظلمة الأثر نور الإيثار، ومثل هذه النوعية من البشر قليلة فى كل العصور، ولكن وجودها من زمن إلى آخر يجدد فى الناس ما يلى من أخلاق العظماء، ويحيى فى نفوسهم ما ذوى من شمائل النبل والسمو.

إن كلا الرجلين بحاجة إلى المال ـ بمقاييس الناس ـ لأن لكليهما ذرية، ومعظم الناس يتكالبون على جمع المال حجة ترك ورثتهم أغنياء. ولكن الذى اختلف فيه هذان الرجلان عن بقية الناس أنهما لايجمعان المال من حرام وحلال. كما قال الشاعر:

جمع الحرام إلى الحلال ليكثره دخل الحرام على الحلال فبعثره

ولكنهما يتحريان الحلال، ويبالغان فى هذا التحرى.

وموقف المشترى عظيم لانه يدل على الأمانة والورع، وموقف البائع أعظم لأنه يدل على التجرد والإيثار وتحرى الحق. فقد كان بامكان المشترى أن يستحل المال، ويفتى لنفسه بجواز أخذه ويؤثر السلامة، وكان بإمكان البائع حين أعيد إليه المال أن يأخذه شاكراً للمشترى أمانته ويؤثر السلامة. ولكنهما كما قلنا يختلفان عن كثير من الناس.

فقد روى القرآن الكريم قصة ثعلبه بن حاطب الذى سأل الرسول ﷺ أن يدعو له بالغنى، فحذره الرسول مراراً فلما ألح دعا له، فأنهالت عليه الثروة حتى ألهته عن العبادة أولاً: فلما تضاعفت عز عليه إخراج الزكاة،

فخرج عن دينه وبقيت قصة الطمع تتلى آناء الليل وأطراف النهار ـ لعل فيه الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

«ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقَنَّ ولنكوننَّ مِنْ الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلو به وتولوا ،هم معرضون فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه، وبما كانوا يكذبون» (التوبة: ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧».

والذى يفكر فى أحوال محبى المال والحرص على جمعه يرى بسهولة قصر نظرهم وغباءهم الشديد وبخاصة أولئك الذين يجمونه من الحرام فهذه الثروة متاع زائل وهو محاسب عليها قبل أن تزل قدماه يوم الحساب، ثم هى موروثة ووارثه إن كان صالحا فثواب انفاقه للثروة سيعود له وليس لأبيه، وإن كان فاسداً فالعقاب يشترك بينه وبين مصدر ثروته وهو أبوه. فلم يرتكب الإنسان الاثم من أجل وريث لا يعلم ماذا سيكون عليه حاله فى المستقبل؟ وكم من وارثٍ مالاً كثيراً أغناه الله من فضله مما يدل على أن رحمة الله أوسع من رحمة الإنسان بولده.

وموقف الحكيم بين الرجلين موقف سديد الاشادة فهو لم يقسم بينهما المال مناصفة ولوفعل ذلك لما لامه أحد، ولم يحكم به لأحدهما، وقد كانا مستعدين لقبول ذلك ولكنه لما رأى الإيمان الخاص، والتقوى الفعالة، والزهد العظيم، تفتق ذهنه عن تمكين عرى الصداقة بين هذين العضوين الصالحين وتمتينها بالمصاهرة لعل الله أن ينعم على ورثتهما بذرية صالحة فتكثر عناصر الخير فى المجتمع تصديقاً لقوله تعالى:

«والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه».

وقوله تعالى:

«وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك» (الكهف: ٨٢).

فربط إرادة الله الخير لهما بصلاح أبيهما.

٣ ـ التحليل اللغوى:

أ ـ المفردات:

عقاراً: العقار فى اللغة المنزل والضيعة. ويقال أيضا للمتاع النفيس. عقار. وقيل العقار الأصل من المال. والمشهور فى العقار أن المقصود به الأرض.

ابتاع: اشترى.

ولد: (بفتح الواو واللام) تقال للمفرد وللجمع. وله ولد أى إبن واحد أو أبناء كثيرون وهى تقال ـ كجمع ـ للذكور والإناث ولا تختص بالذكور وحدهم.

الجرّة: آنية من الفخار (بفتح الجيم وتشديد الراء المفتوحة).

ثرى: باع.

يساعد البناء اللغوى للقصة على استنتاج عدة دلالات معنوية تتضح من التركيب الأسلوبى فمثلا:

ـ استخدام العطف بالفاء فى قوله «فوجد الذى اشترى العقار جرة فيها ذهب فقال يدل على سرعة وقوع الحدث لان العطف بالفاء يقتضى الفورية وعدم التراخى. ودلالة ذلك أن المشترى بمجرد أن وجد الذهب أسرع به الى صاحب الأرض يدون تردد أو تراخ.

ـ استخدام أسلوب التوكيد بأن فى قول الرجل المشترى «إنما اشتريت منك الأرض» وفى قول الرجل البائع «إنما ابعتك الأرض وما فيها» يدل على شدة رغبة كل منهما فى التخلص من الذهب. فالتوكيد له دلالة معنوية هنا فى بيان قوة رغبة المتحدث فى فعل ما يطلبه.

٤ ـ التحليل البلاغى:

تبدو فى هذه القصة ظاهرتان بلاغيتان واضحتان هما:

الأولى: أسلوب القصر فى قول المشترى «إنما اشتريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب» وكان يستطيع أداء هذا المعنى بقوله «لقد اشتريت منك الأرض». وهذا يكفى للدلالة على ما يريد. ولكنه قد لايكون كافيا لاقناع الطرف الآخر بما يريده هو. فلجوءه إلى استخدام إسلوب القصر فيه مزيد تأكيد لرغبته فى التخلى عن الذهب. لأن أسلوب القصر هنا له قيمة بلاغية فالشراء مقصور، والأرض مقصور عليها واستخدام «إنما» يعنى أن الشراء (المقصور) لا يتعدى الأرض (المقصور عليه) إلى غيرها. وهذه فائدة القصر البلاغية أى تخصيص الصفة بموصوفها، أو الموصوف بصفته بحيث لا تفارقه.

وقد كان من المناسب أن يجىء رد الرجل البائع على نفس الدرجة من البلاغة فاستخدم هو أيضا أسلوب القصر فى قوله «إنما بعتك الأرض وما عليها «وكان بإمكانه أن يقول «لقد بعتك الأرض وما فيها» ولكن رده بهذا الشكل سيكون أضعف دلالياً من القول المردود عليه. لذلك استخدم ذات الأسلوب ليؤكد أن بيعه شمل الأرض وما فيها من دفائن فالبيع (مقصور) والأرض وما فيها (مقصور عليه. بمعنى أن البيع يختص بالأرض وما فيها).

الثانيـة: إجابة الرجل الذى تحاكـمـا اليه تسـمى فى علم البلاغـة «أسلوب الحكيم» والمقصود به تلقى المخاطب بغير ما يتوقعه، إما بترك سؤاله والإجابه عن سؤال لم يسأله، وإما يحمل كلامه على غير ما كان يقصد ومنه قوله تعالى: «يسألونك عن الأصلة قل هى مواقيت للناس والحج» فقد كان هدف العرب من السؤال معرفة سر ظهور الهلال صغيراً ثم يكبر ويكبر حتى يصبح بدراً ثم يتناقص. فجاءت بأسلوب الحكيم لتبين لهم شيئا آخر يفيدهم فى حياتهم ولفتهم فى رفق إلى أن سؤالهم الأول لافائدة لهم فيه.

فالذى كان متبادراً الى ذهنيهما وهما يسألان الحكيم عن كيفية التصرف فى الذهب وأيهما أحق به من صاحبه، أنه سيدفعه الى طرف منهما. ولكن إجابة الرجل جاءت مخالفة لتوقعهما، فأوضح لهما طريقة أخرى للإفادة من الذهب حين علم من سؤالهما صلاح أحوالهما. فجاء سؤاله: ألكما ولد؟ عقب سؤالهما كان مفاجأة لهما وهذا شأن ما يسمى بـ «أسلوب الحكيم».

وخلاف هاتين الظاهرتين الواضحتين فهناك ملاحظات بلاغية أخرى منها:

- التعريف بالصلة لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة ولزيادة التقدير فى العرض المسوق له الكلام وذلك كقوله (الذى اشترى العقار).
- التعريف بـ «العهدية فى قوله «العقار» كأن السامع أصبح عالما به.
- مزج القصة بين الأسلوبين الخبرى الانشائى أضفى على الأسلوب حيوية وحركة تشد انتباه السامع بقوة.

ـ استخدام أسلوب القصر بالتقديم فى قوله «لى غلام ولى جارية» للدلالة على شدة تمسك كل منهما بابنه الوحيد وإحساسه بملكيته باستخدام اللام التى تدل على الملكية بدلا من قوله مثلا (عندى غلام)، والتقديم يدل على الإهتمام.

٥ ـ التحليل الفنى:

أ ـ الشخصيات:

المشترى: شخصية تمثل الزهد فى أرقى صوره، فقد وجد الذهب الدفين بعد دفعه ثمن الأرض، وكان بإمكانه اعتبار ذلك الذهب جزءً من الأرض. ولكنه سعى إلى البائع يرد إليه ذهبه.

البائع: شخصية تتفق مع سابقتها فى الزهد، فقد رفض أن يتسلم الذهب الذى كان فى الأرض، مع أنه فيما يبدو كان ناسيًا له وقت البيع، إذ إن المنطق الطبيعى يقتضى أنه لو كان متذكراً وجوده لاستخرجه واستغنى به عن بيع عقاره. أو على الأقل لاستخرجه واحتفظ به قبل البيع.

الحكم: شخصية مثالية ترمز إلى الخير، فقد صرف الرجلين عما كانا يفكران فيه من تدافع المال»، وأرشدهما إلى طريقة جديدة للتصرف فى المال يستبقيان بها هذه الصلة الروحية بينهما لتتحول إلى مصاهرة وصلة نسب. وهو شخصية تمثل تفتح ذهن الحكم وسعة أفقه عند الإصلاح بين المتنازعين.

ب ـ الحوار:

الحوار فى هذه القصة يسير على وتيرة واحدة. نظرا لمحدودية أحداث

القصة. فهو حوار هادف بين الأبطال الثلاثة (وجميعهم من البشر) يهدف إلى الاقناع. فكل طرف يود أن يقنع الآخر بحجته. ويجب أن نلاحظ اتحاد الدافع عند الطرفين المتنازعين، فالدافع السلوكى عند كل منهما هو: الزهد والرغبة فى إيثار الحق - ومن هنا فلم يكن غريباً أن يتحد حوارهما فى الشكل (استخدام اسلوب القصر) والمضمون (الحجة بالحجة - أو تبرير السلوك).

أما حوارهما مع الحكم، واجابتهما المختصرة عن سؤاله فتعكس الرغبة الصادقة عند كل منهما فى الوصول إلى الحل.

جـ - الأحداث:

والأحداث كما أشرنا محدودة: وقوع البيع - اكتشاف الذهب - تدافعهما الذهب بينهما - الاتفاق على التحاكم إلى حكم - قبول الحكم. وكون الشخصيات الثلاثة ترمز إلى عنصر الخير، جعل تنامى الأحداث هادئًا ومتوقعًا، فالقصة فى النهاية تعنى بالفكرة الأساسية أكثر من عنايتها بالبناء الدرامى الفنى التقليدى.

٦ - المضمون التربوى:

أولاً: القيم:

أ - القيم الايجابية التى تسعى القصة الى غرسها:

٦/أ/١ - تحرى الحق والاجتهاد فى الوصول إليه.

٢ - الإيثار.

٣ - العقد شريعة المتعاقدين وملزم لهما.

٤ ـ احترام الشروط المبرمة.

٥ ـ جواز التحكيم عند الاختلاف.

٦ ـ قبول رأى الحكم بلا غضاضة.

٧ ـ قبول النصيحة.

ب ـ القيم السلبية التى تهدف القصة إلى استئصالها:

٦/ب/ ١ ـ إخفاء الحقيقة.

٢ ـ الأنانية.

٣ ـ الكذب.

٤ ـ التنكر. للشروط المبرمة.

٥ ـ التمادى فى الخطأ.

٦ ـ رفض حجة الخصم دون إبداء الأسباب.

٧ ـ رفض حكم الحكم أو التكبر عليه.

٨ ـ رد النصيحة فقد يكون اقتراح الحكم مجرد نصح وليس حكمها ولكنهما فى الحالين مضطران إلى قبوله أو على الأقل عدم رده.

٩ ـ الرياء: فقد كان كل من الرجلين مخلصا بدليل وصولهما الى درجة التحكيم.

ثانياً: الأهداف التربوية للقصة:

أ ـ فى المجال المعرفى:

١ ـ أن يعرف السامع ما فى القصة من أحكام فقهيه تتعلق بالأشياء التى لايدعى ملكيتها أحد[١].

٢ ـ أن يتذكر السامع التوجيهات القرآنية التالية:

ـ قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله. ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما...» (النساء: ١٣٥).

ـ قوله تعالى: وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ (البقرة: ٢٨٣).

ـ قوله تعال: «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا» (المزمل: ٢٠).

ـ قوله تعالى: «الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهنيا» (النساء: ٣٧).

ـ وقوله تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» (التوبة: ٣٤).

---

(١) قال ابن حجر تعليقا على هذا الموقف «الحكم هذا المال حكم الركاز فى هذه الشريعة ان عرف انه من دفين الجاهية، والا فان عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة (بضم اللام وفتح القاف والطاء) وان جهل (بضم الجيم) فحكمه حكم المال الضائع يوضع فى بيت المال»

ابن حجر العسقلانى، فتح البارى، مرجع سابق، جـ٦، ص ٥١٩.

٣ ـ أن يقارن السامع بين ايثار الدنيا وايثار الآخرة فى ضوء الآيات الكريمة:

ـ قوله تعالى: «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فهيا لايبخسون، أولئك الذين ليس لهم فى الاخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطن ماكانوا يعلمون» (هود: ١٥ ـ ١٦).

٤ ـ أن يتذكر السامع أحكام العقود وكتابتها من الآيات التالية:

ـ قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.. «المائدة: ١).

ـ قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ (القرة: ٢٨٢).

ب ـ فى المجال العاطفى:

١ ـ أن يستشعر السامع فى نفسه معنى الإيثار.

٢ ـ أن ينفر السامع منى الأنانية وما تجلبه من صفات أخرى كريهة كالكذب والرياء والغرور.

٣ ـ أن يحس السامع بأثر الآيات الآتية:

ـ قوله تعالى: «اعدلوا هو أقرب للتقوى» (المائدة: ٨).

ـ قوله تعالى: «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا». (الأنعام: ١٥٢).

ـ قوله تعالى: «وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا..» (النساء: ٩).

جـ ـ فى المجال النفس/ حركى:

١ ـ أن يلجأ المتنازعان الى التحكيم عند الاختلاف.

٢ ـ أن يعود السامع إلى التفاسير ليعرف قصص الإيثار التى تحدثت عنه الآيات الكريمة التالية:

ـ «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» (الحشر: ٩).

ـ «ويطعمون الطعام ـ على حبه ـ مسكيناً ويتميا وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا» (الانسان: ٨ – ٩).

٣ ـ أن تترسخ فى نفس السامع معانى التضحية وتحول الى سلوك يومى.

٤ ـ أن يرجع السامع الى مواقف الأنانية التى تحدث عنها القرآن فى أوقات الجهاد مثل قوله تعالى:

ـ «وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جنهم أشد حرا لو كانوا يفقهون» (التوبة: ٨١).

ـ «ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون» (التوبة: ٥٨).

ـ إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وضع الله على قلوبهم فهم لايعلمون» (التوبة: ٩٣).

ويوازن بينها وبين آياتالتصحية مثل قوله تعالى:

ـ «ومن المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا« (الأحزاب: ٢٣).

(العمل الخالص)

روى البخارى ومسلم بسنديهما.. عن أبى هريرة القصة التالية والنص من البخارى(*).

«عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه، لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم أحبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت ـ يعنى النار ـ لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا، فسيبايعنى من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعنى قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها. ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا».

١ ـ الراوى الأعلى :

أبو هريرة: عبدالله بن صخر الدرسى بلغت مروياته ٥٣٧٤ حديثا ـ توفى سنة ٥٩ هـ.

(*) اخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس باب أحلت لكم الغنائم جـ٦، ص ٢٢٠. وفى كتاب النكاح باب من أحب البناء قبل الغزو جـ٩، ص ٢٢٣. ومسلم فى كتاب الجهاد والسير باب تحليل الغنائم لهذه الأمة جـ١٢، ص ٥١، ٥٢.
وأحمد فى المسند جـ٢، ص ٣١٨.

٢ ـ المحور العام للقصة:

تدور أحداث هذه القصة حول «الإخلاص فى العمل» بالنبى الذى غزاه وهو يوشعبن نون عليه السلام[١] بدأ تجهيزه للغزو باختيار أنواع معينة من المقاتلين تجمعهم صفة واحدة هى: الفراغ من شئون الدنيا، والإخلاص لمهمتهم الجهادية فقد طلب من أولئك الذين يتوقع منهم الإنشغال عن الجهاد بما خلفوا وراءهم من زوجات أو أموال أو مساكن أن يتخلفوا عن الجهاد لأنهم إذا اشتركوا فلن يكونوا فارغى البال فما جعل الله لرجل من قلبين من جوفه.

وانتصار المقاتلين على أعدائهم مرتبط بإخلاصهم فى قتالهم، وكان علاقة ذلك ـ فى الأمم السابقة ـ أن يتقربوا إلى الله بما غنموا من غنائم ولا يأخذوا منها شيئًا وكانت آية قبول أى قربان يتقربون به إلى الله أن تنزل نار من السماء فتأكله فيدلهم ذلك على صدق نيتهم وقبول علمهم. وقد تمسك اليهود بهذا الدليل المادى حين اشتهرت نبوة محمد ﷺ فضحهم القرآن الكريم حين يقول:

---

(١) ذهب ابن حجر العسقلانى فى شرحه لهذا الحديث إلى أن النبى المذكور فى القصة هو يوشع بن نون واستدل لذلك بما رواه الحاكم من طريق كعب الأحبار وقد بين أيضاً أن القرية المذكورة فى القصة هى «أريما». وذكر طريقا أخرى مرفوعة صحيحة للحديث أخرجها الامام أحمد عن طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ «إن الشمس لم تحبس الشر إلا ليوشع ابن نون ليالى سار الى بيت المقدس» ثم ذكر ابن حجر رواية ضعيفة تخالف ذلك ثم قال بعد تصنيفها «وحديث ابن هريرة المشار اليه عند أحمد أولى، فان رجال اسناده مجتمع بهم فى الصحيح». راجع فتح البارى، ٢٢١/٦.

«الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم أن كنتم صادقين» (آل عمران: ١٨٣).

قال الامام أبو زيد الثعالبى فى تفسير هذه الآية:(١)

«هذه المقالة قالتها أحبار اليهود مدافعة لأمر النبى ﷺ والمعنى أنك لم تأتنا بقربان تأكله النار فنحن عهد (يضم العين وكسر الهاء) الينا ألا نؤمن لك. وقوله تعالى: «قل قد جاءكم رسل من قبلى..» أى بالبينات وبالذى، قلتم من أمر القربان والمعنى أن هذا منكم تعلل وتعنت ولو أتيتكم بقربان لتعللتم بغير ذلك».

فلما ظهر من عزوف النار عن حق الغنائم، تأكد نبى الله يوشع بن نون عليه السلام أن بعض رجاله قد غلوا (أى سرقوا لأنفسهم شيئا من الغنائم) وليس ذلك بغريب بالنسبة لنبى يوحى إليه، فطلب منهم أن يبايعه رجل من كل قبيلة ولعله كان يعرف أن القبيلة السارقة سيفضح أمرها عند المصافحة للمبايعة وهذا ما حدث وهذا الحدث نفسه فيه دلالة على أهمية الإخلاص لأن الله تعالى طيب لايقبل إلاطيبا. ولايقبل إلا العلم الخالص لوجهه الكريم. قال تعالى: «ألا لله الدين الخالص« (الزمر: ٣) فلما تحرر القوم من ربقة الدنيا، وجاءوا بما غلوه ووضعوه مع الغنائم أتت النار فأكلته ليكون ذلك دليلا على تمام تطهرهم من رجس الدنيا، وصحة نيتهم فى طلب رضا الله تعالى.

---

(١) أبو زيد الثعالبى (ت ٨٧٥ هـ) تفسير الثعالبى المسمى بجواهر الحسان فى تفسير القرآن، جـ١، ١، ص ٣٣٧.

وهذا شأن كل عمل يعمله الإنسان، فانه لن ينال ثمرته إلا إذا كان منقطعا إليه مخلصاً له، وإلا كان عمله ناقصا مشيناً.

٣ ـ التعليل اللغوى:

أ ـ المفردات:

بضع امرأة: البضع (بضم الباء وسكون الضاد) له معان كثيرة فى اللغة فهو يطلق على فرج المرأة، وعل التزويج، وعلى الجماع، وأحيانًا على الطلاق، والمقصود به فى هذا الحديث معنى التزوج حديثا أى من تزوج امرأة زواجا قريبا. أو عقد عليها ولم يدخل بها بعد فكانها صارت ملكا له بمقتضى العقد.

ولما يبن بها: بنى بالمرأة أى دخل بها.

خلفات: (بفتح الخاء وكسر اللام) هى الحوامل من النوق.

ولادها: أى ولادتها.

أحبسها علينا: أى امنع غروبها حتى يصل الى القرية ـ ونبدأ القتال.

غلول: الغلول هو السرقة من الغنائم.

ب ـ الأسلوب:

الظواهر اللغوية الواضحة فى القصة:

١ ـ استخدام الفعل الماضى للدلالة على المستقبل: (غزا نبى) أراد أن يغزو.

٢ ـ استخدام الفعل المضارع خالصا للمستقبل: (ولما يبن بها) أى

ولم يتم دخوله بها بعد، فاستخدام الحرف (لما) من علامات تخصيص المضارع بالمستقبل.

٣ ـ وقوله «ولا آخر اشترى غنما أو خلفات «جاءت فيه» «أو» لأحد معنيين:

ـ أما الشك من الراوى أى أن يكون الراوى قد شك فى أن يكون الرسول محمد ﷺ قال «اشترى غنما فهو ينتظر وداها «أو قال اشترى خلفات فهو ينتظر ولادها.

ـ أو أنه ﷺ قد قال الكلمتين بهذ الصيغة التى وردت فى الحديث، وهنا تكون (أو) للتنويع، أى أراد النبى يوشع أن يتخلف كل من اشترى غنما أو اشترى فوقا هو أمل.

ـ «فأو» فى اللغة قد تأتى للشك وهو الأشهر كقولك جاء زيد أو عمرو أى أنك تشك فى أيهما الذى حضر.

وقد تكون للتخيير بين شيئين مثل قول القائل: كل من هذا أو من هذا وقد تكون بمعنى الواو تماما فتفيد العطف بلا خلاف كقول الشاعر توبة الحميرى: وقد زعمت ليلى بأنى فاجر.. لنفسى تقاها أو علىّ فجورها.

٤ ـ قوله «فليبا يعنى قبيلتك» أتى على قاعدة الجواز فى تأنيث الفعل وتذكيره فلو كان قال «فلتبايعنى قبيلتك لم يكن فيه مزيد فصاحة عن قوله «فليبايعنى قبيلتك« لأن الفعل مفصول عن فاعله بالمفعول المتقدم وهو ضمير المتكلم (الياء المسبوقة بنون الوقاية) والقبيلة مؤنث مجازى. وحتى لو كان الفاعل مؤنثاً حقيقاً وفصل بينه وبين الفعل بأى فاصل (كالمفعول المتقدم أو الجار والمجرور أو الظرف) فإن القاعدة هى

جواز التأنيث والتذكير وعلى ذلك جاء قوله تعالى فى خطاب نساء النبى ﷺ «ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين» (الأحزب: ٣١).

٥ ـ فى رواية البخارى قوله: «فجاءت ـ يعنى النار ـ لتأكلها «واضح من هذه الرواية أن الجملة الاعتراضية / يعنى النار) من كلام الراوى وليست من كلام الرسول ﷺ. وعلى ذلك فتكون النار محذوفة لدلالة المقام عليها كما فى قوله تعالى فى قصة سليمان «ردوها على. فطفق مسحا بالسوق والاعناق« (ص: ٣٣). حيث يعود الضمير فى قوله ردوها على الشمس ولم يسبق لها ذكر الا فى قوله تعالى: وحتى توارت بالحجاب« (ص: ٣٢) وضمير المؤنث المستتر فى الفعل توارث ولا يعود عى مذكر سابق كذلك ولكن السياق يدل على أن المقصود به الشمس. أما فى رواية مسلم فقد ورد هذا الموقف بقوله: «فأقبلت النار» وبهذ الصيغة لا لبس فيه.

٦ ـ قوله «فغزا فدنا من القرية صلاة العصر» ورد فى رواية مسلم بصيغة «فغزا فأدنى من القرية «قال النووى فى سرحه «فأدنى بهمزة قطع، قال القاضى: كذا هو فى جميع النسخ فأدنى رباعى أما أن يكون تعديه لدنا أى قرب فمعناه أدنى جيوشه وجموعه للقرية. وأما أن يكون أدنى بمعنى حان أى قرب فتحها من قولهم أدنت الناقة إذا حان نتجها. ولم يقولوه فى غير الناقة»[١].

ولكن رواية البخارى أوضح وتسير على الأصل اللغوى ولا تحتاج لمثل ذلك التأويل المتكلف.

---

(١) مسلم جـ١٢/ ص ٥٣.

٧ ـ قوله: «ولما يبن بها «نقل ابن حجر فى شرحه له عن الزمخشرى قوله أن التعبير بلما يشعر بتوقع ذلك. أى يشعر بقرب دخوله بها.

٤ ـ التعليل البلاغى:

من الظواهر البلاغية فى هذه القصة:

١ ـ الكتابة فى قوله: «بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها «وفى رواية مسلم« ولم يرفع سقفها». فجملة «ولم يرفع سقوفها» صفة للبيوت فالكناية هنا كناية عن صفة ومن المزايا التعبيرية للكناية أنها تعبر عن المعنى المقصود بطرق لطيفة مقبولة فالمعنى المقصود هنا أن من يفعل ذلك مشغول بما يفعله أى مشغول بما هو فيه من بناء. ومعنى ذلك أنه لن يكون فارغ البال للجهاد، فالتعبير المباشر مثل (لا يتبعنى من كان منشغلا عن الجهاد) سيؤلم المقصود به، ولكن التعبير بالكناية يخفف وقع الحقيقة لأن الكناية فى حقيقتها هى إطلاق لفظ قد يراد معناه الظاهر وقد ينصرف إلى معنى آخر.

ومن ذلك أيضا الكناية فى قوله «ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها».

٢ ـ المجاز المرسل فى قوله: «من ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها «فالتعبير عن عقد القران بالملكية مجاز مرسل علاقته اعتبار ماسيكون فى هذا الحديث خاصة، بدليل قوله «ولما يبن بها فاذا أطلق مثل هذا التعبير فى غير هذا الحديث جاز أن تكون علاقته الجزئية. والمقصود بالعلاقة ذلك الخيط الرفيع الذى يربط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى. والقيمة التعبيرية للمجاز المرسل تكمن فى المهارة فى

تخبر تلك العلاقة بحيث يأتى المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير كما يقول البلاغيون، فاطلاق الجزء وإرادة الكل لا تخلو من مبالغة لطيفة تجعل المعنى جميلا. فالتعبير بالملكية عن العقد فيه دلالة على متانة العلاقة الزوجية، والتعبير عن المرأة بلفظ «البضع» الذى يحتمل ـ لغوياً معانى كثيرة فيه بلاغة أكثر من قوله بأسلوب مباشر (من ملك إمرأة) فان فى هذا التعبير الأخير جفافا.

٣ ـ الاستعارة فى قوله «فجاءت ـ يعنى النار لتأكلها فلم تطعمها «فقد شبه عملية الإحراق بعملية الأكل وفى هذه الإستعارة صورة تشخيصية تعطى إحساسا بأن النار ترى وتسمع وتأكل ففى المعنى تجسيد للنار وهى معنوية مما يزيد المعنى قوة فى نفوس السامعين وكأن النار ـ وهى رمز القبول السماوى ـ تدرك ما أقدموا عليه من سرقة، فتعرض عن غنائمهم وكأنها تريد أن تشعرهم بجريمتهم المنكرة.

٤ ـ المجاز السفلى فى قوله للشمس «أنك مأمورة وأنا مأمور» فتوجيه الخطاب إلى ما لايعقل نوع من المجاز العقلى يهدف إلى تأكيد حقيقة المعنى بأسلوب فيه انزال مالا يعقل منزلة من يعقل.

٥ ـ الاستعارة المكنية فى قوله: «فقال للشمس» فيها تشخيص يقرب المعنى.

٦ ـ فى قوله: «تأكلها فلم تطعمها «استعارة تبعية».

٥ ـ التحليل الفنى:

أ ـ الشخصيات:

تختلف هذة القصة إلى حد ما عن سوابقها من حيث البناء الفنى، فهى قصة سردية تعتمد على «القص» أكثر من اعتمادها على غيره. وبالتالى، فان الوصف هو العنصر الأكثر بروزا هنا. فالشخصيات لا تظهر ملامحها وانفعالاتها من خلال الحوار بقدر ما تظهر من خلال الوصف غير المباشر. وقد نستطيع إذا أمعنا النظر فى النص أن نتصور شخصية الإنسان اليقظ للنبى يوشع بن نون فهو متنبه لمهمته، ويظهر اهتمامه البالغ بأنجاز مهمته، وتظهر يقظته فى ثلاثة مواقف:

الأول: تدقيقه منذ البداية فى اختيار العناصر الصالحة لأداء المهمة واستبعاده لمن قد يكون أداؤه أقل من المستوى المطلوب.

الثانى: تنبهه لأهمية الوقت المناسب للقتال قرب غروب الشمس وسؤال الله تعالى أن يحبسها عليهم.

الثالث: إدراكه السريع لحدوث الخطر عند توقف النار عن أكل الغنائم.

وخلاف هذا، فان ملامح شخصيات ثانوية تبدو من بعيد فى أولئك الذين اختلسوا بعض الغنائم وتستروا فى جماعة من قومهم شعروا منهم بالخجل وهكذا يظهر أن اعتماد القصة على «الوصف» أغنى عن الخوض فى تفاصيل الشخصيات.

ب ـ الحوار:

ومادام «القص» أو الوصف هو العنصر الأكثر بروزا فى القصة، فمن الطبيعى أن يتوارى الحوار اكتفاء بدلالة الوصف على الأحداث

والشخصيات. والملحوظ فى القصة أن الحوار بها من طرف واحد دائما، فالنبى هو الذى يتحدث فى الثلاثة مواقف التى ذكرتها القصة للحوار.

١ ـ فهو يحدد من الذى يشترك فى القتال، وكأنه خطاب عام موجه الى الجماهير الراغبة فى الجهاد، وهدف الحوار هنا: رفع الحرج عن تلك الفئات التى تخشى فى قراره نفسها أن تكلف بالجهاد وهى مشغولة بما وراءها من مصالح دنيوية. وهدف الحوار أيضا: رفع معنويات الذين سيشاركون فى الجهاد واشعارهم بأنه الصفوة المنتقاه هى التى اختارت الآخرة وأثرتها على الدنيا.

٢ ـ والموقف الثانى فى قوله للشمس: أنك مأمورة وأنا مأمور، ثم انتقاله بالخطاب الى الله تعالى ودعاؤه اياه أن يحبسها عليهم وهدف الحوار هنا طلب العون من الله، وشحن نفوس المقاتلين بروح عالية تستند الى يقين راسخ بوقوف الله معهم بدليل مادى ملموس لهم جميعا وهو تأخير غروب الشمس.

٣ ـ والموقف الثالث: فى خطابه لمن لزقت يده بيده وتوجيه تهمة الغلول لقبيلته بوضوح وحسم ثم دعوة تلك القبيلة (أى الحاضرين منها) للمبايعة بالمصافحة ليتضح الذى اختلس منهم أمام الناس. وهدف هذا الحوار بيان التمسك بالحق وبراءة الأنبياء من تهمة المجاملة أو السكوت على الخطأ ـ وبيان أن بعض الناس لايجدى معهم الا مثل هذا الأسلوب.

جـ ـ الأحداث:

على الرغم من قصر هذه القصة فانها حافلة بالأحداث السريعة

المتلاحقة التى تناسب سرعتها الفكرة الأساسية للقصة وهى الغزو والجهاد. إلا أن القصة تتوقف عند حوادث بعينها تمثل محور الارتكاز فى القصة مثل:

- خطبة النبى قبل الغزو.
- حادث حبس الشمس.
- حادث الاختلاس.

وتمر مروراً سريعاً على حوادث أخرى مثل:

- تفاصيل المعركة.
- أسباب المعركة.

وليس معنى أغفل القصة لهذين الحدثين أنهما غير مهمين، بل أن الهدف من إغفالهما قد يكون مفهوماً للسامعين لأن التوقف عندهما ربما يغل النفوس عما تهدف القصة إليه من بيان تحليل الله الغنائم لأمة محمد ﷺ دون الأمم السابقة وبيان فضل الله تعالى عليهم فى ستر عيوبهم إذا ما أخطأوا.

ولايتصور عاقل أن يكون غزو نبى من الأنبياء عدواناً وظلماً، فذلك يتنافى مع طبيعة الدعوة التى جاء بها الأنبياء جميعاً وهى دعوة التوحيد فحروبهم وغزواتهم إما أن تكون رداً لعدوان سابق وقع عليهم، أو حماية لأقليات مؤمنة مضطهدة فى تلك الديار استعانت لحمايتها أو انتقاما من أولئك القوم لقيامهم بأضطهاد الدعاة أو قتل الرسل الذين جاءوا اليهم باسم ذلك النبى.

والدليل على ذلك واضح فى القرآن من أن دعوة الأنبياء جميعا واحدة منهجهم فى الدعوة والحرب والسلام منهج واحد لأنه من عند الله. قال تعالى:

«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيس: أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب» (الشورى: ١٣).

المضمون التربوى:

أولاً: القيم التربوية:

أ ـ القيم الإيجابية التى تهدف القصة إلى غرسها:

١ ـ الجهاد بالنفس.

٢ ـ بذل الجهد بأقصى طاقة عند أداء عمل.

٣ ـ تفريغ القلب من المشاغل قبل بدء العمل.

٤ ـ أن الله لا يقبل الا العمل الخالص لوجهة.

٥ ـ توجيه الاتهام للمتهم بالمجاملة.

٦ ـ الإيمان بما يجريه الله على أيدى أنبيائه من معجزات.

٧ ـ لابد من التوبة لمن يخطىء.

ب ـ القيم السلبية التى تهدف القصة الى استئصالها:

١ ـ الانغماس فى كسب المال على حساب أعمال الآخرة.

٢ ـ الاختلاس.

٣ ـ إنكار التهمة بلا دليل.

٤ ـ عدم رد المسروق.

أ ـ في المجال المعرفي:

١ ـ أن يتذكر متلقي القصة (مستمعاً كان أو قارئاً) الآيات التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله كقوله تعالى:

«انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» (التوبة: ٤١).

وقوله تعالى:

«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبداً أن الله عنده أجر عظيم» (التوبة: ٢٠ ـ ٢٢).

٢ ـ أن يتذكر متلقي القصة ما جاء من الوعيد والزجر لأولئك الذين يتقاعسون عن الجهاد بغير عذر كقوله تعالى:

«يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، إلا تنفروا يعذبكم عذابا شديدا ويستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئا، والله على كل شيء قدير» التوبة: ٣٨ـ ٣٩).

وقوله تعالى مخاطباً النبى فى شأن المنافقين الذى اعتذروا عن عدم الخروج للجهاد «لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم. والله عليم بالمتقين. إنما يستئذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر. وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون. ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين» (التوبة: ٤٤ ـ ٤٦).

٣ ـ أن يتذكر متلقى القصة ما يجب عليه من طاعة ولى الأمر حسبما وردت به النصوص الثابتة كقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩).

وقوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون» (الأنفال: ٢٤).

وما رواه البخارى ومسلم من قول النبى ﷺ:

«والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين».

٤ ـ أن يعرف متلقى القصة أنه لن ينجح فى أداء عمل ما لم يخلص له ويفرغ قلبه من أى مشاغل تعوقه عن أدائه فما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه.

٥ ـ أن يتذكر المتلقى أن الحق أحق أن يقال وأن يتبع دائما فلا يجامل فى الحق أحداً لأن هذا هو هدى الإسلام وماقبله من أديان.

ب ـ فى المجال الوجدانى:

١ ـ مشاهدة المعجزات والكرامات وما شابههما من أمور خارقة للعادة يختص الله بها عباده المخلصين تبعث فى نفوس الناس الإيمان الراسخ ومتلقى القصة يستشعر فيها ـ إذا تضمنت شيئا من هذا ـ عمق إيمان السابقين فتتطلع نفسه إلى أن يحذو حذوهم.

٢ ـ لابد للمؤمن من تكوين إرادة قوية تدفعه الى عمل الخير وتدفع عنه الوساوس المعوقة لعلم الخير.

٣ ـ أن يعيش متلقى القصة جو نفسى مشبع بروح العدالة وإيثار الحق.

٤ ـ أن ينفعل المتلقى بما فى القصة من زهد فى متاع الدنيا الزائل وحب الجهاد فى سبيل الله.

٥ ـ أن يوفق ويعلم أن الله قادر على فضحه إذا كذب أو غش أو اختلس.

جـ ـ فى المجال النفس/ حركى (المهارى):

١ ـ أن يتعود المتلقى قول الحق.

٢ ـ أن يبتعد المتلقى عن الإختلاس من المال العام.

٣ ـ أن يعترف المتلقى بخطئة إذا أخطأ.

٤ ـ أن يعدل إذا حكم فلا يجامل غنياً أو قوياً على حساب ضعيف أو فقير.

٥ ـ أن يسعى إلى الجهاد بالنفس أو المال.

٦ ـ ألا يعتذر عن عمل إلا بعذر شرعي حقيقي.

٧ ـ أن يكون صريحا مع قياداته مخلصًا في طاعته مادامت الطاعة في أمور مشروعة.

٨ ـ أن يرجع الى التفاسير وكتب الفقه لمعرفة أحكام وتفاصيل:

٨/أ: الجهاد: متى يكون فرض عين ومتى يكون فرض كفاية.

٨/ب: طاعة أولي الأمر: كيفيتها وحدودها.

٨/جـ: المعجزة والكرامة والفرق بينهما.

٨/د: غزوات النبي محمد ﷺ وما فيها من أحداث ودروس مستفادة.

٨/هـ: أحكام توزيع الغنائم في الشريعة الإسلامية.



دراسات فقهية

الاستعاذة

إن الايمان بوجود الجن والشيطان كما أخبر عنهم القرآن الكريم جزء من عقيدة المسلم، لايتم إيمانه إلا به، واذا آمن المسلم بهذه الحقيقة وجب عليه ألا يغفل عن آداب الإسلام وأحكامه فى مجال التعامل مع هذه المخلوقات، ذلك أن تلك الآداب تستهدف فى النهاية تحقيق مصلحة المسلم قطعا.

قال جل شأنه: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨).

قال الامام الشوكانى رحمه الله «ظاهر الآية جعل الاستعاذة عقب القراءة وبه قال الظاهرية، والجمهور على أن ذلك على حد قوله سبحانه وتعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم).

وقوله سبحانه وتعالى: (اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) «المجادلة: ١٢».

ويقصد الشوكانى بذلك أن الاستعاذة تكون قبل القراءة كما أن الوضوء يكون قبل الصلاة وتقديم الصدقة يكون قبل المناجاة وذلك خلافا لما ذهب إليه الظاهرية لأن المصلحة فى الاستعاذة وهى دفع وسوسة الشيطان تقتضى الإتيان بها قبل الشروع فى القراءة.

وكيفية الاستعاذة أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» عند الجمهور، وكيفيتها عند الحنابلة أن يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرحيم».

والأمر فى هذه الآية يفيد الندب عند الجمهور أى أن الاستعاذة سنة

مندوب فعلها، وذهب الامام الثورى إلى أنها واجبة لأن الأمر فى ظاهر الآية يفيد الوجوب.

وقد اختلف الفقهاء فى حكم الاستعاذة فى الصلاة ويرجع اختلافهم فى هذا الحكم إلى اختلافهم فيما إذا كانت الصلاة عملا واحدا أم أكثر من عمل.

فقال الأحناف: التعوذ سنة وهو أن يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بعد تكبيرة الاحرام والثناء (والثناء عند الأحناف أن يقول المسلم بعد تكبيرة الإحرام سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك).

ولايأتى المصلى بالتعوذ عندهم إلا فى الركعة الأولى سواء أكان اماما أم مأموما، إلا إذا أتى المصلى بعد أن شرع الإمام فى القراءة، ففى هذه الحالة يقول الأحناف أن التعوذ سقط عنه لأن القراءة بدأت قبل أن يدخل فى الصلاة بل إنهم ينهون عنها فى هذه الحالة.

وقال الشافعية: التعوذ سنة فى كل ركعة من الركعات ولكنه فى الركعة الأولى يأتى عندهم بعد دعاء الافتتاح الذى يقولونه بعد تكبيرة الإحرام وهو (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين).

وصيغته كما قلنا عند الأحناف إلا أن بعض الشافعية رأى اضافة السميع العليم، وقال : أنها سنة متفقين فى ذلك مع الحنابلة.

وقال الحنابلة: أن التعوذ سنة فى الركعة الأولى وهو أن يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرحيم».

أما المالكية فقد ذهبوا إلى أن التعوذ مكروه فى صلاة الفرض سواء أكان سراً أو جهراً أما فى صلاة النافلة فيجوز التعوذ سرا ويكره جهرا ويستند الذين لا يرون وجوبها الى أن الرسول ﷺ لم يعلمها للرجل الأعرابى الذى أساء صلاته فعلمه النبى كيف يصلى فلم يذكر له الاستعاذة كما روى أيضا أنه ﷺ تركها روى عنه أنه أتى بها. ومن هنا اختلفت أحكام الفقهاء.

والذى ينصح به هو ضرورة أن يأتى بها المصلى فى الركعة الأولى وإن أتى بها فى باقى الركعات يكون أفضل له بشرط أن تكون سراً لا جهراً.

وتسن الاستعاذة أيضا عند دخول دورات المياه فقد صح عن النبى ﷺ أنه أمر بذلك، وصيغته أن يقول الداخل: «بسم الله، اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث».

(والخبث يضم الباء والخاء معا جمع خبيث وهو ذكر الشياطين والخبائث حمع خبيثة وهى الأنثى).

وقيل: الخبث بتسكين الباء بمعنى المصدر وهو ضعيف فى رأينا لأن عطف جمع المؤنث أولى به أن يكون على جمع المذكر اذ لو اكتفى بالمصدر لما أصبح هناك ضرورة للاتيان بأفراد من جنس الخبث.

ولاشك فى أن فى مراعاة الاستعاذة فوائد منها:

١ ـ ثواب علم بكتاب الله الكريم حيث وردت فيه صيغة الأمر السابقة.

وورد أيضا قول سبحانه وتعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون).

٢ ـ ثواب العمل بالسنة، فقد كان الرسول ﷺ يتعوذ بقوله (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) إلى جانب الصيغة السابقة المعهودة.

٣ ـ محاربة الشيطان الذى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتخذه عدوا، ذلك الشيطان أقسم بعزة الله على أنه لاينفك يغوى بنى آدم الا المخلصين منهم.

٤ ـ النجاة من شر الجن الكفرة والشياطين وآذاهم.

٥ ـ تحصيل ثواب الذكر لأن الاستعاذة تعتبر من ذكر الله.

فما أجدر المسلمين ألا يهملوا هذه الفضيلة العظيمة كما هو واقع الآن.. هذا والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

من أحكام الجنائز: «التعزية»

أن تعزية أهل الميت سنة شريفة من سنن الإسلام يرجى لفاعلها الثواب إذا جاء بها على النحو المبين بالشرع، والذى يجهله أكثر الناس مع الأسف، فقد يعزى المسلم أخاه فيجلس صامتا، ظنا منه أن هذا من الخلق الحسن، مع أن هذا مخالف لسنة النبى ﷺ فى التعزية.

ووقت التعزية له ضوابط شرعية، أشهرها أنه يبدأ من حين الموت، ويستمر ثلاثة أيام، وهذا ما ذهب اليه أكبر العلماء استناذا لما رواه ابو داود والنسائى وأحمد عن عبدالله بن جعفر - رضى الله عنه - من أن النبى ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخى بعد اليوم».

وأجاز جماعة من الحنابلة وجماعة من الشافعية أن تتأخر التعزية الى أى حد بعد الثلاثة الأيام الأولى من الوفاة، وقالوا: لأن الغرض هو الدعاء والحمل على الصبر والنهى عن الجزع، وذلك يحصل مع طول الزمان، ولا خلاف بين العلماء على جواز تأخير تعزية من كان غائبًا من أهل الميت أو تأخيرها اذا كان من يريد التعزية غائبا عند حدوث الوفاة.

والمشهور عند العلماء أن التعزية تجوز لكل فرد بما يناسب حاله، إلا أن الأحناف يستحبون أن يقال للمصاب: غفر الله سبحانه وتعالى لميتك وتجاوز عنه، وتغمده برحمته، ورزقك الصبر على مصيبته وأجرك على موته.

وأحسن صيغة من صيغ التعزية ما ورد عن النبى ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد والبيهقى بألفاظ متقاربة عن أسامة بن زيد قال:

«أرسلت إلى رسول الله ﷺ بعض بناته أن صبيًا لها ابنا وابنة قد احتضرت فاشهدنا، قال: (أى أسامة بن زيد) فأرسل لها يقرئها السلام ويقول: إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت تقسم عليه ليأتينها، فقام وقمنا، فرفع الصبى إلى حجر بكسر الحاء ـ رسول الله ﷺ ونفسه تقعقع (أى تكاد روحه تخرجه) وفى القوم سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب، ففاضت عينا رسول الله ﷺ، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ وقد نهيت عن البكاء؟ قال: إنما هذه رحمة يضعها الله فى قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء).

وقال الإمام النووى فى الأذكار عن هذه الصيغ: إنها أحسن ما يعزى به، وأما جلوس أهل الميت لتلقى العزاء فهو مكروه عند الشافعية والحنابلة، مباح عند المالكية وعند الأحناف أنه خلاف الأول (بسكون الواو بعد الهمزة المفتوحة وهى درجة من درجات الحكم الشرعى عند الأحناف دون المكروه وفوق المباح: أى (لا يعاقب على فعلها) والأفضل أن يكون هذا الجلوس فى البيوت وليس فى الطرقات، وبشرط ألا يقصد به الى المباهاة والتفاخر والمظاهر الجاهلية. أما ما يحدث الآن من مجاملات عصرية مثل توزيع القهوة أو السجائر أو تبادل الأحاديث الدنيوية فى مجالس العزاء فهذا ليس من الإسلام فى شيء. ويستحب أن تعم التعزية جميع أقارب الميت كبارا وصغارا، رجالا ونساء، ما عدا المرأة الشابة، فأنه لايعزيها الامحارمها، دفعا للفتنة.

وأجاز المالكية تعزية أهل الميت أكثر من مرة وذهب إلى كرهة تكرار التعزية كل من الأحناف والحنابلة والشافعية الذين يرون أن التعزية مرة واحدة.

وللتعزية ثواب كبير ورد فيه حديث حسن أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد وابن عساكر فى تاريخ دمشق أن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ـ أنه قال: «من عزى أخاه المؤمن فى مصيبته كساه الله حلة خضراء يجريها يوم القيامة».

قيل يا رسول الله: ما يحبر؟ قال: يغبط.

أما حديث: «من عزى مصابا فله مثل أجره»، فهو ضعيف برغم أنه مشهور بين الناس، كما بين ذلك النووى ـ رحمه الله ـ فى المجموع.

وأفضل التعزية أن يدعو المعزى: (بتشديد الزاى المكسورة) للميت لما أخرجه مسلم وغيره من حديث أم سلمة من أن الرسول ﷺ حين قبض أبو سلمة دعا له فقال: «اللهم اغفر لأبى سلمة. وارفع درجته فى المهديين، وأخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له قبره، ونور له فيه».

كما دعا لجعفر فى الحديث الذى ذكرنا جزءا منه فى بداية هذا المقال.

فقال: «اللهم اخلف جعفرا فى أهله، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه. قالها ثلاث مرات». ويستحب هذا الدعاء لأنه ثبت أن دعاء المسلم لأخيه مستجاب. لقوله سبحانه وتعالى: (الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذى سبقونا بالايمان) «الحشر: ١٠».

وقوله ﷺ: (دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابه. عند رأسه ملك موكل. كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين، ولك بمثل).. صحيح رواه مسلم وأبو داود وأحمد عن أبى الدرداء.

كما يستحب فى التعزية مسح رأس اليتيم وإكرامه، لأن الرسول ﷺ فعل ذلك.

رحم الله أموات المسلمين وألحقنا بهم على العمل الصالح.. آمين.

الأضحية

الأضحية هى ما يذبحه المسلم تقربًا إلى الله تعالى، واستنانا بسنة نبيه ﷺ يوم عيد الأضحى، وأيام التشريق.

شرع الإسلام التضحية توسيعًا على فقراء المسلمين، وتحقيقا للأخوة والتعاون بينهم، وإحياء لذكرى سيدنا إبراهيم عليه السلام، حين رأى فى المنام أنه يذبح ابنه فافتداه الله تعالى بكبش، فكلما أحيا المسلمون هذه الذكرى جاشت نفوسهم بمعنى الفداء والتضحية بأغلى الأشياء ابتغاء رضوان الله، وتقربا منه سبحانه وتعالى.

أنواع الأضحية:

١ ـ الأضحية المنذورة: وهذه الأضحية التى نذر صاحبها التقرب بها إلى الله، لا يجوز له أن ينتفع بها بأى وجه من وجوه الانتفاع، فلا يأكل من لحمها، ولا ينتفع بجلدها، ولو فعل شيئا من ذلك كان لزاما عليه أن يدفع قيمة ما انتفع به كصدقة.

٢ ـ الأضحية التطوعية: وهى التى يتطوع صاحبها بها من غير نذر، والأكل من هذه الأضحية مستحب لأنه سنة عن رسول ﷺ، فقد كان يأكل من أضحيته، ويرى الفقهاء أن تقسم أضحية التطوع ثلاث: ثلث يأكل منه المضحى ويدخر منه مايشاء وثلث يتصدق به على الفقراء، وثلث يهدى منه الى الأصدقاء حتى لو كانوا أغنياء لأنها سنة.

أحكام أخرى للأضحية:

١ ـ لابد أن يكون الأنعام المضحى بها سليمة من العيوب.

٢ ـ لايجوز للمضحى أن يعطى الجزار أجرته من لحم الأضحية، فلو أعطى للجزار الجلد أو بعض اللحم لزمه التصدق بقيمة ما أعطاه.

٣ ـ تجوز التضحية عن الغائب اذا أوصى بذلك غيره، وهذا استثناء، ولكن الأصل أنها لاتجوز عن الغائب.

٤ ـ تجوز التضحية عن الميت باتفاق العلماء كما رواه أبو داود باسناده عن حفص قال: رأيت عليًا ـ كرم الله وجهه ـ يضحى بكبشين، فقلت له: ما هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ أوصانى أن أضحى عنه، فأنا أضحى عنه.

قيمة الأضحية أو مقدارها:

يجزأ من الأنعام والبقر والغنم والماعز والابل، وذلك طبقا لشروط مفصلة ذكرها الفقهاء، فمثلا قالوا: يشترط فى الأضحية إن كانت من الضأن أن تكون بنت سنة، ومن المعز بنت سنتين عن الرجل وأهل بيته، وتجزأ البقرة التى أتمت سنتين وبدأت فى الثالثة عن سبعة أشخاص (وأسرهم) والابل كذلك يجزأ فيها ما أتم خمس سنوات عن سبعة أشخاص وأسرهم.

هذه ثقافة اسلامية يجب أن نعرفها جميعا حتى لا نهمل هذه الشعيرة الكريمة التى تحقق الاخاء والتكافل والتعاون اقتداء بالسنة المطهرة.

الوصـــــية

الوصية من القضايا الهامة التى أولتها الشريعة الاسلامية عناية كبرى، وانحرف بها مجتمعنا الحديث عن مقاصد الشريعة السامية، مما يستوجب أن نعيد تسليط الضوء على حكمة مشروعيتها وأركانها وأحكامها.

معنى الوصية ومشروعيتها:

الوصية أسلوب يلجأ إليه الشخص لاسداء معروف أو رد جميل أو عمل خير يجلب له الثواب بعد انقطاع عمله بوفاته، فهى بهذا المعنى عبارة عن تنازل اختيارى من شخص ما عن بعض ما يملك، بحيث يؤول بعد وفاته الى ظروف أخرى غير الورثة الشرعيين، حيث إن الشريعة لا تبيح الوصية للوارث، ولكن الحرية ليست مطلقة للشخص فى التوصية، بل إن لها شروطا سيأتى ذكرها بعد قليل.

(والأساس الشرعى) للوصية هو قوله تعالى: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) البقرة: ١٨٠ . وما يروى فى السنة عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال: جاءنى رسول الله ﷺ يعودنى من مرض (أو وجع) اشتد بى، فقلت: يا رسول الله قد بلغ بى الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثنى الا ابنتى أفأتصدق بثلث مالى؟ قال: لا ، قلت: فالشطر (أى النصف) يا رسول الله؟ قال: لا ، قلت: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، إنك تذر ذريتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس.

أركان الوصية:

للوصية أربعة أركان هى:

١ ـ الموصى (بكسر الصاد).

٢ ـ الموصى له.

٣ ـ الموصى به.

٤ ـ صيغة الوصية.

شروطها:

ولكل ركن من الأركان الأربعة شرط حدده الفقهاء هى على النحو الآتى:

أولاً: شروط الموصِى:

أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلاً مختاراً حين يوصى كما يشترط ألا يكون عليه ديون تغطى كل تركته، لأن سداد الدين من الشركة مقدم على الوصية، فإن كان عليه دين أقل من تركته فيجب على الورثة تنفيذ الوصية فى حدود ثلث القدر الخالى من الدين.

ثانياً: شروط الموصى له:

أن يحدده الموصى باسمه (كأن يقول أوصيت لفلان) أو بصفته، والتحديد بالصفة يحتمل وجهين: الأول أن يحدد صفة تشمل عدداً لا يمكن حصره (كأن يقول أوصيت للفقراء والمساكين) وفى هذه الحالة تقسم قيمة الوصية على الحاضرين من هؤلاء فى وقت ومكان التقسيم. والوجه الثانى أن يحدد صفة تشمل عددا يمكن حصره (كأن يقول

أوصيت لأولاد أختى فلانة) وفى هذه الحالة تقسم قيمة الوصية بينهم بالتساوى لا فرق بين الذكر والأنثى.

كذلك يشترط ألا يكون الموصى له جهة معصية، فلا تصح لمحل لهو وما شابهه، ويشترط أخيراً ألا يكون الموصى له وارثا، فان أوصى لوارث توقف تنفيذ الوصية على موافقة بقية الورثة، فان وافقوا بالإجماع نفذت الوصية، وأن لم يوافقوا بالإجماع لم تنفذ، وان وافق بعضهم نفذت الوصية فى نصيبه فقط.

ثالثاً: شروط الموصَى به:

أن يكون الموصى به (محل التوصية) مملوكا للموصى وقت الوصية، وألا يكون فى أكثر من الثلث إذا كانت الوصية لأجنبى إلا فى حالة عدم وجود ورثة.

رابعاً: شروط الصيغة:

يشترط فى الوصية أن تكون بصيغة تحقق وجوب تنفيذها، كما يشترط لصحة الصيغة قبول الموصى له اياها بعد وفاة الموصى، وتبطل الصيغة اذا تضمنت شرطا يخل بمفهوم الوصية الأصلى، كأن يقول شخص مثلا (أوصيت لفلان بقطعة أرض مساحتها كذا تؤول بعدوفاته إلى فلان) لأن هذا الشرط يخل بمفهوم الوصية الأصلى وهو نقل الملكية.

مبطلات الوصية:

هناك عوامل تبطل الوصية منها:

١ ـ رجوع الموصى عنها بالقول أو بالفعل.

٢ ـ زوال أهلية الموصى كأن يطرأ عليه جنون يستمر طويلا.

٣ ـ وفاة الموصى له فى حياة الموصى.

٤ ـ أن يقتل الموصى له الموصى عمداً أو خطأ، ففى هذه الحالة لا يأخذ شيئاً.

٥ ـ خروج محل الوصية عن ملكية الموصى قبل وفاته.

٦ ـ تحرم الوصية وتعتبر باطلة إذا هدفت الى حرمان وريث من حقه، وهذا يقع فيه كثير من المسلمين اليوم.

سجدة الشكر

قد يصادف الانسان فى حياته أمرا يضطره إلى الاستعانة بغيره على قضائه، فإذا أعانه غيره، ظل يشعر نحوه بامتنان وولاء وتقدير مدى حياته كلما تذكر له هذه المعونة ولا يذكر أمامه من أعانه إلا أثنى عليه وتذكر فضله.

ومع ذلك فما أكثر ما يغفل المسلمون عن شكر نعم الله عز وجل وما أكثرها:

قال الله سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ وقد قال العلماء أن الخطاب الموجه للنبى ﷺ موجه لكل مسلم إلا إذا قام دليل على تخصيصه.

(بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) «الزمر: ٦٦».

وقال سبحانه وتعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) «النحل: ٧٨».

وأمر المؤمنين أمرًا صريحا بشكر نعمته فقال جل جلاله: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ «البقرة: ١٥٢».

وقد جعل الكفر هذا نقيضاً للشكر، لأن الشكر يتضمن معنى الاقرار بالألوهية وبنعمة الله سبحانه وتعالى فى الهداية والخلق والرزق فمن لم يشكر فقد كفر بكل هذه النعم.

كما بين سبحانه وتعالى ثواب الشاكرين العاجل فى الدنيا فقال: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنك ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) «ابراهيم: ٧».

وقد بين الرسول ﷺ أن الشكر إحدى علامات المؤمن الصادق فقال: (عجب لأمر المؤمن، أن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وأن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» رواه مسلم.

بل أن الرسول الكريم ﷺ أمرنا أن نشكر من الناس من صنع لنا معروفا، فقد صح عنه قوله ﷺ: (من أتى اليكم) وفي رواية (من صنع اليكم) معروفا، فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه) وصح عنه قوله: (أنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس).

فإذا كان من أدب الإسلام أن نشكر الناس ـ وما أقل فضلهم ـ فما أجدر كل مسلم بأن يشكر الله سبحانه وتعالى ـ وما أكثر أفضاله جل وعلاـ آناء الليل وأطراف النهار.

كيفية الشكر بالسجدة:

على أن هناك في السنة مايدل على هيئة مخصوصة للشكر عند حدوث نعمة مفاجئة للإنسان.

فقد روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص قال: «خرجنا مع النبي ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبا من (عزوراء) نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمكث طويلا، ثم قام فرفع يديه ساعة، ثم خرج ساجداً، فعل ذلك ثلاث مرات، وقال: «إني سألت ربي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي، فخررت ساجدا شكر لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجداً لربي) وروى الخمسة الا النسائي عن أبي بكر أن النبي ﷺ كان اذا أتاه أمر يسره ـ أو بشر » به ـ خر ساجدا لله».

وروى الإمام أحمد بسنده على عبدالرحمن بن عوف قال: «خرج النبى ﷺ فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجداً فأطال السجود ثم رفع رأسه وقال: (إن جبريل أتانى فبشرنى فقال: إن الله عز وجل يقول لك: من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكرا).

وحكم سجدة الشكر: أنها مستحبة عند الشافعية والحنابلة والأحناف. أما المالكية فيرونها مكروهة ويفضلون أن يكون شكر النعمة بصلاة ركعتين.

ولايجوز أن يسجد المسلم سجدة الشكر فى الصلاة عند الجمهور، واذا نواها المسلم ضمن الصلاة جاز ذلك عند الأحناف فقط. ولكنهم كرهوا الإتيان بها عقب الصلاة مباشرة حتى لايتوهم العامة أنه من سنن الصلاة أو السهو مثلا.

ولم ينص العلماء على ما يقال فى سجدة الشكر بالتحديد ولكن يمكن الاستئناس هنا بما يقال فى سجدة التلاوة، «سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره».

(اللهم اكتب لى بها عندك أجرا، وارفع بها عنى وزرا واجعلها لى عندك ذخرا).

ويسبح الله ويثنى عليه بأى صورة واردة فى السنة..

والله أعلى وأعلم..

الرهــــن

وردت مـادة «ر ـ هـ ـ ن» ثلاث مـرات فى القـرآن الكريم، اثنتـان منها بمعنى مسؤولية الإنسان عن أعماله وهما:

قوله تعالى: (كل امرىء بما كسب رهين) «الطور: ٢١.

وقوله تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة) «المدثر: ٣٨».

ووردت الثـالثة فى سيـاق التعـامل المادى بين الناس فى قـوله تعـالى: (وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة) «البقرة: ٢٨٣».

يتضـمن المعنى اللغوى للرهن: الحبس: أى جعل شىء محبوساً وفك حبسه معلق على شرط ما، أما المعنى الاصطلاحى عند الفقهاء فيتضمن حبس «عين» أى شىء معين ذى قيمة فى يد الدائن ضمانا للوفاء بماله من دين إذا لم يرد المدين الدين إلى صاحبـه، وقرىء فرهن (بضم الراء والهاء) جمع رهن.

حول آية الرهن: وقد وردت هذه الآية عقب أطول آية فى القرآن فى سـورة البـقـرة (يا أيهـا الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مـسـمى فاكتبـوه)، فلمـا أمر الله تعالى المؤمنين بالاحتياط فى معاملاتهم المالية بتوثيقها فى الكتابة والإشهاد عليها، جاءت هذه الآية بعد ذلك لتتحدث عن حالة خاصة قد يتعذر فيها وجود كاتب أو شهود، وهى حالة السفر وفى هذه الحـالة يأخذ الأحـتيـاط هذا الشكل: الرهن، بمعنى أن يضع المدين تحت تصرف الدائن شيئًا له قيمة تساوى أو تزيد عن قيـمة الدين بحيث اذا أخل بوعده جاز للدائن أن يتصرف بالبيع فى الشىء المرهون حتى يستوفى حقه.

على أنه من الضروري أن نفهم أن السفر ليس شرطا فى الرهن، فالرهن مشروع فى السفر وفى الإقامة، وإنما خصه بالذكر هنا لكونه مقابلا لشرط الكتابة فى الآية السابقة.

وقد اختلف الفقهاء فى فهم دلالة هذه الآية، فذهب الاختلاف الى أن تقييد الرهان بكونها مقبوضة دليل على أن الشيء المرهون يجب أن يكون معنيا محدداً يوضع تحت تصرف الدائن بمجرد الرهن، ولهذا لايجيز الأحناف رهن الشيء المشاع، فمثلا إذا كان عندى مال وأقرضتك مائة جنيه ورهنت فى مقابل هذا المبلغ ماتملكه (أى نصيبك) من قطعة أرض مشتركة بينك وبين أخوتك، كان هذا الرهن باطلا عند الأحناف، أما المالكية فأجازوا ذلك قياساً على أن الرهن كالبيع. ولما كان المالك يستطيع بيع ما يملكه حتى إذا كان جزءاً من ملك المشاع، فإنه يجوز له رهن مايملكه من المشاع، كذلك اختلفوا فى كون «القبض» شرطا فى الرهن من حيث هو شرط صحة، بمعنى أن الرهن لايصح إذا قبض الدائن (أى وضع يده) على الشيء المرهون ذهب إلى ذلك الحنفية والشافعية تمسكا بظاهر النص (فرهان مقبوضة)، وذهب المالكية إلى أنه شرط تام، بمعنى أنه يتم معنى الرهن، ولكن الرهن صحيح بمجرد العقد.

طرق ضمان الحق:

والآية الخاصة بالرهن جاءت بعد آية الكتابة، وانتهت بقوله تعالى: (فإن أمن بعضكم بعضًا فليؤد الذى اوتمن امانته) فاستنتج المفسرون من ذلك أن الشريعة الإسلامية حددت طرق حفظ الحقوق المالية بثلاثة أنواع:

أولاً: الكتابة إذا وجد كاتب وشهود.

ثانياً: الرهن فى حالة تعذر الكتابة.

ثالثا: ائتمان الناس بعضهم بعضاً.

ولاشك أن رضا الطرفين هو الركن الأساسى لصحة الرهن، فضلا عن الشروط المفهومة مثل الاسلام والبلوغ والعقل، وأجاز العلماء التعامل بالرهن مع اليهود والنصارى لما ثبت من تعامل النبى ﷺ مع يهودى.

أحكام الرهن:

١ ـ لايجوز للمدين المطالبة بالشيء المرهون إلا بعد رد ما عليه من دين أو تنازل الدائن عن ماله من حق.

٢ ـ إذا تلف الشيء المرهون وكان للدائن دخل فى هذا التلف فإنه يلزم بتعويضه، أما إذا تلف بدون تدخل منه فلا شيء عليه، ويستمر حقه فى عنق المدين من غير وجود الشيء المرهون، ولا يجوز للمدين الاحتجاج بأن الشيء المرهون تبددنظرا لأن تبدده ليس بتقصير ولا تعمد من الدائن.

٣ ـ إذا لم يؤد المدين ما عليه من دين فى الموعد المحدد، جاز للدائن التصرف فى الشيء المرهون بالبيع بحيث يستوفى حقه، فان زاد بعد ذلك شيء وجب عليه رده الى صاحبه، وان نقص عن حقه بقى له فى ذمة المدين ما نقص من حقه.

٤ ـ اذا ادعى الدائن أن له قدرا معينا من المال، وادعى المدين ان له أقل من ذلك، يتم تطبيق المبدأ الاسلامى «البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر».

٥ ـ إذا ادعى الدائن أنه رد الشيء المرهون إلى صاحبه، فأنكر المدين ولم يأت ببينه، يقسم اليمين، ويحكم له بقيمة الشيء، المرهون بناء على قسمه.

٦ ـ اذا كان الشيء المرهون يمكن الاستفادة به، فهناك أحكام مفصلة: فان كان ما يركب كالحمار أو السيارة جاز للدائن أن ينتفع منه بقدر ما ينفق عليه أما إن كان يتناسل أو يغل غله، فالانتاج لصاحب الرهن (المدين) بشرط أن يتولى الانفاق عليه.

٧ ـ يصبح الرهن باطلا اذا اشترط فيه أن تؤول ملكية الشيء المرهون الى الدائن فى حالة عجز المدين عن السداد، ولعل هذا هو أخطر خطأ وأكبر مخالفة يقع فيها كثير من المسلمين اليوم.

الخِطْبة.. ومحاذيرها

من المآسى المهلكة المحزنة أن المسلمين ابتلاهم الله بفئة منحرفة من البشر ينسبون أنفسهم إلى الفن، فيقدمون السم فى العسل، ويتجرعه عامة المسلمين دون وعى أو وقفة دفاع عن دينهم والذى يتابع الأفلام العربية التى تعرضها السينما أو التليفزيون ـ وهو الأشد خطرا لأنه فى كل بيت تقريبا ـ يلاحظ أن هناك جرأة غريبة على مفاهيم إسلامية، فقصص الأفلام كلها تروج للسكر والمخدرات بوصفها سلوكاً طبيعيًا لأبطال تلك الأفلام الهابطة، وقل مثل ذلك عن الربا وعن صلة الرحم.. الخ.

فالأفلام العربية قد تعرض لقصة عاشق يتفق مع زوجة يعشقها على قتل زوجها ليتزوجها أو يحرضها على طلب الطلاق منه ليتزوجها.

وقد حرم الاسلام تحريما قاطعا تحريض المرأة على طلب الطلاق، وقد نهى الرسول ﷺ عن أن (يِخبِّب الرجل الزوجة على زوجها)، ومعنى التخبيب حضها على ترك منزل الزوجية، أما القتل أو التحريض عليه فجريمة بشعة.

كما أن الزواج من المطلقة أو المتوفى عنها زوجها فى أفلامنا العربية الساقطة يتم بمجرد حدوث الوفاة أو الطلاق، أما فى الشرعية الاسلامية السمحة فله ضوابط شرعية.

قال الله تعالى: (والذين يتوفون منك ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير، ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم

ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولا معروفًا ولاتعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه، واعلموا أن الله غفور حليم) «البقرة: ٢٣٤ـ ٢٣٥».

فقد بينت هذه الآيات الكريمة أن الرجل إذا تاقت نفسه الى الزواج من امرأة مطلقة أو متوفى عنها زوجها فإن عليه أن يبتعد عن التعبير عن رغبته صراحة، ويجوز له أن يعرض بذلك تعريضا كأن يقول أمام ولى أمرها: إننى أفكر فى الزواج، أو ما أشد حاجتى الى زوجة أو يطلب منه ألا يوافق على تزويجها إلا إذا استشاره كأنه بذلك يومىء إليه أن له رغبة أما الخطبة الصريحة فمحرمة بنص هذه الآيات.

وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام أن كانت غير حامل، أما إن كانت حاملاً فعدتها هى أجلها وأجلها هو أن تضع حملها.

وعدة المطلقة ثلاث حيضات وقد شرحنا أحكام العدة تفصيلا فى مقال سابق بجريدة البيان.

وهنا يبرز سؤال هام: ما حكم الشرع إذا تزوج رجل امرأة فى أثناء العدة؟

أو بتعبير آخر: ما حكم الشرع فى الزواج الذى يحدث فى الأفلام الساقطة؟

إن هذا الزواج فاسد عند مالك وأحمد والشافعى ـ فى رواية عنه ـ ويجب فسخه فوراً وتحرم هذه المرأة على هذا الرجل تحريما مؤبدا، وذلك تطبيقا للقاعدة الفقهية (من استعجل الشىء قبل أوانه عوقب بحرمانه)،

تماما مثل القاتل الذى لايرث أباه لأنه قتله استعجالا للإرث فيعاقب بحرمانه ـ فى شرع الله ـ من الحصول على الإرث.

وقال أبو حنيفة والشافعى ـ فى قول آخر يروى عنه ـ يفسخ النكاح فإذا انتهت عدتها جاز له أن يتقدم لها خاطبا كغيره من الناس، والدليل عندهم أن التحريم المؤبد لابد له من دليل من القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو الإجماع، وهذا غير متوفر، فلا يجوز تحريمها عليه تأبيدا بالاجتهاد.

أما الآخرون فقد استدلوا بما فعله عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين بلغه أن امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف فى عدتها، فأرسل إليها ففرق بينهما، وعاقبهما، وقال: لاتحل له أبداً، وأخذ صداقها فوضعه فى بيت المال، فلما علم الإمام على بن طالب رضى الله عنه بذلك قال: يرحم الله أمير المؤمنين، ما بال الصداق وبيت المال؟

إنما جهلك فينبغى أن تردهما السنة.

قيل: فما تقول أنت فيهما؟

قال: لها الصداق بما استحل من فرجها ويفرق بينهما ولاجلد عليها وتكمل عدتها من الأول ثم تعتد من الثانى عدة كاملة، ثم يخطبها إن شاء، فبلغ ذلك عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال: «يا أيها الناس ردوا الجهالات الى السنة». رواه ابن المبارك. وقد جلد عبدالملك من فعل ذلك أربعين جلدة، وواضح من الرواية السابقة أن عليا وعمر عليهما رضوان الله قد اتفقا على عدم إقامة الحد عليهما.

ففى الرواية أن عمر ضربها (بالمخففة ـ وهى عصا (ضربات ثم فرق

بينهما) ومع ذلك فقد ذهب ابن حزم إلى أن أحد الطرفين إن ارتكب هذا الفعل وهو عالم بما يفعل فإن عليه حد الزنا، رجما أو جلدا، ولايلحق به الولد إن ولدت منه وإن كانا جاهلين فلا حد عليهما عند ابن حزم والأولى هو ما فعله الصحابة.

ومن هنا نعلم أن خطبة المرأة المعتدة لاتجوز بالتصريح والزواج منها حرام شرعا يترتب عليه التفريق بينهما فوراً وعذابهما تعزيرا لهما وتأديبا.

ومن المعروف أن بعض الشباب قد يتسرع فى فهم قوله سبحانه وتعالى: «لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا» فيظن أن المقصود بذلك لقاء الخطيبين معا، وهذا خطأ فكلمة (سرا) هنا قيل المقصود بها الوطء، وقيل الزواج، والقول المعروف المقصود به التعريض كما أشرنا فى البداية أى: لا تواعدوهن على الزواج الا بالتعريض فقط.. والله أعلم.

العلاج بالرقية الشرعية

يتحرج كثير من المنثقفين فى أيامنا هذه عند الحديث عن التداوى دالقرآن أو السنة الصحيحة الثابتة مجاملة منهم لأصحاب الأهواد من الماديين الذين ينكرون ما وراء الطبيعة إنكارا تاما أو على الزقل يتشككون فى جدوى مثل هذه الأمور.

ومبدئياً لابد من التسليم بأن العقل ـ فى المنظور الإسلامى ـ أداة من أدوات المعرفة، وموجه أساسى من موجهات الفكر، ولكنه لكمى يكون كذلك لابد له من التعاضد والتطابق مع ماورد فى النقل الصحيح ويستحيل أن يختلف النقل الصحيح مع العقل السسليم لأن شريعة الله لا تناقض ولاتتعارض مع عقل الإنسان لأنها ببساطة جاءت أساساً لتيسير حياة الناس وفقا لمراد الله من جهة، ووفقا لقدرات الناس من جهة ثانية.

وقد وردت فى التداوى بالقرآن أن أحاديث صحيحة لم يجادل أحد من السلف أو الخلف فى صحتها منها:

١ ـ ما أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى اللهعن قال «كنا فى مسير لنا فنزلنا منزلا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحى سليم (أى لديغ) وإن نفرنا عغيب (النفر يقصد به القوم وغيب بضم الغين وتشديد الياء المفتوحة جمع غائب أى غائبون) فهل فيكم من واق؟ فقام معها رجل ماكنا تأبن برقية (أى ما كنا أنه يرقى) فرقاه فبرىء فأمر له بثلاثين شاه، وسقانا لبنا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية؟ أو كنت ترقى؟ قال؟ لا ما رقيت إلا بأم القرآن (أى سورة الفاتحة) قلنا: لاتحدثوا شيئا حتى نأتى ونسأل رسول الله ﷺ، فلما

قدمنا المدينة ذكرناه للنبى ﷺ فقال وما كان يدريك أنها رقية؟ اقسموا واضبوا لى بسهم».

٢ ـ روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن نفرا من أصحاب رسول ﷺ مروا ماء (أى بأه ماء) فيهم لديغ فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق فإن الماء رجلا لديغا؟ فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء (أى واشترط أن يؤجر على رقبته ببعض الغنم والشاء جمع شاة) فبرىء فجاء بالشاء إلى أصحابه. فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كاتب الله أجرا؟ حتى قدموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسول الله ﷺ «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله».

٣ ـ أخرج أبو داود والنسائى بسند صحيح عن خارجه بن الصلت عن عمه أنه أتى النبى ﷺ ثم أقبل اجعا من عنده، فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد، فقال أهله: إنا حدثنا أن صابحكم هذا قد جاد بخير، فهل عندك شيء تدايه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرى فأعطونى مائة شاه، فأتيت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال «هل إلا هذا؟ وفى رواية؟ هل قلت غير هذا؟ قلت لا، قال: خذها ((زى الشياه)» فلعمرى لمن أكل برقية باطل فقد أكلت حق».

٤ ـ أخرج الترمى والنساذى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال: بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثين راكبا ف سرية فنزلنا بقوم فسألناهم أن يقرونا (زى يضيفوا) فأبوا، فلذغ سيدهم، فأتنا فقالوا: افيكم أحد يرقى العقر؟ فقلت: نعم، ولكن لانرقيه حتى تعطونا غنما فقالوا: فإنا نعطيكم ثلاثين شاه فقرأت عليه «الحمد لله» (أى سورة الفاتحة) سبع مرات

فبرىء وقبضت الغنم، فعرض فى أنفسنا منها شيء، فقلنا: لا تعجلوا حتى نأتيرسول الله ﷺ فلما قدمنا ذكرنا له الذى صنعت فقال: «وما علمت أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لى معكم سهما».

الأساس الشرعى للرقية والتداوى؟

من مجموع الأحاديث السابقة ـ وكلها صحيحة ـ يتضح الأساس الشرعى للتداوى بالقرآن الكريم فالرسول ﷺ أقر ما فعل صحابته رضوان الله عليهم وزاد على مجرد الرقرار بأن اقتسم معهم ما أخذوه من أجر على الرقبة ويستدل بالأحاديث السابقة على:

* جواز الاجتهد عند طروء الواقع، ففى الحديثين الأول والرابع اجتهد الصحابى فى علاج اللديغ دون سابق معرفة.

* جواز الرقية بالقرآن الكريم لعلاج اللذغ والصرع.

* جواز زخذ أجر على الرقية.

* جواز اشترط الأجر قبل تقديم العلاج.

* جواز مشاركة الحاضرين الراقى فى أجره.

شروط جواز التداوى عند الفقهاء:

نقل ابن حجر العسقلانى أجماع العلماء على جواز الرقية بثلاثة شروط:

أولها: أن تكون الرقية بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانيها: أن تكون باللغة العربية أو بما يعرف معناه من غيرها من اللغت.

ثالثها: أن يعتقد الراقى أن الرقية بذاتها لاتؤثر، وإنما الشفد راجع إلى إادة الله تعالى.

واستدل القائلون بأن هذه شروط لازمة بحديث أخرجه مسلم عن عوف بن مالك قالك كما نرقى فى الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى فى ذلك؟ فقال: «اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» وفى رواية أخرى لمسلم أيضا عن جابر بن عبدالله قال: كان لى خال يرقى من العقرب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرقى فأتاه فقال: يا رسول الله أنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقيمن العقرب فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

وفى التداوى قولان عند الفقهاء:

القول الأول: الجواز واستدل القانون به بالأحاديث السابقة وبحديث رواه أبو داود بسند حسن من حديث الشفاء بنت عبداله قالت: دخل رسول الله ﴿وأنا عند حفصة فقال: «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة» (والنملة قروح تظهر على الجلد تشبه الحبوب الصغيرة).

والقول الثانى: كراهة الرقية والتداوى ويستدل القائلون بالكراهة بحديث رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم ووافقه الذهبى بن طريق ابن مسعود مرفوعا« أن الرقيوالتمائم والتولة شرك» (التمائم جمع تميمة وهى خرزة أو قلادة كانوا فى الجاهلية يعقلونها على رأس الضبى لدفع الضرر والتولة (بكسر التاء وفتح الواو واللام) تعاويذ كانت المرأة تعلقها لتجلب بها محبة زوجها وهى من السحر).

قال الإمام ابن حجر العسقلانيك تمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكى من بين سائر الأدوية، وزعم أنهما قادحان فى التوكل دون غيرهما.

وقد أجاب العلماء على هذا بأجوبة منها أن الكراهة محمولة على من يعتقد أن الأدوية تنفع بذاتها دون اعتماد على الله ومنها أن الكراهة ترتبط لما كان من كلام الجاهلية ويتصل بهذا النوع ما كان من الرقى محتويا على كلمات أعجمية لايفهم لها معنى لجواز أنيكون فيها شىء من الكفر ومنها أن الكراهية تنصرف إلى التدين يلجأون إلى الرقى وهم أصحاء خوفا من وقوع المرض ولايمتد أثرها إلى الذين مرضوا بالفعل فهؤلاد يحتاجون إلى الرقية وقد مر من أحاديث إجازتها الكثير ولاشك أن رسول الله ﷺ عندما أباح الرقية كان يبيحها للتشريع وبيان الجواز وهو ـ ﷺ ـ فى أعلى درجات التوكل واليقين.

والخلاصة:

١ ـ أن التداوى جائز بالقرآن وما كان من السنة الصحيحة يدل على ذلك ما ورد فى القرآن الكريم من أمر بالإستعاذة من الشيطان ومن السحر ومنكل شر وما ورد فى السنة من أحاديث الرقية.

٢ ـ أن التداوى جائز لمن ألم به المرض ولايجوز للصحيح توقيا للمرض.

٣ ـ أن الاعتماد على العقل وحده دون النقل لايؤسس أحكاماً ولايضع ميزاناً.

٤ ـ لابد من تحقيق وتوثيق الأحادث والآثار الواردة فى علاج

الأمراض المختلفة حتى لايظل الباب مفتوحا على مصراعيه أمام الدجالين والمشعوذين والمرتزقة يدرسون فيه ما شاءوا من أكاذيب وينسبون ذلك إلى الإسلام.

٥ ـ يجوز أحذ الأجر ـ بل واشترطه ـ على التداوى بالقرآن.

واله تعالى أعلم.

البيع والشراء

تناطحت النظريات الاقتصادية البشرية وتنازعت فلم يجن منها الإنسان إلا كل مرارة وحقد وضغينة. فعلى حين قيدت الشيوعية الملكية الفردية وأضعفت ذاتية الفرد بزعم حماية المجتمع، سارت الرأسمالية الغربية فى طريق الحرية الفردية إلى غير غاية حتى انتهت بمعتنقيها إلى ما لاحد له من استحلال الحرمات وانتهاك المقدسات والعبث بالأخلاقيات.

ولكن النظرية الاقتصادية الإسلامية تميزت من بين النظريات الاقتضادية الوضعية بعدة مزايا من أهمها:

١ ـ إطلاق الملكية الفردية إلى غير حد ما دام المسلم ملتزماً إخراج حقوق الله الله مما يكسب من مال فلا حرج عليه إذا زاد ماله مهما يبلغ.

٢ ـ الدافع للعمل والانتاج فى الاقتصاد الغربى هو الحاجة الشخصية، وفى الفكر الاشتراكى هو الخوف من العقوبات القانونية. إما فى الاقتصاد والتشريع الرسلامى فإن الدافع إلى العملوالإنتاج هو تحقيق عمارة الأرض من خلال:

٢/أ عدم كنز المال.

٢/ب مجاورة النبيين والصديقين والشهداء لمن كان تاجرا صدوقا.

٢/ة إعفاف النفس والأهل بالرزق الحلال.

٢/د كراهية البطالة شرعا.

٣ ـ التزام الضوابط الشرعية فى استثمار المال وتنميته عن طريق التجارة والصناعة والزراعة وليس عن طريق الربا.

٤ ـ محاربة الاحتكار بكافة أشكاله وألوانه.

٥ ـ تحريم الغش فى البيع والشراء والكيل والوزن.

شروط البيع فى الإسلام:

البيع والشراء هما عماد الاقتصاد بل عماد الحياة جميعا فالإنسان لايستطيع الحياة بدونهما. ولذلك أهتم الرسلام بوضع ضوابط لهذه العملية الحيوية فنص الفقهاء على أن التراضى هو أساس البيع والشراء لقوله تعالى: (بالا أن تكون تجارة عن تراص منكم) النساء/ ٢٩. واشترطوا إلى جانب التراضى:

١ ـ أن يكون المبيع مما أحل الله تصح التجارة شرعا فى المحرمات كالخمور وما حكمها.

٢ ـ أن يكون البائع بالغاً مكلفاً فإن الصغير رذا با ع شيئاً كان محتاجاً إلى رذن وليه لقوله تعالى ﴿فإن الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فيلملل وليه بالعد﴾ البقرة/ ٢٨٢.

٣ ـ وأن يكون البائع مختاراً قال الإمام الشوكانى «لأن المناط التراضى وطيبة النفس والمكره لا رضا منه ولا طيبة نفس».

٤ ـ وأن يكون المشترى قد عاين الشيد المبيع أو رآه قبلأن يتم البيع حتى لا يتضرر منه بعد معاينته.

٥ ـ ويجب على كل متبايعين أن شهدوا على بيعهما رجلين أو

رجلاً وامرأتين إن تيسر ذلك فإن لم تيسر صح البيع وإذا كان هناك جزء مؤجل منالثمن وجب عليهما أن يكتباه لقوله تعالى ﴿إذا تداينتم بدين إلى زجل مسمى فأكتبوه﴾ البقرة/ ٢٨٢.

٦ ـ أن يتم البيع والشراء والتراضى فى مجلس واحد لقوله ﷺ«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فيبيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

بهذه الشروط الدقيقة، وما يتفرغ عنها من أحكام نظم الإسلام عمليا البيع والشراء تنظيما محكما لضمان حقوق الطرفين. وقد راعت الشريعة الإسلامية السمحة إلى جانب الشروط السابقة أن تضع آداباً وأخلاقيات لهذه العملية الأساسية فى حياة الناس فيما يلى بيانها:

أخلاقيات البيع:

أولاً: النهى عن الغش: لما ورد من أن النبى ﷺمز برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع؟ فأخبره فأوحى إليه أن أدخل يدك فيه فأدهل يده فإذا هو مبلول فقال ﷺ «ليس منا من غش» رواه أبو داود ومسلم.

ولاينبغى أن يفهم المسلمون من هذا الحديث أن الغش مقصور على الطعام والشراب فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب. والتعميم فى لفظ الحديث واضح.

ثانيا: النهى عن الكذب: فقد روى الترمذى عن رفاعة رضى الله عنه عنه أنه خرج مع النبى ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال: يا معشر التجار. فرفعوا أبصارهم وأعناقهم إليه إجابة له فقال: إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق «وفى رواية أخرى

عن الترمذى أيضا «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» .

ومن هنا يتبين أن الربح المبنى على الكذب والتضليل والخداع مال حرام يجب أن يتورع عنه المسلم عموما والتاجر خصوصا . ولا يخفى أننا فصلنا القول بالنهى عن الكذب عن القول بالنهى عن الغش مع انهما يخرجان من باب واحدهو التغرير بالمشترى غير أن الغش أخص من الكذب فالغش قد يخل فى المبيع ولكن الكذب يشمل القول والفعل معا فهو أعم من الغش.

ثالثاً: النهى عن بيع الحاضر للبادى: الحاضر هو الذى يعيش فى الحضر والبادى هو الذى يعيش فى البادية، وكان من عادة العرب أن يتولى أهل الحضر البيع لأهل البادية فنهى الرسول ﷺعن تلك العادة القبيحة لن فيها أضراراً وظلما. وكذلك ورد عن عمر رضى الله عنه عن بيع الحاضر للبادى ـ أى أن يكون سمسراً قال عمر «اخبروهم بالسعر ودلوهم على السوق» وذلك لأن بيع الحاضر للبادى سيؤدى إلى أن يتهاون الحاضر بالسعر، فيبيع بسعر أدنى، لأن الذى يهمه هو الحصول على الأجر أو السمسرة.

رابعاص: النهى عن تلقى الربكان: كذلك نهى الرسول ﷺعن تلقى الركبان. وذلك بأن يخرج التاجر إلى الطريق فيتلقى القادمين لبيع سلعهم فيشتريها منهم قبل أن يصلوا بها إلى مكان السوق. مما قد يدفعه إلى الظلم بشراء السلعة بأقل من سعرها فى السوق.

خامسا: النهى عن النجش: النجش فى اللغة تنفير الصيد وأثارته من

مكان إلى مكان. وفى الشرع هو الزيادة فى السلعة وذلك يتعرض بعض الاس لسلعة لايريد فى قرارة نفسه ـ شراءها فيزيد فى شعرها ثم يتركها مما يجعل صاحبها بعد ذلك فى حيرة أمام ما يعرض عليه فيها أقل من أثمان أقل مما سمعه من ذلك الرجل.

سادساً: النهى عن الاحتكار: وقد حرم الرسول ﷺ الاحتكار فقال «من احتكر فهو خاطىء» وتوسع فقهاء المسلمين فى شرح معنى الاحتكار فلم يقفوا به عند حدود قوت المسلمين الضرورى وإنما جعلوه يشمل كل ما من شأنه تشييق حياة الناس فإحتكار مواد البناء أو الذهبأو الفضة أوغير ذلك مثل احتمار الطعام سواء بسواء.

سابعاً: جواز الإقالة: من أخلاقيات البيع فى الإسلام السماح بأن يتراجع أحد المتبايعين عن البيع إذا ندم على بيعه أو شرائه. فقد ورد الحض على ذلك من النبى ﷺ فيما رواه أبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة ريالله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «من أقال نادماً أقالالله عثرته». ولا تناقضبين ماذكرناه هناعن الإقالة وبين ما ذكرناه من شروط البيع من قوله ﷺ«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» فإن الإقالة ليست نقضا للبيع ولافسخاً له ـ وإن قال بذلك بعض الفقهاء ـ وإنما هى مسألة إنسانية تعود إلى رضا الطرفين بعد أن يثبت لأحدهما أن أخاه غير قادر على إنفاذ التزامه. وفى هذا رثارة لجانب التراحم والتواد فى النفوس المؤمنة.

ثامنا: تحريم بيع الماء: الماء والكلأ والنار ثلاثة موارد نهى الإسلام عن الاتجار فيها لأنها مشاع بين الاس لايصح احنكارها حتى لاتتوقف حياة الناس على رضا من يدعى ملكيتها. قال الإمام ابن حزم:

«ولا يحل بيع الماء بوجه من الوجوده لافى سشاقية ولا من نهر أو من عين ولا من بئر. ولافى صهيريج. ولا مجموعاً فى قربة ولافيإناء. لكن من باع حصته من بئر أو ساقية جاز ذلك» وما نراه فى بعض البلاد من بيع ماء فى سيارات مخصوصة فإنما هو نوع من الإجارة أى تأجير السيارة لحق الماء. أماإذا كان المال المدفوع ثمنا لماء محمول من مكان كنهر جار ففى بيعه شبة والأولى بالحكومات الإسلامية أن تسعى لتوفير خدمة توصيل مياه الشرب النقية إلى جميع المنازل حتى ترفع الحرج عن الناس.

تاسعاً: النهى عن السوم على السوم: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «لايطخب الرجل على خطبة أخيه ولايسوم على سمه».

وصورة السوم أن يأخذ الرجل سلعة ليشتريها. فيقول له قائل: ردها لأبيعك خيرا منها. أو لأشترى لك مثلها بأرخص من هذا السعر. أو يقول للبائع: استردها لأشتريها منك بسعر أكبر.

أى عملية السوم يقصد بها أن تتم أثناد عملية البيع أو قبيل اتفاق المتبايعين على إتمام البيع.

عاشراً: النهى عن ابيع على البيع: ويتصل بما سبق ما ورد عن النبى ﷺ من النهى عن البيع على البيع بقوله فى رواية غير السابقة إلا بيع أحدكم على بيع أخيه). وصورة البيع على البيع أن يقول قائل لمن اترى سلعة: افسخ شراءك لأبيعة بأنقص. أو يقول للبائع:افسخ البيع لأشترى منك بأزيد.

أى أن الفرق بين السوم على السوم والبيع على البيع، أن الأول يتم خلال عملية البيع وقبل إتمامها. والثانى يكون بعد إتمام البيع وافتراق المتبايعين.

استنتاجات تربوية:

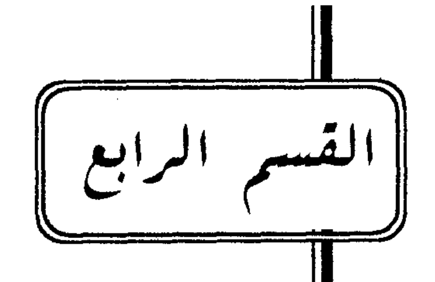
من مجمل العناصر العشرة السابقة نرى أن البيع والشراء بوصفهما عماد الاقتصاد فى كل ملة ومذهب ودين ومجتمع. يخضعان فى التصور الإسلامى لضوابط أخلاقية تربوية سامية تستهدف خير الأمة وسعادتها ويمكننا من العرض السابق أن نستنتج النتائج التربوية التالية:

١ ـ إن الاقتصاد الرسلامى ليس عملية ميكانيكية مادية. بقدر ما هو مشاركة اجتماعية ـ نفسية بين أطراف الأمة المتعاملة بالشرع الحنيف.

٢ ـ إنالاهتمام الأساس للتشريع الإسلامى ـ فى مجال البيع والشراء ـ تركز فى حماية حقوق جميع الأطراف على السواء ولم يتميز لطرف دون طرف.

٣ ـ أن المنيهات الكثيرة التى أوردناه تستهدف إشاعة جو من الثقة بين طرفى العملية التجارية: البائع والمشترى.

٤ ـ أن التراحم والتواد أصل من أصول التشريع الإسلامى فى جوانبه كافة.



من الأخلاق الإسلامية

من الآثار التربوية للايمان

لايتحقق الإيمان للفرد بمجرد أن يعلن بلسانه أنه مؤمن، فما أكثر الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.

ولا بمجرد أن يمارس الإنسان الشعائر التى يمارسها المؤمنون من صيام وصلاة وصدقة. فما أوسع دائرة المتظاهرين بهذا وقلوبهم غلت.. ولا بمجرد المعرفة العقلية بأن هناك إلها واحداً وبعثًا وحشراً ورسلاً مبشرين ومنذرين، فذلك كله محل اعتراف الكثيرين دون أن يكون لهذه المعرفة وذلك الاعتراف أثر ملموس فى سلوكهم.

لكن الإيمان الحقيقى أن تنعكس على سلوك المؤمن حرارة وجدانية قلبية مؤثرة تجعله يتحرك دائمًا وفقًا للمنهج الذى وضعته الشريعة الإسلامية السمحة لمن اختارها أسلوباً للحياة. وذلك المنهج يتلخص ـ دون دخول فى فلسفات وتعريفات ممنطقة ـ فى سطر واحد هو:

«أن يكون باطن المرأ وظاهره سواء. وأن يكونا متفقين مع تعاليم الدين» والذى يترجم هذا المعنى خير ترجمة هو قوله تعالى:

«إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، وأولئك هم الصادقون» «الحجرات: ١٥».

أثر الإيمان فى حياة الفرد:

إن الفرد يريد أن يشعر بإنسانيته، ويحيا بخصائصه، يريد أن يتميز عن باقى المخلوقات، ويطمع أن يترجم للكل بأنه أهل للعيش فيه، ويرجو أن يحس بذاتيته، ويسعد بها ، فيصرخ عاليا: بأن لى وزنًا وقيمة فى هذا الوجود، ولوجودى غاية أسعى لتحقيقها ولحياتى رسالة أعيش لها وبها.

فمما لاشك فيه أن الفرد لم يخلق عبثاً ولم يعط العقل وعلم البيان مصادفة.

الفرد ينشد الكرامة، وينشد معها القوة، وينشد السعادة، وينشدها فى هذه الحياة الدنيا لا فى الحياة الأخرى بحسب.. لايريد أن يقضى أيامه المقدرة له فى هذه الدنيا شقيا تعيساً يريد أن يعيش ناعما بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، يريد أن يتمتع بالزمن الداخلى يغمر جوانحه، وبالرضى الذاتى يملاء عليه اقطار روحه، وبالأمل المشرق يضىء له آفاق حياته وبالحب الكبير يعمر بالنور والضياء كل حناياه، وكل جوانب دنياه.

هذه أهم وأعظم ماينشده الإنسان السوى لنفسه ولكل من أهله ومن الناس[1].

وليس ثمة منهج أو دستور يوفر لهذا الفرد كل المطالب السالفة الذكر إلا منهج واحد فقط، هو منهج الإسلام، لأنه منهج حياة، أما غيره من المناهج البشرية، وإن كانت تخدم الإنسان من جانب واحد فإنها تعمل على تدميره وإحباطه من جوانب عديدة.

إذن من أهم آثار الإيمان فى حياة الفرد أن جعله مكرما على سائر المخلوقات وكل هذه المخلوقات وما حولها من مكونات هذا الكون بأسره انما خلقت مسخرة لهذا الإنسان، قال تعالى: «الله الذى خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم

(١) الدكتور يوسف القرضاوى: الايمان والحياة، الطبعة الثالثة عشر (مؤسسة الرسالة،ب يروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧) ص٦١.

الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعمدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار» «إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤».

كرامة الانسان:

نظر الناس إلى الظواهر والحكم عليها يختلف من شخص لآخر تبعا لاختلافهم فى المبادىء والأفكار والمناهج التى يعتنقونها. ومن هذا الاختلاف، اختلافهم فى نظرتهم إلى هذا الإنسان، وإنه لمن الصعب بمكان أن نتعرض لأقوال جميع الطوائف ولكن نجمل أقوالهم فى منهجين متضادين: المنهج الإسلامى، والمنهج المادى.

أولاً: فى نظر الماديين:

إن الإنسان فى نظر الماديين قبضة من تراب. من الأرض نشأ وعلى الأرض يمشى ومنها يأكل وإليها يعود.

هو كتلة من اللحم والدم والعظام والأعصاب والأجهزة والغدد والخلايا، وما العقل والتفكير إلا مادة يفرزها المخ، كما تفرز الكبد الصفراء، أو كما تفرز الكلية البول.

هو كائن ليس له أهمية ولا امتياز على غيره، إنه أحد الأحياء الكثيرة المتنوعة على هذه الأرض، بل هو من جنس هذه الهوام والحشرات والزواحف والقرود. غاية أمره أنه «تطور» بمرور الزمن فأصبح هذا الإنسان.

وهل نحن فكرة أكثر من كون الحشرات فكرة؟ نحن لانساوى أكثر من أنفسنا، وكذلك الحشرات. ونحن لانريد إلا أن نحقق أنفسنا وكذلك أيضا الحشرات.

والفرق بيننا وبين الحشرات هو فرق التفوق فقط، وفرق التفوق بيننا وبين أرقى حيوان، لايفرق كثيراً فرق التفوق بين أدنى حشرة وأرقى حيوان.

إذن ماقيمة هذا الجسم وهذا الهيكل الذى هو الإنسان؟

إن أحد العلماء رد جسم الانسان الى العناصر الأساسية فيه فخرج بالنتائج الآتية:

اذا جئنا بإنسان وزنه مائة وأربعة رطلا (١٠٤) ونظرنا اليه نظرة مادية بحته وجدنا بدنه يحتوى على المواد الآتية:

- قدر من الدهن يكفى لصنع ٧ سبعة قطع من الصابون.
- قدر من الكربون يكفى لصنع ٧ سبعة أقلام رصاص.
- قدر من الفسفور يكفى لصنع رؤوس ١٢٠ مائة وعشرين عود ثقاب.
- قدر من ملح المغنيسيوم يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات.
- قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم منه.
- قدر من الحبر يكفى لتبييض بيت الدجاج.
- قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التى تسكن شعره.
- قدر من الماء يملأ برميلا سعته عشر جالونات.

وهذه المواد تشترى من الأسواق بمبلغ من المال يساوى خمسين أو ستين قرشا مصريا[(١)].

(١) يوسف القرضاوى، نس المرجع، ص ص ٦٣_ ٦٥.

أى سخافة يدعون، وأى جهالة يقولون، وأى حقائق باطلة يكتشفون.

ما أرذل تفكيرهم وما أسفل عملهم وما أقبح قولهم.

كيف يتجرأون على تحقير أنفسهم؟

فمن المتعارف عليه بيننا نحن البشر الأسوياء أن نعمل على رفع معنوياتنا ونعتز بجنسنا، ولو صادفنا شخص يحتقر نفسه أو يقول بدناء أصله، ما يكون ما إلا أن نتهمه بنقصان العقل بل بانعدامه كلية.

ونتيجة لبحثهم فى الإنسان من الجانب المادى فقط، وترك الجانب الروحى، مالوا إلى هذه المادة الترابية، وتعلقوا بها فأصبحت معاملاتهم كلها على أساس المصالح المادية. وكثير من بين هؤلاء الماديين سواء فى الأزمان الغابرة أو الحديثة اتخذوا لهم معبودات محسوسة، فعبدوا الأصنام والكواكب والنار.. الخ.

(فالإنسان قبل الإسلام مثلاً كان يرى نفسه أحط منزلة من معظم المخلوقات والموجودات. كان يها ب كل ما عظمت جثته، ويطاطىء رأسه لكل ما يبدو له أسوداً حالكا أو أبيضاً لامعًا، ولكل ذى لبن سائغ أو لعاب قاتل. وبلغ خوفه من مظاهر الطبيعة ومن المخلوقات الضارة، ورجاؤه من الأشياء التى يرتقب نفعها، أن صار يعبد الحجارة الصم، والجبال الشم، والبحار الزاخرة، الانهار الجارية، والأشجار الخضراءو والأمطار الهاطلة، والنيران الملتهبة، الصحارى المخيفة والافاعى السامة، والأسود الزائرة، البقر الحلوب، والشمس البازغة، والنجوم الزاهرة، والليالى المظلمة، والأشباح المهيبة، وفى الجملة كان يعبد من المخلوقات كل ما يخشى شره أو يرجو خيره، اتقاء لضرره أو طمعاً فى خيراته»[١].

(١) سليمان الندوى، الرسالة المحمدية، الطبعة الأولى (الدار السعودية للنشر والتوزيع، جده، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ص ١٧٤.

وبعد هذا العرض الموجز تبين لنا تهافت هذا الانسان فى مقياس الماديين وقد قدمنا نظرة الفكر المادى لانه لاسبيل لمعرفة نظرة الإسلام وإدراك نعمته على هذا الإنسان إلا بمعرفة ضده، ولذلك قال الأقدمون: وبضدها تتميز الأشياء.

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حريصا على تعريف الجاهلية للناس، لا لأن الجاهلية دين، بل لأن معالم الإسلام ومواقع إصلاحه لا تستبين إلا إذا عرفت الظلمات والمظالم التى جاء هذا الدين لتبديدها ومحو آثارها.

قال عمر رضى الله عنه: «إنما ينحل الاسلام عروة عروة اذ نشأ الإسلام من لايعرف الجاهليه»[1].

ثانياً: الانسان فى نظر المؤمنين:

أما الإنسان فى نظر المؤمنين فهو مخلوق، خلقه ربه فى أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته فى الأرض، ومحور النشاط فى الكون، وسخر له ما فى السموات والأرض، فكل ما فى الكون له ولخدمته، أما هو فجعله تعالى لنفسه.

يقول الله تعالى فى الحديث القدسى: ابن آدم خلقتك لنفسى، وخلقت كل شىء لك، فبحقى عليك لاتشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له»[2].

(١) محمد الغزالى، جدد حياتك، الطبعة السادسة، (دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص ٢٣٥.

(٢) يوسف القرضاوى، نفس المرجع، ص ٦٦.

حقا إن الانسان شيء ضئيل بالنسبة لسعة الكون من حيث حجمه وحياه جسمه، ولكنه من حيث روحه وكيانه المعنوى شيء كبير، وهل فى الحقيقة إلا ذلك الروح وذلك الكيان المعنوى.

واذا كانت هذه كرامة الإنسان فى نظر الدين عامة، فله فى الإسلام خاصة مكان وأى مكان.، تحدث القرآن الكريم عن الإنسان فى عشرات بل مئات من آياته، أذكر بعضا منها:

قال تعالى: «اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» «العلق: ١ :٥».

ومن الآيات الدالة على مكانة الإنسان من الله. قوله تعالى: «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله «أن الله واسع عليم» «البقرة: ١١٥».

ومن الآيات الدالة على مكانة الانسان فى الملأ الأعلى قوله تعالى: «إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين. فاذا سوتيه ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا أبليس» «ص: ٧١ ـ ٧٤».

أما الآيات الدالة على حقيقة الانسان المادية منها قوله تعالى: ««ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون» «الحجر: ٢٦».

ومعنى ذلك أن الإنسان أكرم على الله من الأرض وما على الأرض حتى أنه أكرم من الكعبة المشرفة والحجر الأسود الذى خاطبه عمر بن الخطاب قائلا: «والله إنى لأعلم أنك حجرة لاتضر ولاتنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ماقبلتك».

ومن أجل تكريم الإنسان وقف رسول الله ﷺ لجنازة يهودى عندما مرت أمامه، وعندما قال له أحد أصحابه: إنها جنازة يهودى يا رسول الله قال: «أوليست نفسا، خلقها الله» ومن أجل ذلك أيضًا أخبر الصادق المعصوم محمد على الصلاة والسلام «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن لاكسبهم الله فى النار(*).

ويقول ﷺ(*): (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» كما يقرر القرآن الكريم انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا. المائدة: ٣٢. فالإنسان مكرم عند الله عامة والمؤمن خاصة(١).

مقارنة بين النظريتين:

أن المغايرة بين النظرية تتمثل فى أمور جوهرية ثلاثة:

١ ـ فى منزلة الإنسان.

٢ ـ وفى طبيعته.

٣ ـ وفى غايته ووظيفته فى هذه الحياة.

حدد القرآن منزلة الانسان فى قوله تعالى: «إنى جاعل فى الأرض خليفة» البقرة: ٣٠، فهو منفرد من مخلوقات الله ليس بجماد ولانبات

(*) رواه الترمذى فى كتاب الديات. باب الحكم فى الدماء جـ٤، ص ١١، عن عبد الله بن مسعود وقال حديث غريب.

(*) أخرجه بن ماجه فى كتاب الديات باب التغليظ فى قتل مسلم ظلما ٨٧٤/٢ عن البراء بن عازب وفى الزوائد: اسناده صحى ورجاله موثقون. والنسائى فى كتاب التحريم. والترمذى فى كتاب الديات/ باب فى تشديد قتل المؤمن ١٠/٤ عن عبد الله بن عمرو.

(١) عز الدين بليق، منهاج الصالحين، الطبعة الأولى (دار الفتح، بيروت، ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨م) ص ١١٣.

ولابحيوان، ولا بملاك ولا بشيطان، انه مخلوق مكرم فريد مسئول، يقوم بإرادة رب أوجده وقدره.

أما النظرة المادية فلم تنظر للإنسان على أنه مخلوق مكرم أوجده خالق، كلا بل هو نبات (شيطانى) برز من العدم الى الوجود وحده ويعيش وحده ويموت وحده، وبموته تنتهى روايته.

إن هذه النظرة المادية أنتجت شعورين مختلفين:

أولهما: شعور الإنسان بالتفاهة والضياع ونظرته إلى نفسه نظرية حيوانيه بحته.

والثانى: شعور الغرور والكبر، ذلك الشعور الذى ينتهى بالانسان الى حد تأليه نفسه حين يسقط وجود الإله الحق من اعتباره ويتصف وكأنه اله لايسأل عما يفعل.

عندما أقسم رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ:

(ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عز وجل عزا، ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه، انما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله ما لا وعلما فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه صادق النية يقول: لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط فى ماله بغير علم لايتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزهما سواء).

الحديث صحيح ـ أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده والترمذى فى سننه عن أبى كبشه الأنمارى رضى الله عنه.

قال رسول الله ﷺ:

(ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله سبحانه وتعالى من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصيام والزكاه، ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة ولايحب رجل قوما الا جعله الله معهم، والرابعة: لو حلفت عليها رجوت ألا اثم: لايستر الله عبدا فى الدنيا الا ستره يوم القيامة).

الحديث صحيح ـ أخرجه أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى (فى شعب الايمان، عن عائشة رضى الله عنها وأخرجه أبو يعلى فى مسنده

عن ابن مسعود، وكذلك أخرجه الطبرانى (فى المعجم الكبير) عن أبى امامة.

وفى هذين الحديثين ثروة من الأداب ـ الرفيعة ينبغى لكل مسلم أن ينهل منها بقدر طاقته.

فى الحديث الأول يقسم الرسول ﷺ على ثلاثة أشياء:

١ ـ أن إخراج الصدقة لاينقص من رأس المال شيئا.

٢ ـ وأن من يعفو عما وقع عليه من ظلم يزيده الله عزا.

٣ ـ وأن المتظاهر بالحاجة والفقر والعوز يزيده الله فقرا وحاجة وعوزا.

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو: لماذا يقسم الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق؟

والاجابة عليه أن بعض ضعفاء النفوس ربما يسمعون الحديث ويتظاهرون بأنهم مصدقون له ولكنهم فى أعماق نفوسهم يرتابون فى حقيقة معناه، فمثلا إذا كان شخص يمتلك ألف درهمامثلا فائضة عن حاجته وحال عليها الحول وكان عليه أن يخرج منه خمسة وعشرين درهما فتصبح ٩٧٥ .فكيف لاتنقص حسب ظنه؟

إن المسلم الضعيف اليقين يحتاج فى هذه الحالة على عدة أساليب لتأكيد أى خبر يصل إليه بأن ماله لا ينقص، ولهذا أقسم الرسول ﷺ ليكون فى القسم زيادة عن مصدره ـ هو الصادق الأمين ـ مزيد من الطمأنة والتوكيد ممايؤزى الى سماح النفس ونزولها عن حق الله سبحانه وتعالى فى المال برضا ويقين ومعنى الحديث على هذا أن هذه الـ ٩٧٥ الباقية سوف يبارك الله سبحانه وتعالى فيها فيجنى صاحبها من ورائها

أكثر ما كان سيجنيه من ورا ء الألف الكاملة لو بقيت دون زكاة، أو لعل المراد أن الله سبحانه وتعالى سيعوضه عما أخرجه بمزيد من رزق آخر ليس فى حساباته مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه).

وكذلك الحال فى الشىء الثانى وهو العفو عن الظلم فقد يظن هو أنه إن عفا فسيعيش ذليلا فى نظر الناس، فكان القسم هنا ضروريا بأن الله سبحانه وتعالى سيعوضه عن عفوه عزا ورفعة، وهذا واقع ملموس فى حياة الناس وفى بطون كتب التاريخ عشرات الأمثلة له.

وأما الذى يسأل الناس ويظهر أنه محتاج وما هو بمحتاج فان فى هذا القسم عن ممارسة هذهالعادة القبيحة الذميمة وهى أكل أموال الناس بالباطل هذا النوع كثير فى الحياة من حولنا. فالمنفقون يعوضهم الله أولا بأول، وأما المتظاهرون دائما بالحاجة والفقر فتزداد أحوالهم سوءا وتدنيا وذلة.

ثم يقسم الرسول ﷺ الناس الى أربعة أنواع:

١ ـ رجل معه مال وعلم يعلم بعلمه وينفق من ماله ويتقى ربه ويصل الرحم.

٢ ـ رجل معه علم بلا مال يعمل بعلمه ويتمنى أن لو كان معه مال لكى يصنع فيه كالرجل السابق فهو مثل السابق فى الأجر.

٣ ـ رجل معه مال بلا علم يتخبط فى ماله فلا يعرف حقوق الله ولا الأرحام.

٤ ـ رجل ليس معه مال ولا علم يقتدى بسابقه بمجرد التمنى فهو يتمنى أن لو كان معه مال فيتخبط فيه.

فالأول والثانى سواء فى الأجر، والأول أفضل، والثالث والرابع سواء فى العقوبة، والرابع أسوأ حالا.

ومن هذا التقسيم نستنتج:

أن أفضل الأحوال المؤمن أن يكون ذا علم ومال يجتهد فى تحصيلهما وتجتهد نفسه فى الوصول بهما الى رضا الله عن طريق صلة الرحم وايتاء ذوى الحقوق حقوقهم وكسب العلم مهم لكل مسلم حتى لايعبد الله على جهل.

أن المؤمن يعامل بنيته فاذا صلحت نال الأجر دون أن يكون قد عمل شيئا والعكس صحيح لأن الحب والكراهية من أعمال القلوب، فهى لون من الكسب، وقد يعترض هنا معترض فيقول: كيف يعاقب المسلم بنيته والحديث الآخر الصحيح جاء فيه. (ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ـ أو لم يكتب عليه شيء) ؟

والجواب الذى أراه أن الفعل (هم..) ماض، والفعل فى الحديث الذى بين أيدينا مضارع (فهو يقول: لو أن لى مالا لعملت..) فاستعمال المضارع هنا مع الشرط بـ (لو) وما يلزم فى جوابها من لازم التوكيد فيه دلالة على تجدد رغبته فى عمل الشر وارتكاب المعصية، أما الفعل الماضى (هم بسيئة) فيدل على أن ذلك ربما يكون مرة واحدة وفجأة من غير تعمد

كما قال الله سبحانه وتعالى: (لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن ما تعمدت قلوبكم).

والحديث الحالى يتمشى مع قوله سبحانه وتعالى: (ان تبدوا ما فى

أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء).

أى: بحسب علمه بحالته التى كان عليها ونيته المبيتة. وهناك احتمال آخر أن يكون الهم بالسيئة فيما يتعلق بالعلاقة بينه وبين ربه، فهذه مما يعفو الله سبحانه وتعالى عنه كما جاء فى أحاديث أخرى.. أما نيته فى تقليد المفسد بماله القاطع لرحمه فهى نية تتعلق بعلاقاته بالناس،فمن المعقول جدا أن يجازى بها.

أما الحديث الثانى ففيه يقسم رسول الله ﷺ على حقيقة ملموسة وهى أن الله سبحانه وتعالى لن يسوى فى الحساب بين من واظب على طاعة من الطاعات الثلاث:

- الصلاة - والزكاة - والصيام

وبين من تهاون فيها وتكاسل عنها الحديث عن هذه الثلاث وفضائلها وأهميتها يعد من نافلة القول لأن المسلمين - عالمهم وجاهلهم - أصبحوا على علم بكثير من ذلك مع انتشار وسائل الاعلام وكثرة تردد هذه المعانى فى خطب الخطباء ودروس العلماء.

أما الجديد فى الحديث فهو الرابعة التى قال فيها ﷺ (الرابعة لو حلفت عليها رجوت ألا آثم: لايستر الله عبدا فى الدنيا الاستره الله يوم القيامة).

وقوله فى الحديث: (ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة) فبهذا المعنيان اللطيفان يبثان البشرى للمسلمين بأن من يلتزم بالطاعات الثلاث السابقة يتولاه الله سبحانه وتعالى فى الدنيا وتوفيق الله

للعبد بأدائها دليل على رضاه تبارك وتعالى عن عبده لأنه أعانه على طاعته، والحديث يبشر المسلم بأن الذى هذه حاله سوف يكون فى كنف الله سبحانه وتعالى وحفظه يوم القيامة ولن يتركه الله لغيره. والمعنى الثانى من الحديث فيه سيساعده حتى يدخل الجنة بالعفو عن زلاته.

والشق الثانى من الحديث فيه بشرى مغلفة بالإنذار، أو إنذار مبطن بالبشرى لبعض عصاة المسلمين يسترهم الله سبحانه وتعالى فى الدنيا فالحديث يبشرهم وينذرهم فى لفظ واحد بأن من ستره الله سبحانه وتعالى فى الدنيا سيستره يوم القيامة بمعنى أن من الواجب على من ابتلاه الله بمعصية ثم ستره ألا يفضح نفسه لأن ستر الله له فى الدنيا دليل على أن الله سبحانه وتعالى بصير عليه رجاء أن يتوب أو يستغفر فيتم عليه ستره. وفى نفس الوقت فى الحديث إنذار للمصر على المعصية بأن الله سبحانه وتعالى لو كشف عن ستره فى الدنيا وفضحه فهذا دليل على سوء حاله يوم القيامة لأن يرى من الله سترا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، ويتجاوز عن سيئاتنا.. أنه سميع مجيب.

أهل الله

أخرج الإمام أحمد فى مسنده، والنسائى وابن ماجه فى سننهما، والحاكم فى المستدرك عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: (إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن: هم أهل الله وخاصته).. حديث صحيح.

وأخرج ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» وأبو نعيم فى الحلية والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: (إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فهم مابذولها، فاذامنعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم).. حديث حسن.

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى عنبة عن النبى ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها ألينها وأرقها) .. حديث حسن.

فى هذه الأحاديث الصحيحة الثلاثة يحدد الرسول الكريم ﷺ ملامح طائفة من صفوة المؤمنين، أولئك الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى وأحبهم وقربهم اليه وهم:

أهل القرآن.

القاضون لحوائج الناس.

رقاق القلوب من الصالحين.

أما أهل القرآن فالمقصود بهم أولئك الذين يشتغلون به حفظًا وتلاوة وتدريسًا واتباعًا لأحكامه فتكتمل معرفتهم به وعلمهم بأحكامه فيكون ذلك نورا يشع من وجوههم فيهتدون ويهدون الناس، مصداقا لقول الله

سبحانه وتعالى: (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوان سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم).

فإذا أضاف أهل القرآن إلى نعمة الله والعمل بالقرآن نعمة التصدق وقضاء حوائج الناس فقد استكملوا بذلك أمهات الفضائل وحازوا أعلى درجات رضا الله لقوله سبحانه وتعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيه يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور).

ولاشك أن التعامل الصحيح مع القرآن قراءة وفهما يتطلب تعليما دقيقا لأصول التلاوةوتصويب النطق ومعرفة أماكن الوقف والوصل وآداب التلاوة كما أن العمل به يتطلب ثقافة فقهية مناسبة حتى لا يعتمد الإنسان على نفسه فى فهم النص فيلتوى به عن المراد به.

لذلك قال الإمام البغوى فى مقدمة تفسيره «معالم التنزيل»: «أعلم أن الأمة كما هم متعبدون ـ بفتح الباء المشددة ـ أى مكلفون مأمورون بفهم معانى القرآن واقامة حدوده، كذلك هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاه عن أئمة القراءة ـ قراءة القرأن ـ المتصلة بالحضرة النبوية.. والناس فى ذلك بين محسن مأجور ومسىء آثم أو معذور».

ومن هنا جاء الحديث الصحيح المتفق عليه (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وما على غراره من أحاديث أخرى تشيرإلى علو منزلة من ينفقون عمرهم فى هذه الرسالة النبيلة تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

أمـا القـاضـون لحـوائج الناس فـالمقـصـود بهم أولئك الذين يبـذلون جهدهم وجاههم ومالهم ووقتهم لإسعاد الآخرين وتحقيق مصالحهم لا حبا فى الشهرة ولكن التماسا لرضا الله سبحانه وتعالى عنه وطلبا لأجره والمغفرة والقرب من الله وحب رسوله ﷺ الذى قال: (ان من أحبكم إليّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون).. حديث صحيح.

فقوله: (الموطؤون اكنافا) يشير إلى الفئة الثالثة من أهل الله سبحانه وتعالى وهم: رقاق القلوب من الصالحين الذين لا يحول بينهم وبين من يحتاج اليهم حائل ولا حاجب، ولا يمنعهم مانع من أن يغشاهم ذوو الحاجات فى أى وقت دون رهبة أو خوف.

وقـوله: (الذين يألفـون ويؤلفـون) يعني: الذين ينبسط نفـوس الناس بلقائهم، وينبسطون بلقاء الناس.

فقد ورد فى الحديث: (تبسمك فى وجه أخيك صدقة).

وقد جعل الإمام البخارى أحد أبواب كتابه «الأدب المفرد» بعنوان «باب ما يجب من عون الملهوف» فأخرج فيه بسنده عن ابى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ سئل: أى الأعمال خير؟ قال: ثمنا وأنفسها عند أهلها، قال (السائل: أفرأيت إن لم استطرب بعض العمل؟

قال: تعين ضائعًا، أو تصنع لأخرق.

قال: أرأيت أن ضعفت؟

قال: تدع الناس من الشر، فانها صدقة تصدقها على نفسك).. حديث صحيح.

وبسنده أيضا عن أبى بردة قال: سمعت أبى يحدث عن جدى عن النبى ﷺ قال: (على كل مسلم صدقة).

قال : أفرأيت إن لم يجد؟

قال: فليعمل فلينفع نفسه، وليتصدق.

قال: أفرأيت ان لم يستطع أو لم يفعل؟

قلا: (يمسك عن الشر فإنه له صدقة).. حديث صحيح.

وعن جرير بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس).. حديث صحيح.

وأقل ثمار هذه الخصال الكريمة: دعوة صاحبها بالخير لمن قدم له الخير وهى دعوة مستجابة ان شاء الله خصوصاً إذا كانت بظهر الغيب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا أنه سميع قريب مجيب.. وصلى الله وسلم بارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من آداب المجلس في الإسلام

كان مجلس النبى (ﷺ) مدرسة مفتوحة يتعلم فيها الجالسون أرفع الآداب وأسمى الأخلاق ممن أدبه ربه فأحسن تأديبه ومن أجل ذلك كان حرصهم على حضورها شديداً فكان المكان يضيق بهم فى بعض الأحيان فيتزاحمون فى الجلسة.

وكان معروفا عن النبى (ﷺ) أنه يجب إكرام أهل بدر من المهاجرين والأنصار لما لهم من مكانة سامية وسابقة فى الجهاد.

وحدث ذات يوم جمعه وكان مجلس النبى (ﷺ) فى الصفة ـ وهى موضع كان بعض فقراء الصحابة ممن الا أهل لهم يقيمون به إقامة دائمة فى أحد جوانب المسجد ويعيشون على صدقات الموسرين ـ وكان المكان غاصا بمن حضروا من الصحابة فجاء قوم من أهل بدر ووقفوا فى مواجهة النبى (ﷺ) انتظاراً لأن يوسع لهم فى المجلس. ولكن حرص الجالسين على القرب من حضرة النبى (ﷺ) جعلهم لايتحركون فشق ذلك على النبى (ﷺ) فالتفت الى الجالسين من غير أهل بدر وقال: قم يا فلان وأنت يا فلان وأنت يا فلان ـ بعدد الواقفين القادمين ـ ثم أمر أهل بدر بالجلوس.

وقد شق ذلك على من أقيم من مجلسه وربما ظهر أثر ذلك فى وجهه فاستغل المنافقون هذا الموقف وقالوا: «والله ماعدل على هؤلاء. أن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فأنزل الله تعالى الآية الكريمة: «ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله

الذى آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير» المجادلة: ١١.

وروى الإمام الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية عن ابن عباس أنها نزلت فى ثابت ابن قيس بن الشماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم أماكنهم فأراد أن يجلس قريبًا من حضرة النبى (ﷺ) نظرا لما كان به من ضعف فى السمع فسوموا له حتى اقترب منه ثم جرى بينه وبين بعضهم كلام أو عتاب.

وقد كان النبى (ﷺ) يقول: «ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى» وكان يقدم الأفاضل من أصحابه سواء فى المجلس أو فى الجهاد أو فى أى باب من أبواب الخير التى كانوا يتنافسون عليها.

قال الفخر الرازى: واعلم أن هذه الآية دلت على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة. وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: «يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» جواب الأمر فى قوله «وإذا قيل انشزوا فانشزوا» أى: اذا قيل لكم انهضوا فانهضوا للتوسعة على المقبلين. أو انهضوا للصلاة أو للجهاد أو غير ذلك من أعمال الخير، فكأن رفع الدرجات نتيجة لازمة للامتثال الامر بالتفسح والنهوض فما السبب فى اختصاص أهل العلم بالذكر هنا من بين المؤمنين جميعا؟

روى الزمخشرى رحمه الله عن ابن مسعود أنه كان إذا قرأ هذه الآية يقول: (يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم).

قال العلماء: أن الممتثل للأوامر الإلهية والنبوية بالتوسع والنهوض

يخفض نفسه عن مكان يحبه ويحرص عليه التزاما بالأوامر الشرعية ومن هنا كان جزاؤه أن يرفع الله مكانته ودرجته لأن الجزاء من جنس العمل فلانه تواضع لله رفعه الله، وهذا النوع من الجزاء يناسب العلماء خاصة من دون الناس لأن مجالسهم عادة تكون أرفع من مجالس مستمعيهم فكان الواحد منهم اذا نزل عن مكانه بارادته وتواضع زاده الله عزا ورفعة درجات أكبر. وقد اختلف موقف الصحابة رضوان الله عليهم من هذا الأدب السماوى الرفيع باختلاف شخصياتهم.

فكان سيدنا عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن أبيه لا يجلس فى المكان الذى يقوم له صاحبه عنه التزاما بحديث رواه هو نفسه عن النبى (ﷺ) يقول فيه: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» حديث صحيح أخرجه الشيخان من حديث نافع ـ أما سيدنا أبى بن كعب سيد القراء فكان إذا انتهى الى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفناد الناس (أى من العامة) ويدخل هو فى الصف المتقدم ويحتج لعمله هذا بحديث صحيح رواه مسلم وأهل السنن ـ عدا الترمذى ـ عن عبدالله بن مسعود قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول (استووا ولاتختلفوا) فتختلف قلوبكم ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، وقال الإمام ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات» أى لاتعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لاخيه إذا أقبل وإذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لايضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة. فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره والله تعالى خبير بمن يستحق ذلك وبمن لايستحقه.

ومما يتصل بأدب المجالس فى الإسلام بوجه عام أن يكرم المضيف ضيفه وقد أشرنا سابقا الى إكرام رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لأهل بدر فى مجلسه ومن باب أولى أن يكرم المرء ضيفه فى بيته.

قال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز «قال لى رجاء بن حيوة: ما رأيت رجلا أكرم أدبا ولا أكرم عشرة من أبيك. سمرت عنده ليلة فبينما نحن كذلك إذ انطفأ المصباح وكان غلامه قد نام. فقلت: يا أمير المؤمنين قد عشى المصباح ونام الغلام فهل تأذن لى حتى أصلحه؟ فقال: إنه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه، ثم حط رداءه عن منكبيه وقام إلى الدبة (اناء كان يوضع فيه الزيت) فصب من الزيت فى المصباح، وأشخص الفتيلة ثم رجع وأخذ رداءة وقال لى: قمت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر.

ويروى عن الأحنف بن قيس دخل على معاوية فأشار اليه ليجلس على وسادة قريبة منه فلم يجلس عليها، بل جلس على التى تليها ثم قال: يا أمير المؤمنين أن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال: لاتسع للسلطان حتى يملك (أى لاتتهافت على زيارة السلطان خشية أن يصيبه الملل منك) ولاتقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وسادة. واجعل بينك وبينه مجلس رجل (أى مسافة تكفى لجلوس شخص واحد) أو رجلين فإنه ربما أتى من هو أولى منك بهذا المجلس فتقام فيكون قيامك هذا زيادة له ونقصا عليك حسبى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين.

ومن آداب المجلس فى الإسلام أن يشترك الجميع فى الكلام وبخاصة إذا كان الجالسون ثلاثة لما رواه الشيخان والترمذى وأبو داود عن ابن

مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه «أى لابد أن ينتظر الاثنان الراغبان فى المناجاة حتى يختلطوا بغيرهم إذا أراد أن يتركا ثالثا معهما. لانهما لو تناجيا وتركاه فإن ذلك يحزنه وقد يدفع إلى صدره بعض الموجده أو الشك أو سوء الظن.

ومن آداب المجلس كذلك أن يجلس الرجل حيث أجلسه صاحب المنزل ولايتعدى هذا المكان، ولو أمره بالخروج وجب عليه الخروج، ولو لم يأذن له فى الدخول لم يجز له الدخول. الى غير ذلك مما أصبح الناس عنه غافلين.

التربية الذاتية من خلال فريضة الصيام

قالالله تعالى: ﴿يأيهاالذين امنوا كتب عليكم لصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ البقرة/ ١٨٣ بهذه الآية الكريمة افترض الله تعالى على أمة محمد ﷺ الركن الثانى من أركان الرسلام وهو صوم شهر رمضان منكل عام. ثم أوضحت السنة المحمدية المطهرة ضوابط الصيام وشروطة وآدابه كما أوضحت جزاءه عند الله تعالى.

ومن المعلوم أن للصيام أحكاما فقهية عروفة للمسلمين فيما يتعلق ببدايته ونهايته والإعتكاف فيه وزكاة الفطر وغير ذلك. كما أن له آدابا يتعلق بترك أذى الآخرين، والإحسان، والتصدق، والدعاء.

ولكن موضوه هذه السطور ينصب على تلك القيمة العليا للصوم تلك القيمة التى تتمثل فى كبح جماح نفسه، وتعوده على تربية نفسه ذاتيا، وهذا نموذج عال فى التربية لم تصل إليه أحدث النظريات التربوية فى الغرب حتى الآن.

فالتربية الغربية إن تركت الإعتمادية [بمعنى إعتماد الأفراد فى تربيتهم على غيرهم] ووكلت إلى الفرد أمر تربية نفسه، أسرفت فى الاعتداد بالحرية الشخصية وإن قيدت الحرية الشخصية، أسرفت فى الاتعداد بقيم المجتمع أيا كان مصدر تلك القيم.

ولكن التربية الذاتية فى فريضة برئت منكل خطايا نماذج التربية البشرية وحققت للفرد من السمو والنبل ما يرتفع به إلى درجة ملائكية إذا هو أحسن اتباع تعاليم دينه الحنيف.

وسنناقش فيما يلى أهم جوانب التربية الذاتية فى فريضة الصوم.

أولاً: القدرة التنظيمية العالمية:

إن إلتزام الائم مواعيد دقيقة أشد الدقى فى سحوره وإفطاره ومحافظته على دقة بدد وقت الصوم عند طلوع الفجر الطادق ومراعاة كل سلوكياته من أكل وشرب وجماع بحيث لايتأخر لحظة عن موعد بدء الصيام. ومسارعته إلى الإفطار ـ حسب تجيه السنة المطهر ـ لحظة غروب الشمس التماسا للبركة. كل ذلك ينمى داخل الشعور الذاتى القدرة على تنظيم الوقت والتحكم فى السلوك تبعا للوقت. فإذا أضفنا إل ذلك حرص المسلم على التزام الجماعة فى صلواته كان ذلك أدعى لتنمية إحساسه التنظيمى، وتربية قدرته على ضبط النفس.

ثانياً: التوجيه الإيجابى للغرائز:

من المعروف لدى علماء النفس أن الطعام والشراب والجنس غرائز مركوزة فى النفس البشرية بحكم الفطرة لأنها ترتبط بغزيزة حب البقاء التى تسكن كل نفس بشرية أو غير بشرية. وهذه الغرائز دوافع سلوكية هائجة قد تكون مدمرة لصاحبها، فغريزة حب البقاء هى التى تدفع الإنسان للنضال من أجل البقاء فيرتكب من الخطايا والأخطاء ـ عند الضرورة ـ ما يراه كافيا أى خطر يهدد حياته وبقاءه. فقد يسوق إذا جاع، وقد يقتل إذا حوصر بأية أخطار وكل ذلك مركوز فى فطرته.

والمسلم فى حال الصيام يتعامل مع هذه الغرائز الفتاكة بالسياسة والترويص. ويتسامى بهذه الغرائز دون أن زءنى ضغط خارجى، ودون أى خطر يخشاه، فيتحول سلوكه تدريجياً من الشراسة إلى اللين، ومن العنف إلى الهدوء، ويتهذب طبعه ذاتياً بوحى من ضميره، ووزاع من داخله

فتسمو سلوكياته وتسير غرائزه به فى الاتجاه الإيجابى الذى يرتضيه له الدين الحنيف.

ثالثاً: تربية الإرادة بإرادة التربية:

إن ما فى صوم منمجاهدات نفسية متصلة يخلق فينفس الإنسان «إرادة» قوية فاعلة نشطة حية. وهذه الإرادة الذاتية تقوم ـ متى قامت ـ على أنقاض إرادة خائرة كانت تظل حياة المرء طيلة أحد عشر شهرا. فهناك من الناس من تثور ثأرته، ويعلو صوته، إذا تأخر موعد طعامه ساعة أو بعض ساعة. وهناك من يدخن، وهناك من يتاطى أدوية فى ساعات محددة. وكل هذه العادات تمثل ضغوطاً ومية على الإادة البشرية. ويختلف الناس فى تلبيتها تبعا لاختلاف قوة شخصية كل منهم أو ضعفها.

فإذا كان ذابت تلك الإرادات الخائرة وانصهرت فأنتجت إرادة قوية تخضع لإرادة الله تعالى العليا استهدفت بهذه الفريضة تعويد المسلم ترويض إرادته وتربيتها بوازع داخلى فيترك كل شهواته طواعية واختيراً لاقسراً وإجباراً. فتنمو لديه إرادة التربية الذاتية شعوريا فى أول الشهر ثم تتحول إلى سلوك لاشعورى فى آخر الشهر ـ مع التعود ـ وحبذا لو استمر الإنسان متحكماً فى إرادته بقية العام ليتحقق بذلك المفهوم من قوله تعالى فى أخر آية الصوم التى ذكرناها وهو قوله «لعلكم تتقون».

رابعا: التربية الصحية ذاتياً:

يعتاد المسلم فى رمضان ترك شهواتالطعام والشراب والجنس بمحض اختياره طوال ساعات الصيام. مع أنه إذا أمره الأطباء بذلك تحايل على أوامرهم وخان نفسه وخحان أوامرهم ولم يمتثل لها إلا ريثما يتحلل

منها. ومن ثم فإن أجهزة جسمه تظل أحد عشر شهراً تعمل وفقا لسلوك غريزى لايفرق بين الخير والشر.

فإذا جاء رمضان، تحول هذا المخلوقالمسرف على نفسه إلى كائن سلس مطيع مهذب يرى كل ما تنتهى نفسه ولا يقربه إلا بأمر من الطبيب، ولا بقوة من القاون، ولا بتهديد من السلطة.

ولكن بإرادته الذاتية الخاصة التى تستلهم التشريع الرسلامى الحنيففى كل ما تأتى وما تدع. فيعود إلى جسمه ما افتقب دمن سحة، ويرتد إلى صحته ما أضاعت من مصلحة. وهكذا نر فى كل عام من استطاع من درس الصيام إنساناً جيداً مقبلا على حياته بسلوكيات جديدة وقد تخلص من بعض عاداته الصحية السيئة.

خامساً: اعتدال المعايير:

يعمل شهر الصيام على إعادة الاعتدال إلى معايير حياة المسلم، فتتحول الأنانية إلى إيثار، وتتحول الذاتية إلى الغيرية. ومن أمثلة ذلك حب المال الذى يسيطر على سلوك الناس طوال العام فإذا جاد رمضان أوجد لدى الجميع شعورا جماعيا بروح التعاون والريثار، فامدت موائد الرحمن على نواصى الشوارع ليأويإليها الفقراء والمحرومون، وامتدت أيدى الأغنياء إلى خزائن أموالهم وجيوبهم فتأخذ منها لتعطى المحتاجين وهو أمر لايمارسه المسلمون طوال العام إلا من هداهم الله.

فيختفى الجشع والطمع ليحل محلها حب الخير للآخرين والحدب عليهم، والبر بهم،ونحن لانريد أن يكون الفقير موضع رشفاق الغنى فهذا مما يؤجج أحقاد الاس بعضهم على بعض. ولكن الشعور. الذى ينبغى أن يسود هو شعور الأخوة الكاملة. فيعطى الغنى عن رضا وسماح واقتناع

بتلك الأخوة. ولايطعى مشبعة بالبطر والكبرياء فتقع صدقته مننفس الفقير موقع الغل والحسد فيتقبلها مكرها لا راضياً، لولا حاجته الماسة لرفضها وشمم لأنها تمس فيه العزة التى صانها دين الله للمؤمنين جميعاً وأكدها مرتبطة بالدين لا مرتبطة بالجاه أو السلطان أو المركز أو المال.

سادساً: استثمار الوقت:

إن مداومة الصائم على ذكر الله ليلة ونهاره طوال شهر رمضان، وحرص المسلمين على صلاة التروايح، وقيام الملايين فى ليلة القدر يذكرون ربهم ويرجون رحمته ويستغفرونه، كل ذلك يؤكد إحساس الجميع بأهمية الوقت وقيمته وضرورة استغلاله فيما ينفع صاحبه فما الذييمنع من أن يظل هدذا الدرس ماثلاً فى نفوس الصائمين بقية العام؟ هذا وبالله التوفيق.

الوصية بالجار

ما أكثر ما نسمع قول العوام «النبى وصى على سابع جار»! فالى أى مدى يعتقد المسلمون صحة هذا القول السائر من أقوال العامة؟ وهل حقيقة أن النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو الذى أوصى بالجار؟ أم أنه توجيه الهى بصورة الأمر الملزم؟

إن إجابة هذه الأسئلة فى غاية الأهمية بالنسبة لكل مسلم، لأن الخطأ الشائع بين المسلمين هو أن معاملة الجار بالحسنى هى من باب «الاحسان» إلى الجار، بينما الحقيقة هى أن المعاملة الحسنة تكليف إلهى لكل مسلم لا يحتمل الاجتهاد ولا التأويل.

فالإنسان الذى يؤذى جاره ـ بأى نوع من الإيذاء ـ حكم على نفسه بالتخلى عن إيمانه، فقوله ـﷺـ: «والله لا يؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن، قيل ومن يا رسول الله؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه» (والبوائق هى الشرور والأذى من أى نوع).

قال تعالى: (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا، وبذى القربى، واليتامى، والمساكين، والجار ذى القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) «النساء: ٣٦».

ففى هذه الآية الكريمة يأمر الله تبارك وتعالى المسلمين جميعا بعدم الإشراك بالله ويقرن بذلك الإحسان إلى الطوائف التى يحتك بها المسلم فى حياته اليومية وهى:

١ ـ الوالدان.

٢ ـ الأقارب.

٣ ـ البتامى.

٤ ـ المساكين وأصحاب الحاجات.

٥ ـ الجار القريب.

٦ ـ الجار الذى لاقرابة له.

٧ ـ الصاحب بالجنب. واختلف فيه العلماء، فقد روى عن على بن أبى طالب وابن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ أن المقصود بها المرأة، وعن طائفة من التابعين أنه الرفيق فى السفر، وقيل الجليس.

٨ ـ ابن السبيل: الضيف فى قول ابن عباس وجماعة، وقال الضحاك ومقاتل: هو الذى يمر عليك مجتازا.

٩ ـ الخدم فالجار سواء أكان قريب أم غير قريب أمر الله تعالى بالاحسان إليه كما أمر بالإحسان الى الوالدين سواء بسواء، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بمفرده وفى تدهور العلاقات الجوارية بين المسلمين تفكيك لوحدة الأمة المسلمة وإضعاف لها وكفى بهذا جريمة فى شرع الله، لأن وحدة الصف مقدمة على كثير من الواجبات.

روى الشيخان عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» رواه أحمد والترمذى، وقال: حسن غريب.

وذهب الإمام الفخر الرازى إلى أن المقصود بالجار ذى القربى هو الجار القريب من حيث المكان لا من حيث صلة الدم، والمقصود بالجار الجنب هو الذى بعد جواره، ونحن نميل الى هذا التفسير لأن ذوى القربى الدموية سبق ذكرهم قبل الجيران.

ونقل الرازى رحمه الله الحديث السابق بلفظ «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه الا وأن الجوار أربعون داراً»، وكان الزهرى يقول: أربعون يمنة، وأربعون يسرة، وأربعون أماما، وأربعون خلفا، وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قيل: يا رسول الله أن فلانة تصوم النهار وتصلى الليل وفى لسانها شيء يؤذى جيرانها فقال عليه الصلاة والسلام: «لاخير فيها هى فى النار».

وروى أنه ﷺ قال: «والذى نفس محمد بيده لا يؤدى حق الجار الا من رحم الله وقيل ماهم أتدرون ماحق الجار؟ أن افتقر أغنيته وأن أصابه خير هنأته، وأن أصابه شر عزيته، وإن مرض عدته، وأن مات شيعت جنازته».

مما سبق يتضح أن معاملة الجار بالحسنى ليست إحسانا ولاتفضلا كما يظن كثير من العامة وكما يستعملها كثير من الخطباء أعنى تعبير «الإحسان إلى الجار» وإنما هو تكليف يترتب على إهداره العذاب فى النار والعياذ بالله، هذا وبالله التوفيق..

المضامين التربوية

في

بعض القصص القرآنى

المضامين التربوية فى قصة سيدنا موسى

(فى سورة «طه»)

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً، وأسلسلها عرضا، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها ومعها.

وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية الى التبصر والتأمل والتماس العبرة.

ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيه ـ من الناحية الفنية ـ معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله من الناحية الموضوعية ـ أهداف كثيرة لعل الهدف التربوى من أهمها لما ينضوى تحته من قيم مثمرة، وعطاء سام متجدد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

وقصة سيدنا موسى فى سورة طه نموذج لما يتضمنه القصص القرآنى من ثراء فنى وعمق تربوى سنلقى عليه الضوء فى السطور القادمة:

تحمل سورة طه بين طياتها بعض المواقف من قصة سيدنا موسى، وقد تضمنت هذه المواقف الكثير من الأحداث نتعرض لها فيما يأتى باختصار:

١ ـ تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى فى جبل الطور:

عندما سلك موسى وأهله الطريق وكانوا سائرين فى الوادى المقدس فى الطور ناداه ربه سبحانه وتعالى (إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك

بالوادى المقـدس طوى). هذه هى البـداية نداء من الله العلى القـدير إلى نبى من أنبيائه الذين اختارهم حتى نستقيم حياة الناس.

ثم يصدر الأمر الإلهى لسيدنا موسى أن يدعو إلى توحيد الله وعبادته وحده وإقام الصلاة والدعوة الدائمة لذكر الله سبحانه وتعالى.

ثم يستمر الحديث بين رب العزة وموسى إلى أن يسأله الله سبحانه وتعالى قائلا «وما تلك بيمينك يا موسى» فيرد سيدنا موسى عليه السلام: «هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى».

وكان يكفى سيدنا موسى أن يجيب بأنها عصا وفقط، ولكن أحب سيـدنا مـوسى أن يطول الحـديث مع رب العـزة جل وعـلا فـأطنب فى الإجابة حتى يطول مقامه بين يد العزيز الغفار.

ثم أظهر الله سبحانه وتعالى له بعض معجزاته التى أعطاها إياه فقال له: (ألقـها يا موسى فـألقـاها فإذا هى حيـة تسعى قـال خذها ولاتخف سنعيدها سيرتهاه الأولى واضـمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى).

٢ ـ مساندة هارون لأخيه موسى لمواجهة فرعون:

عندما يأمر رب العزة سبحانه سيدنا موسى بالذهاب الى فرعون وأن يأمره بتوحيد الله ويطلب سيدنا موسى من رب العزة أن يشد عضده بأخيه هارون عليهـما السلام لأنه أفصح منه لسانا واقوى منه بيانا وأقل منه فى الكلام والحوار والمناقشة وهذه الأشياء من لوازم الدعوة الى الله سبحانه وتعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن).

٣ ـ حوار موسى وهارون مع فرعون :

يأمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون أن يذهبا الى فرعون ويقولا له: (إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولاتعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى)، فيبدأ حوار بين موسى وهارون من جانب، وفرعون من جانب آخر.

ففى الوقت الذى أراد فيه موسى أن ينقذ فرعون وقومه من عذاب الله ويدعوهم إلى توحيد الله وحده وعبادته وحده والإذعان والطاعة والانصياع له وحده وذكره وإقام الصلاة لرب العالمين، فى الوقت الذى أراد موسى لفرعون كل هذا الخير فى الدنيا والآخرة يرد فرعون بكبر وغطرسة وإنكار للرسالة التى جاءه بها موسى وهارون ويتهم موسى بأنه ساحر، قال تعالى: (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحرمثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى قال موعدكم يوم الزينة...).

واستمرت الأحداث والتقى الجمعان وقام السحرة بإظهار فنونهم وألقوا عصيهم وحبالهم فإذا هى يخيل لهم من سحرهم أنها تسعى ثم يظهر موسى معجزاته التى حباه الله بها فتهتز قلوب السحرة ويخروا ساجدين لله سبحانه وتعالى إيماناً منهم بالإله الواحد لا إله غيره.

فهددهم فرعون بالقتل والتعذيب وتقطيع الأرجل والأيدى والصلب فلم يثنهم ذلك عن إيمانهم بالله سبحانه وتعالى.

وتستمر الأحداث ويبلغ الصراع بين موسى وفرعون وقومه مداه وتأخذ المواقف نوعا من الإثارة والتشويق ومحاولة الإيقاع بموسى وقتله

ولاتكاد تخلو دعوة نبى من أنبياء الله سبحانه وتعالى من محاولات الإيذاء والطرد والتخوف والقتل وهكذا تكون الدعوة لاتخلو أبداً من عوائق وعقبات فهى ليست سهلة ميسورة وإلا كان آداؤها ممكناً لأى إنسان ولكن نظراً لتلك العقبات والعوائق فإن الله سبحانه وتعالى اختار لها عبادا يحملون أعباءها أصحاب عزم وصبر لا يعصون الله ما أمرهم.

٤ ـ حوار موسى والسامرى:

قال تعالى: «قال فما خطبك يا سامرى قال: (بصرت بما لم يبصروا به.. الخ الآيات فعندما أعلن السامرى قدراته التى يتمتع بها فى غرور وكبر رد عليه سيدنا موسى قائلاً: (اذهب فان لك فى الحياة الدنيا أنه حرم عليك لمس أو مس أى كائن حى فإذا لمسته فانه سوف يصاب بالحمى ثم يموت وهذا جزاء أنك صنعت من شيء غير حى كائنا له صوت فعندما تلمس أى كائن حى فسوف تموت وفى الآخرة لن يخلف الله وعده لك بالعذاب الشديد، وانظر إلى الإله الذى كنت تعبده لننسفنه نسفا ونلقيه فى اليم وهكذا فقد أخذ السامرى نصيبه فى الحياة الدنيا ينتظره العذاب الشديد فى الآخرة.

المضامين التربوية:

حفلت قصة سيدنا موسى فى سورة طه بالعديد من المضامين التربوية نذكرها بشيء من التفصيل:

١ ـ الحب والروابط الأسرية: يتمثل الحب هنا فى حب الأم لوليدها والخوف عليه من القتل فوضعته فى تابوت وألقته فى البحر بعد أن أوحى الله سبحانه وتعالى لها بفعل ذلك ثم رده اليها لترضعه.

وينبغى على الآباء والأمهات الحرص الشديد على الأبناء والخوف عليهم من تيارات الحياة الجارفة حتى يصلوا بهم إلى بر الأمان بعون الله وتوفيقه.

٢ ـ المحافظة على طاعة الله والالتزامات التى ألزمنا بها سبحانه: من هذه الالتزامات المحافظة على الصلوات وذكر الله سبحانه وتعالى. فإن إقامة الصلاة فى مواعيدها تؤدى إلى الالتزام بطاعة الله سبحانه وتعالى كما أمرنا.

٣ ـ الوعظ والنصح والإرشاد: تظهر قيمة الوعظ والنصح من خلال قول موسى وهارون لفرعون: (إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) فيجب علينا جميعا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لايكون الابالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك).

٤ ـ استخدام الصبر والمنطق فى مجابهة الخصوم: وفى الحقيقة بان الصبر والحوار المنطقى والجدل بالتى هى أحسن هى عدة الدعاة الى الله سبحانه وتعالى فى مجابهة الخصوم فلو كان الداعية الى الله متسرعا ضيق الأفق لا يملك القدرة على الحوار المنطقى الهادى. فلا يحقق شيئاً بل هو يضر ولاينفع ويشوه صورة الإسلام أمام خصومه.

٥ ـ تأثير البيئة المحيطة بالشخص: من المعروف دائما أن البيئة ذات تأثير كبير على الشخص وظهر ذلك فى شخصية السامرى وفساد البيئة من حوله مما أدى فى النهاية الى فساده وضياعه.

فعلى الآباء والمربين وضع الشباب والفتيات تحت منظار دائم وملاحظة دائمة حتى لا يختلطوا بالذى يفسد عليهم دينهم وللأسف هذا ما نراه هذه الأيام، فلقد كثرت الانحرافات نتيجة الشلة المنحرفة ومجالسه المفسدين، فعلينا أن نبتعد بأولادنا عن مواطن الفساد والانحراف ونجعل عدتهم دائما كتاب الله والصلاة والتواجد فى المساجد بعيدا عن أماكن العهر والفساد والضياع.

٦ ـ أثر الإيمان الظاهرى وعدم رسوخ العقيدة: يظهر أثر الايمان الظاهرى وعدم رسوخ العقيدة فى عدم الثبات على مبدأ وعدم الثبات على عقيدة ويتجلى ذلك من خلال موقف بنى اسرائيل عندما غاب عنهم موسى فاستطاع السامرى أن يحولهم ويغيرهم عن ملتهم وتركوا عبادة الله سبحانه وتعالى.

وينبغى علينا أن نرسخ العقيدة الإسلامية فى أبنائنا ودعوتهم دائما إلى التمسك بإيمانهم وعقيدتهم وأن يراقبوا الله سبحانه وتعالى فى السر والعلن.

٧ ـ القوة المادية (البشرية) لاقيمة لها فى مواجهة المعجرة الإلهية والعقيدة الإيمانية: يظهر ذلك من خلال ما أتى به السحرة من عصى وحبال واستعانوا بالشيطان ولم يستعينوا بالله سبحانه، وكان موسى قد استعان بالله تعالى وبقدرته حيث بقدرة الله تعالى نصره الله عليهم وآمنوا جميعا.

فيجب علينا أن نكل أمورنا الى الله بعد أن نستعين به حق الاستعانة ونتوكل عليه حق التوكل.

٨ ـ الأخذ بالأسباب: دائما يدعونا ديننا الى الأخذ بالأسباب وعدم التواكل فعندما أمر الله سبحانه وتعال موسى أن يلقى عصاه فتحولت الى حية تسعى بأمر الله وأن يضم يده الى جناحه فتخرج بيضاء أيضًا بأمر الله سبحانه وتعالى..

أيضا عندما يوحى الى أم موسى أن تلقيه فى اليم.

كان هذا كله ينضوى على التوجيه الربانى الى الأخذ بالأسباب..

فعلينا أن نتواكل ولا نيأس وأن نأخذ بالأسباب فى جميع أمورنا حتى نكون مؤمنين حق الإيمان فلن ينتفع الدين بالقانط المتواكل والمتنطع ولكن ينتفع بالفرد الايجابى يعيش حياته كما أمره الله سبحانه وتعالى.

المضامين التربوية فى قصة مؤمن أنطاكية

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً، وأسلسلها عرضا، فالإنسان بفطرته ميال الى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها ومعها.

وقد أورد القرأن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية الى التبصر والتأمل والتماس العبرة.

ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيها ـ من الناحية الفنية ـ معظم ما اتفق عليه دارسو الاداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله من الناحية الموضوعية أهداف كثيرة لعل الهدف التربوى من أهمها لما ينضوى تحته من قيم ثرية، وعطاء سام متجدد للدعاة والمربين، والهداة والمصلحين.

ولاشك أن قصة مؤمن أنطاكية قد حفلت بالعديد من الدروس والمضامين التربوية نذكرها فيما يلى بعد أن نتعرض لشرح الآيات بشىء من الاختصار.

شرح الآيات القرآنية:

قال تعالى «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى» وقد قيل أن هذا الرجل هو حبيب النجار وهو ممن آمن بمحمد ﷺ وبينهما ستمائة سنة، وقيل كان فى نجار يعبد الله فيه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه.

«قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لايسألكم أجرا» على النصح والتبليغ. وهم مهتدون» أى أنهم قوم أتقياء وأنقياء اصطفاهم ربهم ليكونوا قادة الناس الى الهداية والرشاد.

«وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون» وهو يريد بقوله هذا تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة الأوثان التى لاتنفع ولا تضر وهى لم تخلق شيئًا بل هى جماد لايتحرك، إذن فالله سبحانه تعالى أحق بالتوحيد والعبادة وهو الذى اليه العودة والمصير النهائى فيحاسب كل الخلائق على ماقدموا إن كان خيرا أو كان شرا.

ثم قال تعالى: «أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون».. أخذ يتساءل: ماذا يفعل: هل يعبد آلهة من أحجار لاتنفع ولاتضر بل هى لاتستطيع أن تنقذ أحدًا من عذاب الله فى الدنيا ولا فى الآخرة فكيف تكون عبادة تلك الأصنام وهى لاتتحقق فيها أبسط صفات الاله المعبود وهى القدرة على النفع والضرر.

قال تعالى: «إنى اذا لفى ضلال مبين» أى لو فعلت أى عبارة لتلك الأصنام سوف أكون فى ضلال الى يوم القيامة ولن تنفعنى عبادتى اياهم.

ثم لم يجد بدا من أن يعلن اسلامه عل الملأ ويقر بالوحدانية للخالق الأعظم والمعبود الأوحد عز وجل، فصرخ فيهم قائلا: «انى آمنت بربكم فاسمعون» فماذا كان جزاؤه؟ «قيل ادخل الجنة» وذلك جزاء من يسلك طريق الهداية والارشاد جزاءه الاطمئنان الى رحمه الله عز وجل وتبشيره بها حتى تسعد نفسه ويطمئن قلبه.ثم أخذ يلوم قومه ويقول انهم لو أدركوا فضل الرسالة أو كان فى قلوبهم رحمة بأنفسهم لآمنوا كما آمنت، ولكان حظهم فى الدنيا والآخرة أوفر وأعظم. قال تعالى: «قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين. وتظهر هنا رغبة صادقة من مؤمن آل ياسين فى أن يعلنوا توبتهم ويعودوا الى رشدهم ويؤمنوا بالله عز وجل.

والحقيقة أن تلك الآيات الكريمات فيها استجابة للفطرة السليمة، فيها الصدق والبساطة والاستقامة وما ينبغى أن يكون عليه الداعية.

المضامين التربوية فى قصة صاحب آل ياسين:

حفلت قصة صاحب آل ياسين بالعديد من الدروس التربوية التى ترتقى بالأساليب التربوية الموجودة الآن.

وهذه الدروس والمضامين كثيرة منها:

١ ـ التوجيه والإرشاد الى طاعة الله وحده وتوحيده:

ترشدنا القصة إلى أهمية طاعة الله سبحانه وتعالى وتوحيده فى حياة البشر، فكيف لايعبد الإنسان من خلقه وسواه ورزقه وجعل له الحواس وهو الذى يحييه ويميته؟ هل للإنسان أن يتجه بعبادته إلى غيره سواء أكان حجراً أو غير ذلك من الأشياء المخلوقة؟ إنه إذاً من الخاسرين، فلابد علينا جميعا أن نربى أبناءنا على عقيدة سليمة لايشوبها شرك ولارياء ولانفاق ثم عباده صحيحة كاملة الأركان أساسها الأخلاص لله وحده والخشوع له وحده.

قال تعالى: «وماخلقت الجن والأنس الا ليعبدون» الذاريات: ٥٦.

كان الهدف من خلق الإنسان ـ ومازال إلى يوم القيامة ـ عبادة الله وتوحيده ـ فإذا انحرف الانسان بفطرته وأراد غير ما أراده الله فقد ضل ضلالاً بعيداً، ويوم القيامة أسوأ الجزاء عما قدم فى دنياه.

٢ ـ الدعوة الى الله بالحكمة والتلطف فيها:

لو نظرنا الى موقف هذا الرجل المؤمن صاحب آل ياسين ودققنا

النظر لوجدنا أن هذا الرجل داعية من الطراز الأول، لقد اتبع أساليب هادئة رصينة فى دعوته لقومه، بل كان يجعل من نفسه داعية ومدعوا فى نفس الوقت، كان يتهم نفسه أولا بالتقصير ويتوجه إلى نفسه بالسؤال الذى يجب عليهم أن يجيبوا عليه فيقول: «ومالى لاأعبد الذى فطرنى؟»، ولعل فى هذه المواقف دروسا تحفظ وتطبق لمن يتصدى لدعوة الله الان بعدما فسرت الذمم وغاب الضمير، فنحن أحوج إلى من ينير لنا الطريق ويضع أقدامنا على أول الطريق المستقيم.

٣ـ النافع والضار دائما هو الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: «أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون».

فى الحقيقة إن الذى ينفع ويضر هو الله ولا نافع غيره ولاضار غيره من يعتقد أن هناك من ينفع ويضر غير الله فقد أشرك بالله. يقول الرسول ﷺ مرشدا وموجها لعبدالله بن عباس: «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

فأساس تربية الأفراد دائما هو الاعتماد على منهج الله، ومنهج الله ينص على أن القادر على الأحياء والاماتة هو الله، وأن القادر على انزال المصائب والابتلاءات هو الله، وأن الرازق والمانع هو الله فكيف نخشى غيره وهو الأحق بالخشية وهو على كل شىء قدير؟

٤ ـ الثواب والعقاب:

ذلك مبدأ ثابت لا تغيير فيه ولا تبديل فمن يفعل خيراً يجد خيراً ومن يفعل شراً يجد شراً، قال تعالى: «فمن يعمل مثقال ذره خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» سورة الزلزلة: ٧ ـ ٨.

ولقد رأينا ذلك واضحا لمؤمن آل ياسين الذى أعطاه الله سبحانه وتعالى عطاء عظيما لصبره وتقواه، وكذلك يكون جزاء من يفعل مثله إلى يوم الدين، قال تعالى: «قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين».

ومن الضرورى أن نستفيد نحن الآن من تكريم الله سبحانه وتعالى لمؤمن آل ياسين.

المضامين التربوية فى قصة رؤيا ابراهيم عليه السلام

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً وأسلسها عرضا، فالإنسان بفطرته ميال الى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها ومعها، ولاشك فى أن أعظم سرد للقصة فى القرآن الكريم وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيره، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية الى التبصر والتأمل والتماس العبرة، ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيه ـ من الناحى الفنية ـ معظم ما اتفق عيه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله من الناحية الموضوعية ـ أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوى من أهمها، لما ينضوى تحته من قيم ثمينة، وعطاء سام متجرد للدعاة والمربين والهداه والمصلحين.

وقصة رؤيا ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه نموذج لما يتضمه القصص القرآنى من ثراء فنى، وعمق تربوى، سنلقى عليه الضوء فى السطور القادمة.

بداية القصة:

قال تعالى: «رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين» صدق الله العظيم، (سورة الصافات، الآية: ١٠٠ ، ١٠٢).

بعد أن نجا سيدنا ابراهيم من النار بقدرة الله عز وجل ونصره على

قومه المشركين بالله توجه إبراهيم إلى الله عز وجل حتى يهديه إلى الحق ويطمئن قلبه بعد أن كذبوه وأعرضوا عنه ولم يستجيبوا لدعوته.

فتوجه الى الله وهو يثق أن الله سبحانه وتعالى سيرشده حتما إلى ما فيه صلاح قومه وصلاحه ويعصمه منهم ويوفقه.

ثم طلب إبراهيم عليه السلام من ربه عز وجل أن يهب له ابنا يكون عونا له فى حياته ويكون هذا الابن ابنا صالحًا يكون عوضًا عن قومه وعشيرته الذين فارقهم فاستجاب الله سبحانه وتعالى ورزقه بابن صالح رءوف بأبيه قال تعالى: «فبشرناه بغلام حليم» وهو سيدنا اسماعيل عليه السلام. وفرح سيدنا ابراهيم بابنه وأخذ ابنه يكبر يوما بعد يوم حتى بلغ السن التى يساعد فيها أبيه فى شتى شئون الحياة وعندها صدر الامر الإلهى لإبراهيم بذبح هذا الابن الصالح الذى طال انتظار إبراهيم له، وبعد أن أصبح يعتمد عليه قدر معطى النعمة سلبها. فسلم سيدنا ابراهيم وأطاع أمر ربه، ولكنه قرر أن يخبر ابنه بأمر الله. قال تعالى: «قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى اذبحك».

هكذا فإن الاب الذى يضرب بذلك أروع الأمثلة على الأمتثال لأمر الله. قال لابنه بقلب مشفق عطوف يضحى بابنه من أجل إيمانه إنها المعادلة الصعبة الذى يقع فيها الصالح من الرجال الأن فانه لاقيمة لشيء لأى شيء فى مقابل حياة أولاده ويستطيع أن يضحى بأغلى شيء فى سبيل حياة أولاده.

ولكن بطل القصة فى هذ المرة ليس رجلاً عادياً وإنما هو نبى من أولى العزم صلوات ربى وتسليماته عليهم جميعًا فلا تستغرب أن يستجيب لأمر الله حتى لو كان هذا الأمر يتعلق بابنه الذى طال انتظاره.

قال تعالى: «فانظر ماذا ترى» قد يفهم البعض أن سيدنا ابراهيم يخير ابنه أو يستشيره فى أمر الله وهذا فهم غير صحيح فما يكون لنبى أن يستشير أحد فى أمر الله أو يرجع عن أمر الله بناء على رأى أحد أيا كان، ولكن سبب طلب ابراهيم رأى ابنه حتى يعلم أتجزع أم يصبر.

وكان رد سيدنا اسماعيل شافيا لصدر سيدنا ابراهيم ومطمئنا له. قال تعالى «يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى أن شاء الله من الصابرين».

هكذا تكون طاعة الله وطاعة الوالدين التى هى من طاعة الله، قالها بقلب ينم عن ايمان عميق بقدر الله وايمان صادق برسالة أبيه ودعوته. قال تعالى:

«فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الاخرين. سلام على إبراهيم كذلك نجزى المحسنين. انه من عبادنا المؤمنين» صدق الله العظيم «الآية: ١٠٣ : ١١١ الصافات».

وبعد هذا الاستسلام الذى ينم عن طاعة وولاء وتقوى ونقاء ورضاء بقدر وقضاء قرر سيدنا إبراهيم تنفيذ أمر الله بذبح ابنه فماذا فعل وهو يعلم جيدا أنه سوف يذبح أغلى الخلائق عنده. وقد استبسلم الأب وابنه لأمر الله وحد إبراهيم شفرته واضجع فلذه كبده والقاه على وجهه واقتربت السكين وهى لاتدرى أنها تقترب من عنق نبى تقى ابن تقى، ولكن اذا كانت السكين لاتستطيع أن تمتنع عن ذبح اسماعيل ولا إبراهيم يستطيع أن يكف يده عن ذبح ابنه ولااسماعيل يستطيع أن يعصى أمر الله كان المانع الوحيد هو الله عز وجل فأصدر أمرا اهتزت له السماء

والأرض وأرسل سيدنا جبريل عليه السلام لتنفيذه. قال تعالى: «وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا. انا كذلك نجزى المحسنين. ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم» كان الأمر الإلهى هو أن يذبح كبش بدلا من إسماعيل ونجا اسماعيل عليه السلام من الذبح بأمر الله.

فلما حصل المقصود من الرؤيا وهو الاختبار والابتلاء لابراهيم وابنه إسماعيل وصدقا وأسلما لأمر الله واجتمع ابراهيم وابنه لتنفيذ أمر الله جاء الفرج بعد الشدة واطمأن قلب سيدنا ابراهيم بعد خوف ونجا سيدنا اسماعيل عليه السلام.

ولاشك أن قصة ذبح اسماعيل كان فيها من الإثارة والتشويق ما يجعلها مثلا يحتذى به فى كتابه القصة الى جانب النواحى الفنية والموضوعية التى هى أساس القصة، لذا حفلت قصة ذبح إسماعيل بعدة مضامين تربوية هامة نذكرها فيما يلى:

١ ـ الامتثال لأوامر الله:

موقف الذبح كان من أشد المواقف التى تعرض لها سيدنا ابراهيم عليه السلام، فسيدنا إبراهيم أب كبير طاعن فى السن وإسماعيل هو ابنه الوحيد ورزق به بعد فترة كبيرة من عدم الانجاب. ومع ذلك امتثل لأمر الله. فيجب علينا أن نربى أنفسنا على عدم الاعتراض على أوامر الله ونربى أبناءنا على طاعة الله فهذا هو مفتاح النجاة لنا ولابنائنا.

٢ ـ طاعة الابن لابيه:

أيضا من الدروس التربوية العظيمة طاعة أمر الأب فيما يتعلق بطاعة

الله وهذا ما ينبغى علينا أن نربى عليه أبناءنا ونغرسه فى نفوسهم، فعندما عرض إبراهيم عليه السلام أمر الذبح على ابنه لم يجادله أو يناقشه وانما استسلم لامر الله طاعة لله ثم لوالده.

٣ ـ الشورى:

كانت استشارة إبراهيم لابنه دليلاعلى ذلك رغم أن ابراهيم عليه السلام لن يعصى أمر الله اذا لم يوافق ابنه الا أنه فضل أن يعرض عليه الرؤيا ليعلم أيجزع أم يصبر. فالشورى أمر مهم فى كل شيء حتى تستقيم الحياة وتقوم على أساس من الحرية حرية الرأى وحرية الكلمة.

٤ ـ موقف الأمر المؤثر:

ولنا فى موقف الأمر مع الشيطان الذى حاول مع الأب فرجمه وحاول مع الابن فرجمه، فكان يظن أن الأم ستطيعه لضعفها وارتباطها بأبنها ولكنه وجدها أما غير عادية فرجمته هى أيضا. فكان تأثيرها إيجابيا وقعن على طمع الشيطان فى منع هذه الأسرة الكريمة من طاعة الله.

٥ ـ الأخذ بالأسباب:

بعد أن امتثل الأب والأبن لأوامر الله أخذ بالأسباب التى تجعل عملية الذبح أقل تأثيراً وأقل صعوبة فأخذ ابنه بعيدا عن البيت حتى لايزيد الموقف صعوبة وألما للأم التى ترى ابنها يذبح أمامها، ثم تله للجبين حتى لايرى الابن أبيه وهو يذبحه فيجزع وحتى لايدرى هو ابنه ونظراته فيتأثر، ثم أتى بنصل حاد حتى لايتعذب الابن.

٦ ـ الثواب والعقاب:

للثواب والعقاب أهمية كبرى فى العملية التربوية ويجب استخدامها بحذر شديد ولهما فى هذه القصة جانبا كبيرا. فنجد أن :

الثواب: قد يكون معنويا أو ماديا، فكأن الثواب المادى لابراهيم ولاسماعيل بعد تنفيذهما لأمر الله أن فدى الله سبحانه وتعالى اسماعيل بكبش لتكون سنة إلى يوم القيامة.

وأما الثواب المعنوى فهو تخليد ذكر سيدنا ابراهيم واسماعيل الى يوم القيامة وجعل هذه قصة تحتوى على عدة مناسك للحج يفعلها المسلمون فى كل العصور الى قيام القيامة.

أما العقاب فكان لإبليس بالرجم الى يوم القيامة وهكذا فالثواب والعقاب من المضامين التربوية الهامة التى تجعل أى عمل يسير على الوجه الصحيح فيثاب العامل الجيد ويعاقب العامل الكسول المهمل وبهذا تستقيم الحياة وتتقدم الأمم.

المضامين التربوية فى قصة ابن نوح عليه السلام

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيراً، وأسلسها عرضًا، فالانسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع، وتقصى أخبار الاخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها ومعها.

وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية الى التبصر والتأمل والتماس العبرة.

ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيه ـ من الناحية الفنية ـ معظم مااتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص وله ـ من الناحية الموضوعية ـ أهداف كثيرة. لعل الهدف التربوى من أهمها لما ينضوى تحته من قيم ثرية، وعطاء سام متجدد للدعاة والمربين، والهداة والمصلحين.

وقصة سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه نموذج لما يتضمنه القصص القرآنى من ثراء فنى وعمق تربوى سنلقى عليه الضوء فى السطور القادمة. ولسنا فى حاجة هنا إلى تتبع القصة من أولها، فنحن سنهتم ـ فى هذا المقال ـ بابراز المضامين التربوية التى تضمنتها حادثة واحدة برز فيها عنصر الحوار بين النبى المحن؛ المشفق وابنه المتمرد المغرور. ذلك الحوار الذى حكته الآيات الكريمة (٤٢ ، ٤٣) من سورة هود، ثم بين النبى نوح عليه السلام وربه سبحانه وتعالى وحكمة الآيات الكريمة (٤٥ ـ ٤٧) من السورة نفسها.

لقد ظل نوح عليه السلام يدعو قومه إلى التوحيد وعبادة الإله الحق

وترك الضلالات التى عكفوا عليها ألف سنة إلا خمسين عاما كما حكى القرآن الكريم، فاستهزأ به قومه وسخروا منه ومن أتباعه من فقرائهم، ويبدو أنهم طلبوا منه أن يطرد أولئك الفقراء ممن آمنوا به فلم يستجب لهذا الطلب الغريب، فهذا ما تحكيه الآيات الكريمة من سورة هود: «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه انى لكم نذير مبين. أن لاتعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم. فقال الملأ الذين على ذلك قراءة على بن أبى طالب «ونادى نوح ابنه» وهى قراءة شاذة كما نص على ذلك القرطبى (٣٨/٩). كما أقر محمد بن على وعروة بن الزبير (ابنه٩ بفتح الهاء يريد ان بذلك (ابنها) على ما رواه الفخر الرازى فى مفاتيح الغيب (٢٤٠/١٧) والقول بأنه ابن امرأته منسوب إلى محمد بن على الباقر والحسن البصرى.

وهنا تجدر الإشارة الى خطأ وقع فيه قلة من السلف قالوا بأن هذا الابن ولد على فراش سيدنا نوح وليس بابنه احتجاجا بقوله تعالى فى سورة الطلاق عن امرأة نوح وامرأة لوط (فخانتاهما) ففهم هؤلاء لفظ الخيانة على ظاهر معناه، فقال الإمام الفخر الرازى تعليقا على فهمهم هذا «وهذا قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء عن تلك الفضيحة لاسيما وهو على خلاف نص القرآن، وأما قوله تعالى (فخانتاهما) فليس فيه أن تلك الخيانة انما حصلت بالسبب الذى ذكروه، قيل لابن عباس: ما كانت تلك الخيانة؟ فقال: كانت امرأة نوح تقول: زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به» (٢٤٠/١٧).

وقد أخذت الشفقة الوالد العجوز فنادى ابنه ـ أو ربيبه ـ أن يركب مع المؤمنين، بمعنى أنه دعاه الى الدخول معهم الى نور الايمان، والنجاة

ولكن غرور الشباب، وترق الكفر، وعمى البصيرة، جعل هذا الفتى يركن الى الأسباب المادية ظانا أنها كافية فقال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء.

ويدرك النبى أن الفتى ضل عن سبيل الله الهدى، فليس بالأمر الهين، وليست العصمة بالاسباب المادية فينادى ابنه مرة ثانية: يا بنى اركب معنا فإن الجبل لن ينفعك، ولن يعصمك من غضب الله، ويصم الابن أذنيه عن نداء الحق فتهوى به الأمواج فى قرار سحيق.

وتثور عاطفة الأبوة فى النفس الانسانية الكسيرة التى رأت الابن المغرور يعالج سكرات الغرق بلا حول ولا قوة. فيفزع الشيخ الى ربه ضارعا.: رب ان ابنى من أهلى، وأنت وعدتنى بنجاة أهلى معى فى السفينة، وان وعدك حق.، فيأتيه صوت الحق الدافع: يا نوح انه ليس من أهلك. لأن أهلك ليسوا آل بيتك الادنين ذوى الرحم وأنما أهلك هم أهل دينك. وهذا الابن عمل عملا غير صالح. أوأن سؤالك هذا عمل غير صالح. فحذرا أن تسأل عما لاعلم لك به حتى لاتكون من الجاهلين. ويثوب الأب الثاكل الى رشده فيستغفر ربه ويتوب اليه. وتستقر السفينة على جبل الجودى. يفيض الماء، وتبدأ دورة الحياة من جديد بالمؤمنين الناجين.

المضامين التربوية فى القصة:

حفلت قصة نوح عليه السلام بالكثير من القيم التربوية التى يمكننا بوجه عام الاشارة إليها فيما يلى:

أولاً: تأثير الأم:

إن القول الذى يميل إليه أكثر المفسرين هو أن هذا الابن ابن امرأة نوح ويبدو أنها كانت تحضنه عندما تزوجت نبى الله نوحا عليه السلام فتربى فى بيته، ولكن نداءه اياه بقوله (يا بنى اركب معنا) ليس دليلاً كافيًا على أنه من صلبه. فمن الطبيعى أن ينادى النبى أى نبى كل من يصغره بقوله «يا بنى» واذا كانت الأم هى التى ربته وحضنته وهى امرأة خائنة للدعوة بنص سورة الطلاق فلا يستبعد أن تكون قد أثرت فى أبنها تأثيراً سلبيًا جعله يترك اباه وينحاز ألى خصوم أبيه اعداء الدعوة.

فالثمرة التربوية من هذا المضمون هى أن مسئولية الاب ألا يعتمد على زوجته اعتماداً كليًا فى تنشئة أولاده. لأن النساء بطبيعتهن ناقصات عقل ودين، ومن السهل تعريضهن للاستهواء والتأثير وهنا مكمن الخطر فى تربية الابناء اذا غاب الأب، أو تغافل بعمله، وتدلنا سورة نوح على أنه عليه السلام كان يكرس كل وقته للدعوة والجهاد فى سبيلها (رب انى دعوت قومى ليلاً ونهاراً).

ثانياً: الرابطة الحقيقة هى رابطة العقيدة:

لقد سأل نوح ربه نجاه ابنه متوهما أنه مادام قد وعده بنجاه أهله حين قال له (احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك) فسوف ينجى جميع أهله وغاب عنه فى هذه اللحظة الجملة الاعتراضية (الا من سبق عليه القول) فنبهه الحق تبارك وتعالى إلى أن الفتى قد سبق عليه القول، فهو فى الحقيقة ليس من أهله بل هو من الهالكين.

والثمرة التربوية من هذا المضمون هى ألا ينخدع الإنسان ببريق القرابات مهما دنت، والصداقات مهما توطدت، ولينظر دائما الى حقيقة من يصادقه أو يصافيه، والى أى مدى تتفق مسالكه مع عقيدته حتى يعتبره أخا، وكذلك ينبغى للآباء ألا تأخذهم رأفة بأبنائهم اذا انحرفوا عن الصراط المستقيم لأنهم فى هذه الحالة لا حرمة لقرابتهم.

ثالثاً: تأثير البيئة المحيطة:

ساعدت نشأة هذا الفتى فى أحضان أم كافرة، وأحوال كفار على افساد فطرته وتدل آيات القرآن فى غير موضع على أن أعداء دعوة نوح عليه السلام كانوا هم الاكثرين، وأن المؤمنين به كانوا من الضعفاء والمساكين، فالبيئة ـ بوجه عام ـ كانت بيئة فساد وافساد. والثمرة التربوية من هذا المضمون هى أن يسعى الوالدان دائما الى ملاحظة الوسط الذى يندمج فيه أبناؤهم وجماعة الرفاق التى يميلون إليها ليروا ما إذا كانت صالحة أو فاسدة.

رابعاً: القوة المادية لاقيمة لها:

لقد اغتر ابن نوح لعقله المختل، فظن أن الجبل سيعصمه من الماء، ومع أن أباه نبهه إلى أن العصمةبيد الله وحده، فانه هوى به هواه إلى قاع الضلال، وزاغ به غروره فهلك مع الهالكين. والثمرة التربوية من هذا المضمون هى أن القوة المادية لا تحمى اللاجىء إليها، سواء أكانت جاها أم مالا أم منصبا. وكم رأينا عباداً من عباد الله يتحكمون فى مصائر الناس ويذلونهم ويعذبونهم، وما أن تتغير

الظروف حتى ينقلب العزيز ذليلاً، والذليل عزيزا. وتتحول أوهام القوة الغائبة الى سراب غائم يحسبه الظمآن ما ء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

خامساً: عزاء لمن يفسد أبناؤهم:

في هذه القصة تسلية وتعزية لمن يفسد أبناؤهم، فهذه هي سنة الله وفطرته التي فطر الناس عليها، فعلى الآباء ألا يأسوا ولاتذهب نفوسهم حسرات اذا ما ضل ابن أو أكثر من أبنائهم بل عليهم أن يبدأوا من جديد مع غيره. وألا يعتبروا أن فساد ابن فيه نهاية كل شيء بالنسبة لهم. فاذا كان أحد أبناء نوح قد ضل، فقد صلح ثلاثة غيره، واجتثته رياح الحق فأصبح قصة تروى للعظة، وتحقق فيه وعد الحق تبارك وتعالى.

سادساً: الأخذ بالأسباب :

إن بناء السفينة، وحمل كل أجناس المخلوقات، يدلنا على أن من الصواب في كل الأمور الأخذ بالأسباب المادية، فالاعتماد على الله لايتنافى مع ذلك. والثمرة التربوية هنا أن يلجأ الانسان حين يفتك به المرض الى الطبيب، وحين يريد البناء إلى المهندس، وهكذا. ذلك أن بعض الناس يظنون أن من تمام التوكل أن يقفوا حيث هم ويتركون الامور لخالقها. وقد كان الله تعالى قادرا على أن ينجي المؤمنون بأية طريقة ولكن تكليف نوح عليه السلام ببناء سفينة استغرقت عاما على مايقول المفسرون، فيه دلالة على أنه سبحانه يهدف من ذلك الى تعليم البشر الأخذ بالأسباب المادية قال الشاعر:

توكل عل الرحمن فى الأمر كله ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب

الم تــــر أن الله قــال لمـــريم هزى اليك الجذع يســاقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غيره هــزه جنته، ولكن: كل شيء له سـبب

سابعاً: الأمل سر الحياة:

لو أن كل من أصابه فى الحياة بلاء نكس على عقبيـة، فى بيته باكياً حتى هلك لتوقفت الحياة، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت أن تسقط حبات الثمر فى الخريف فتستقر فى باطن الأرض حتى إذا جاء الربيع خرجت من مكمنها مزهرة ثم مثـمرة لتبـدأ الحياة دورتهـا من جديد. ونوح عليه السلام لم يفقد الأمل حتى آخر لحظة حتى (حال بينهـمـا الموج) وهو لا يكف عن نداء ابنه إلى الإيمان والركـوب مع المؤمنين وتذكيره بأن القـوة المادية أضعف من أن تحميـه من غـضب الجبار. الثمـرة. التربوية هنا أن الإنسان لابد له من تجديد آماله فى كل يوم وألا ييأس.

المضامين التربوية فى قصة سبأ

للقصص القرآنى أهداف كثيرة، يبرز من بينها الهدف التربوى واضحا كل الوضوح، فقد احتوى القصص القرآنى على تحليل دقيق للنفس البشرية وما يعتمل فيها من نوازع الخير، ودوافع الشر، وتجىء أحداث القصص حافلة بمعان متنوعة، محملة بدلالات متعددة تهدف فى غايتها النهائية الى تحبيذ الخير والحث على فعله، ونبذ الشر والتنفير من اتيانه.

ويأتى الحوار والشخوص فى القصص القرآنى على قدر الهدف التربوى من القصة، فلا أطناب ولا ايجاز الا بقصد، ولا وصف لشخصية الا بقدر ما يحقق هدف القصة، لأن القرآن الكريم ليس عملا فنيا يشبه روايات البشر المصطنعة، وانما هو كتاب تشريع وهداية وتربية وتهذيب.

وقصة قوم سبأ نموذج للقصص القرآنى الحافل بالعظات الدينية، والمضامين التربوية المتعددة.

قال تعالى: (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية، جنتان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور، وفأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرِم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بماكفروه وهل نجزى إلا الكفور وجعلنابينهم وبين القرى التيفيها قرى ظاهرة، وقدرنافيها السيرسيروا فيها ليالى وأياما آمنين، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق أن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) سبأ: ١٥ ـ ١٩.

شرح القصة:

تبدأ القصة بلام التوكيد، وحرف التحقيق «قد» وذلك يعنى تنزيل المخاطبين بالقصة منزلة المترددين فى تصديقه لعدم اتعاظهم بأخبار السابقين. وفى البداية بهذا البناء اللغوى اشعار للسامع أو القارىء بأهمية تدبر أحوال الأمم السابقة كقوم سبأ، والتبرؤ من أفعالهم التى أنزلت بهم العقاب الغضب.

وقد كان أهل سبأ يقيمون فى «مأرب» بين صنعاء وحضرموت وهى منطقة خضراء، وهبها الخالق الأعظم نعمة الجمال، وقد تعلم أهل سبأ طريقة معينة لتخزين مياه السيول، فبنوا سد مأرب الشهير ليحجزوا وراءه المياه التى تتكدس متخلفة عن أمطار الشتاء والربيع، فيظل الماء مخزونا عندهم يسقون منه زروعهم فى الصيف والخريف حيث لامطر.

والذى بنى هذ السد هو الملك «سبأ» الذى سمى السد باسمه، وهو واحد من أشهر وأقدم ملوكهم، وقد نسبه بعض المفسرين الى الملك «حمير» ونسبه آخرون الى الملكة المؤمنة «بلقيس». ويبدو أن اهتمام أصحاب منطقة كهذه المنطقة بتخزين المياه جعل ملوكها يتعاهدون هذه السدود الكبرى والصغرى بالرعاية والترميم عهدا بعد عهد، حتى اشتبه الأمر على الرواة. ونشأ الاختلاط فى النقل.

وكان سد «مأرب» يقع بين جبلين يسمى أحدهما «البلق» الأيمن، والثانى «البلق» الأيسر، وكان تجمع الأودية وراء سد مأرب الذى قيل أن طوله من الشرق الى الغرب كان يبلغ ثمانمائة ذراع، وعرضه مائة وخمسون ذراعا، وارتفاعه بضعة عشر ذراعا، وقد شاهده الجيولوجى العربى القديم أبو الحسن الهمدانى (أوائل القرن الرابع) ووصفه فى كتابه الشهير «الأكليل» بالصفات التى ذكرناها طولا وعرضا وارتفاعا،

كما وصفه الرحالة الفرنسى «أرسو» عام ١٨٨٣م، والرحالة الفرنسى «جلازر». ولا يعرف أحد متى ولا كيف انهدم هذا السد، ولكن يبدو أن انشغال ملوك اليمن فى بعض العصور عن ترميمه وتجديده عرضه للانهيار التدريجى.

ما سبب معصية قوم سبأ:

ذكرت الآيات أن الله تعالى أنعم على قوم سبأ بنعم عظيمة: الأولى نعمة الخضرة والثمار وسط الجزيرة العربية القاحلة، فقد كانت مساكنهم تقع بين جنتين عظيمتين حافلتين بأنواع الفواكه والثمار المختلفة، حتى أن الرجل ـ كما يقول المفسرون ـ لو سار فى طريقه سيرا معتادا وهو يحمل مكتلاً لامتلأ ذلك المكتل بالثمار المتساقطة قبل أن يصل الى نهاية طريقه.

كما أنعم عليهم الى جانب هذا النعيم بالمغفرة اذا ما لجأوا الى ربهم عند أى تقصير «كلو من رزق ربكم واشكروا له: بلدة طيبة ورب غفور» فأعرضوا وتبطروا على هاتين النعمتين: الرزق والمغفرة المتاحة، فكان جزاؤهم أن هاجم بلدهم سيل عظيم دمرها تدميراً، وبدلهم الله بهذه الجنات المثمرة اشجارا صحراوية كالسدر والأثل وأشجار الشوك.

والنعمة الثالثة التى تنكروا لها أن الله تعالى هيأ لهم طرقا آمنة للتجارة والسفر فقد كانت تجارتهم الى الحجاز والشام، وشاء الله تعالى أن تنشأ قرى ومدن بطول طريقهم من سبأ إلى الشام، والمسافات بين كل قرية والأخرى متساوية، بحيث اذا سافر المسافر وحان وقت القيلولة وجد نفسه على مشارف قرية، فاذا واصل سيره وجنه الليل وجد نفسه فى قرية أخرى فيبيت ويقيل مطمئنا آمنا حتى يصل الى الشام حيث القرى التى

عبر عنها القرآن الكريم بقوله «باركنا فيها» حيث يقول تعالى: «وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير، سيروا فيه ليلالى وأياما آمنين»، والمفسرون مجمعون عل أن القرى المبارك فيها هى فلسطين والشام. وقوله تعالى: «ظاهرة» معناه متقاربة بحيث يظهر بعضها لبعض ويتراءى بعضها من بعض، وقيل لأنه تظهر للسائر من بعيد لأنها مبنية على أكام وهضاب فيهتدى بها المسافر.

فلما تمت نعمة أمن الطريق عليهم دعوا أنفسهم بأن يباعد الله بين أسفارهم. قال ابن عشاور فى التحرير والتنوير (٢٢ ـ ١٧٨): «الأظهر أن يكون قولهم هذا» باعد بين أسفارنا «قالوه جوابا عن مواعظ أنبيائهم والصالحين منهم حين كانوا ينهونهم عن الشرك ويعظونهم بأن الله تعالى أنعم عليهم بتلك النعم وهم يجيبون بهدا الجواب افحاما لأهل الحق منهم».

لغة القصة:

قرأ الجمهور «فى مساكنهم»، وقرأ حمزة وحفص «فى مسكنهم»، قال المفسرون: كانت مساكنهم تقع بين طريقين مفروشين بالأشجار المثمرة بعضها متصل ببعض، وتثنية كلمة جنتين بأن ما على يمين السائر جنة، وما على يساره جنة أخرى، وقيل: كان لكل رجل منهم فى مسكنه جنتان عن يمين المسكن وعن شماله، فكانوا يتفيأون ظلالهما صباحا ومساء، وقوله تعالى «جنتان» بعد قوله «اية»، فيه كناية عن طيب التربة وبركة الأرض فقد روى أنهم كانوا يزرعون ثلاث مرات فى السنة، وقوله تعالى «ورب غفور» عطفا على قول تعالى «بلدة طيبة» فيه معنى أن الله تعالى علم أنه لن يقدروا نعمه الظاهرة، ولن يشكروها، فأضاف اليها نعمة أخرى وهى نعمة المغفرة اذا ما أسأءوا ولم يشكروا، و«العرم»

يجوز أن يكون وصفا من العرامة وهى الشدة والكثرة، ويجوز أن يكون اسما للسيل.

المضامين التربوية فى القصة:

أولاً: عدم شكر النعمة بعرضها للزوال

أن قوم سبأ لو شكروا نعم الله عليهم لحافظوا على استمرارها، فقد أمرهم الله تعالى بهذا الشكر ـ وهو غنى عن عباده ـ فقال: «كلوا من رزق ربكم واشكروا له»، والشكر نصف الدين، والصبر نصفه الآخر كما يقول العلماء، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس «(حديث صحيح)، وقال تعالى: «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد» ابراهيم: ٧.

ثانياً: حب الوطن من الايمان:

من المضامين التربوية فى هذه القصة حب الوطن بوصفه قيمة انسانية رفيعة، بما يتضمنه هذا الحب من انتماء وتفان فى خدمة الوطن، ولأن الوطن محبب للنفس بالفطرة كما قال الشاعر:

بلاد بها حل الزمان تمائمى وأول أرض من جلدى ترابها

وذلك تأثر رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة الى المدينة، فقد روى أنه التفت الى مكة بعد أن صار خارج حدودها وناجى جبالها البادية بقلب ينبض بالحب ويجأر بالشكوى، ويفر من الغربة فقال: «والله إنك لأحب بلاد الله الى الله، وأحب بلاد الله إلى نفسى، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت»، وروى أنه كان وهو فى المدينة كثيرا ما يدعو الله تعالى قائلا: «الله حبب إلينا المدينة كما حببت الينا مكة»، وقد

كان أهل سبأ فى نعمة ضافية، فبلادهم جنة فيحاء، وعندهم الماء طوال العام «بلدة طيبة» ، ولكنهم لم يرعوا حرمة هذه النعمة ولم يحبوا وطنهم كما يجب فتحولت حياتهم الى أشجار شوك بسبب ضعف إيمانهم أو كفرهم.

ثالثاً: الاستغفار من الذنوب:

نتعلم من هذه القصة أن يتوب الإنسان إلى ربه فور وقوعه فى المعصية لأن الرب الغفور طلب من عباده أن يستغفروه فقال تعالى: «وإذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون» (آل عمران: ١٣٥).

رابعا: علم الدعاء بالشر:

إن الإنسان ليعجب من قوم مهد الله لهم طرقهم، ويسر له أسفارهم، ومنحهم نعمة الأمن فى السفر، ثم لما طولبوا بشكر هذه النعمة، أبوا الاعتراف، بها،ودعوا على أنفسهم بأن يباعد الله بين أسفارهم كما فعل النضر ابن الحارث ـ من كفار مكة ـ حين قال فى مواجهة دين الإسلام: «والله إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء».

والانسان يتسرع بالدعاء على نفسه أو على غيره بالشر حين يضيق صدره كما قال تعالى: «ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا» الإسراء: ١١.

خامساً: تأمين الطرق نعمة كبرى:

إن الإنسان إذا رزقه الله الإقامة أو النشأة فى بلد آمن، وجب عليه أن

يتلقى ذلك بالشكر والامتنان، فإذا جمع الله تعالى إلى نعمة الأمن سعة الرزق، كـان ذلك أدعى للإيمان، وأقرب إلى الخضوع لله، فإذا قصر الجميع عن شكر هذه النعمة عمهم الله بعذاب من عنده لأنه عدم شكر النعمة كما قلنا يعرضها للزوال، وهل هناك نعمة أفضل من نعمة الأمن؟ قال تعالى: «وضرب الله مثلاً قرية كان آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» النحل: ١١٢.

وقال ﷺ: «من بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

سادساً: اختيار طريقة السفر الأكثر أمانا مقصد شرعى، فلا يجب على الانسان أن يسافر بالجو وهو يعلم أن صحته لا تتحمل ذلك، والشيء نفسه يقال عن سفر البحر.

سابعاً: واجب الحكام أن يمهدوا الطرق وييسروا سبل السفر لمواطنيهم.

ثامناً: الصبر على البلاء صنو شكر النعمة.

تاسعاً: الاهتمام بتجميل البيئة وتحسين ظروف الإقامة فيها تحدث بنعمة الله واستدامة لفضله.

المضامين التربوية فى قصة بقرة بنى اسرائيل

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثيرا، وأسلسها عرضا، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها ومعها، ولاشك فى أن أعظم سرد للقصة فى القرآن الكريم، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، صارفة عن النوازع الشريرة، داعية الى التبصر والتأمل والتماس العبرة، ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيه ـ من الناحية الفنية ـ معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله ـ من الناحية الموضوعية ـ أهداف كثيرة، لعل الهدف التربوى من أهمها، لما ينضوى تحته من قيم ثمينة، وعطاء سام متجرد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

وقصة بقرة بنى اسرائيل نموذج لما يتضمنه القصص القرآنى من ثراء فنى، وعمق تربوى، سنلقى عليه الضوء فى السطور القادمة.

بداية: القصة:

كان رجل من بنى اسرائيل عقيم لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه عل باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم ويطالبهم بدمه، فمازالوا يتبادلون الاتهام ويتجادلون، ويتربص بعضهم ببعض، فقال ذوو الرأى منهم والنهى: علام يقتل بعضكم بعضا، وهذا رسول الله فيكم؟

فأتوا موسى عليه السلام، وذكروا له ذلك، فقال: ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فاتهموه بأنه يستهزىء بهم، قال تعالى: (واذ قال موسى

لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هى قال إنه يقول أنها بقرة لافارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون، قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول أنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون، قال انه يقول أنها بقرة لاذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا يفعلون). البقرة آية (٦٧ ـ ٧١).

وقد وردت آراء مختلفة حول شخصية القاتل منها أنه قريب للرجل وليس ابن أخيه، ورأى آخر يقول: إن القتيل له أبناء أخ فقراء فأرادوا قتله حتى يرثوا منه ماله، ودبروا له ذلك، ورأى آخر يقول: إن ابن أخيه قتله حتى يرث أملاكه ويتزوج ابنته بعد أن رفض أن يزوجه اياها لفقره.

ولسنا فى حاجة هنا لتتبع اختلافات المؤرخين والمفسرين حول تفاصيل القضية، فما يهمنا هنا هو إبراز المضامين التربوية التى تضمنتها هذه القصة التى برز فيها عنصر الحوار بين موسى وقومه، ذلك الحوار الذى حكته الايات الكريمة السابقة من سورة البقرة.

فيبدأ الحوار عندما يخبر موسى قومه بأن الله يريد منهم أن يذبحوا بقرة، فلو سكتوا ولم يسألوا عن البقرة وأوصافها لكان خيرا لهم لأنهم سوف يقومون بذبح أية بقرة، ولكن عندما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يبين لهم ماهية تلك البقرة، فأخذ يعدد لهم صفاتها، فقال: انها فارض (أى لا هرمة) ولا بكر (أى ولا صغيرة) عوان بين ذلك (أى متوسطة العمر لا هى بالصغيرة ولا بالعجوزة الهرمة).

ثم بعد ذلك طلبوا من موسى عليه السلام أن يوضح لهم لون هذه البقرة فقال لهم فى صبر نبى يعلم أن الصبر من مقومات تبليغ الرسالة: (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) ولكن الحوار يزداد اثاره من جانب بنى اسرائيل فبعد أن حدد لهم نبى الله موسى عليه السلام سن البقرة ولونها، اعتذروا بأن البقر الموصوف بكونه عوانا، والبقر الموصوف بالصفرة الفاقعة كثير، فقالوا إن البقر تشابه علينا لكثرته، فنريد مزيدا من التحديد وغطوا اعتذارهم وحيرتهم بغطاء من تقديم المشيئة، قال العلماء: ولو لم يقدموا المشيئة لما اهتدوا اليها أبدا.

(قالوا ادع لناربك يبين لنا ما هى أن البقر تشابه علينا وأنا أن شاء الله لمهتدون).

رد عليهم موسى عليه السلام قال: ٠أنها بقرة لا ذلول (أى لم يذلها العمل) تثير الأرض ولا تسقى الحرث (أى لا تعلم فى الحرث) مسلمة أى سليمة من العيوب لاشية فيها أى لابياض فيها.

فلم يجدوا بعد هذا الوصف الواضح والتحديد الدقيق مجالا جديدا للجدال، فنفذوا ما أمروا به وقالوا: (الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) قال المفسرون: وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها أو لخوف الفضيحة.

ثم بين الله تعالى سبب خوفهم من الفضيحة، أو سبب أمرهم بذبح البقرة فقال موبخا لهم، لائما اياهم: تذكروا يا بنى اسرائيل موقفكم المخزى يوم قتلتم رجلا بريئًا منكم وتبادلتم الاتهامات فيما بينكم، فأوحى الله اليكم بوساطة نبيكم أن تذبحوا بقرة وتضربوا قتيلكم ببعض

هذه البقرة فيحيا بين أعينكم بقدرة الله ويخبركم بمن قتله وهذا دليل على قدرة الله تعالى الذى يبعث من فى القبور.

المضامين التربوية فى القصة:

حفلت قصة بقرة بنى اسرائيل بالعديد من المضامين والقيم التربوية يمكننا أن نذكرها بوجه عام فيما يلى:

أولاً: أدب خطاب الأنبياء والعلماء والمربين:

فى مطلع هذه القصة يقص لنا القرآن الكريم كيف أن بنى اسرائيل ردوا عل سيدنا موسى وهو النبى المرسل من قبل الله ردا فيه فظاظة وسوء أدب مع نبى من أولى العزم وكليم الله، فقال تعالى: (.. أتتخذنا هزوا)، فلا يصح أن يخاطب نبى ورسول بهذه الطريقة، ومتى كان أنبياء الله وخاصته وصفته من خلقه يكذبون ويستهزئون بأقوامهم؟

وعلى هذا النسق لايصح مخاطبة العلماء والمربين بأسلوب جاف، لأن هؤلاء اذا صلحوا فانهم يسيرون على نهج الأنبياء، فلو كان هناك استفسار أو مناقشة فلتكن بأسلوب مهذب يليق بالمخاطب ـ بفتح الطاء ـ والرسول ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق، ويقول أيضا: «العلماء ورثة الأنبياء».

ثانياً: حسن الظن بالله:

إن نبى اسرائيل قوم انقطت الصلة بين قلوبهم وهى محل الصفاء والنقاء والإيمان وبين الثقة بخالقهم وحسن الظن به، ويجب على الإنسان أينما وجد الا يقطع صلته بالله، وأن يثق فى حكمه ويذعن لأوامره، فالله سبحانه وتعالى يقول فى الحديث القدسى: «أنا عند حسن ظن عبدى بى».

فمهما تكن الظروف والعوامل المحيطة بالإنسان صعبة وشاقة، يجب عليه أن يصبر ويحتسب أجره عند الله ولايفقد الثقة بالله.

فحينما أمر الله سبحانه وتعالى بنى اسرائيل بذبح بقرة، كان يجب عليهم الاسراع بالتنفيذ، ولكنهم تماطلوا، فيجب على الوالدين والمعلمين والمربين مراعاة التركيز على غرس الايمان بالله والتسليم به والرضا بأوامره فى أطفالهم وتلاميذهم، وكذلك ينبغى للآباء ألا تأخذه رأفة بأبنائهم إذا انحرفوا عن الصراط المستقيم.

ثالثاً: تقديم المشيئة:

إنه على الانسان دائما أن يقدم مشيئة الله فى كل عمل يعمله، وفى كل شيء يريد فعله، قال تعالى: (ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) الكهف: ٢٣.

رابعاً: طاعة الوالدين وربهما:

يحكى المفسرون أن صاحب البقرة كان رجلا من أبر الناس بأبيه، وقيل كان ابنا بارا بأمه على اختلاف الناس وقد أمضا بر صاحب البقرة بوالديه أو أحدهما أن كوفىء من قبل الله عز وجل، وكان ثمن البقرة المحددة ملء جلدها ذهبا وهو ثمن ضخم، ولكنه ثمن طاعة الوالدين فى الدنيا. أما فى الآخرة فالعطاء جزيل، والخير كثير، والثواب على قدر العمل.

خامساً: عدم التنطع فى السؤال:

فإنما هلك بنو إسرائيل من جراء كثرة سؤالهم عن أشياء أخفاها الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) المائدة: ١٠١.

المضامين التربوية فى قصة أصحاب الجنة

إن أسلوب القصة من أقوى أساليب التربية تأثريًا، وأسلسها عرضًا، فالإنسان بفطرته ميال إلى حب الاستطلاع وتقصى أخبار الآخرين، ومولع بمتابعة الأحداث والانفعال بها ومعها، وقد أورد القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة بطرق مثيرة للعواطف الخيرة، وصارفة عن النوازع الشريرة، داعية الى التعبير والتأمل والتماس العبرة.

ولاشك فى أن قصص القرآن الكريم فيه ـ من الناحية الفنية ـ معظم ما اتفق عليه دارسو الآداب من عناصر فنية كالزمان والمكان والأحداث والصراع والأشخاص، وله ـ من الناحية الموضوعية ـ أهداف كثيرة، لعل الهدى التربوى من أهمها لما ينضوى تحته من قيم مثمرة، وعطاء سام متجدد للدعاة والمربين والهداة والمصلحين.

وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم نموذج لما يتضمنه القصص القرآنى من ثراء فنى وعمق تربوى سنلقى عليه الضوء فى السطور القادمة.

بداية القصة:

قال تعالى: «انا بولناهم كما بلونا أصحاب الجنة».

والبلوى حقيقتها الاختيار، وهى هنا عبارة عن إرخاء الحبل للمبتلى وإمداده بالنعمة والنتيجة دائما تكون بين أمرين: اما الشكر أو الكفر، وقد ابتلى الله سبحانه وتعال أهل مكة فأمدهم بالنعمة والخير الكثير فى رحلة الشتاء ورحلة الصيف، ثم كان اختبارهم نتيجته سلبيه عندما صدوا عن سبيل الله، ولم يؤمنوا بالله عز وجل وآدوا نبى الله ﷺ.

فقيل إنه كان ابن عم له، وكان جاريا مجرى ولى العهد أو مجرى صاحب الشرطة، وقيل: إن قبطيا (أى مصريا) من آل فرعون وما كان من أقاربه وقيل: إنه كان من عامة بنى إسرائيل، والقول الأول أقرب لأن لفظ «الآل» يقع على القرابة والعشيرة، قال تعالى: (إلا آل لوط نحيناهم بسحر).

وفى قوله تعالى: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله) استفهام على سبيل الانكار ومعناه أن موسى لم يفعل شيئا سوى أن جاءكم بالبينات، وذلك لا يوجب القتل البتة.

قال تعالى: (وقد جاءكم بالبينات من ربكم)، أما قوله تعالى: (ربى الله) فهى اشاره للتوحيد، فهى دعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى فلا داعى لقتل موسى عليه السلام.

ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية هى أن الاقدام على قتله غير حائز وهى حجة مذكورة ليقفوا وقفة أمام أنفسهم وأمام عقولهم، فقال لهم: أن كان هذا الرجل كاذبا وقع عليه وبال كذبه فاتركوه، وان كان صادقا فان خير ذلك عائد عليكم لامحالة، فثبت أن على كل التقديرين كان الأولى ابقاؤه حيا.

ثم بعد ذلك خوفهم من عذاب الله، قال تعالى: (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض) بمعنى أنكم قد علوتم الناس وقهرتموهم، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولاتتعرضوا لبأس الله وعذابه، فانه لاقبل لكم به وإنما قال «ينصرنا» «وجاءنا» لأنه كان يظهر من نفسه أنه منهم وأن الذى ينصحهم به هو مشارك لهم فيه.

وقد رد عليه فرعون فى غطرسة وكبر، قال تعالى: (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى لا رأى غير رأبى ولا أرى سوى ما ذكرته وهو أنه يجب قلته حسما لمادة الفتنة، وما أهداكم بهذا الرأى «الا سبيل الرشاد».

ثم بعد ذلك كان رد الرجل المؤمن مدويا قويا على كلام فرعون. قال تعالى: (إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) وفى هذا تهديد صريح لهم بأنهم إن لم يعودوا إلى الصواب فان مصيرهم سوف يكون نفس مصير الأحزاب، وكأن هذا المصير هو المصير الذى يلقاه كل من يصد ويقف أما دعوة الله.

على هذه الوتيرة استمر الحوار بين مؤمن آل فرعون وقوم فرعون، وقد بلغ قمة الآثارة عندما قال لهم المؤمن مخوفا لهم ومرغبا لهم فى نفس الوقت فى الالتفاف حول موسى لأن فى ذلك البعد عن عذاب الله يوم القيامة يوم ينادى على الخلائق أن هبوا إلى القول الفصل والحكم العدل الذى لانقض فيه ولا ابرام قال تعالى: (وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد).

وبعدما حكى الله تعالى عن فرعون هذه القصة قال بعدها: (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) وقد قرأ بعضهم «صد» بضم الصاد والبعض الآخر قرأها» بفتحها، مما يدل على أنه منع الناس عن الايمان، ثم قال تعالى: «وما كيد فرعون إلا فى تبابٍ «والتباب هو الهلاك والخسران».

ثم يدرك الرجل أن قومه ضلوا عن سبيل الله وعن الحق الذى يدعون اليه فنادى قائلا لهم: قال تعالى: (يا قوم ما لى أدعوكم الى

النجاة وتدعوننى الى النار) إذن هى دعوة تقابلها دعوة، بمعنى أنه يدعوهم إلى الإيمان الذى يوجب النجاة وهم يدعونه إلى الكفر الذى هو حتما يوجب النار.

قال تعالى: (لا جرم إنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا والآخرة) والمراد أن الأوثان التى تدعوننى لعبادتها ليس لها دعوة فى الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: (وإن مردنا الى الله وإن المسرفين هم أصحاب النار) فبين أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر ولافائدة لها، ومع ذلك فإن عودتنا ومرجعنا جميعًا الى الله ليفصل بيننا بالحق ويذهب المسرفين الكدابين الى نار جهنم وبئس المصير.

ثم قال تعالى: (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد).

فعندما خوفوه بالقتل لا لشيء الا أنه قال ربى الله ودعاهم الى توحيد الله وخير دنياهم وأخراهم، فلما خوفوه بالقتل هددهم هو أيضا وخوفهم بقوله فستذكرون ما أقول لكم وهو عليم بأحوالهم وبمقادير حاجاتهم، وهنا آخر كلام مؤمن آل فرعون.

وكان بعد ذلك التدخل الحاسم من أحكم الحاكمين فقال سبحانه: (فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب).

لما بين الله سبحانه وتعالى أن ذلك الرجل لم يقصر فى تقدير الدين الحق وفى الذب عنه، فالله تعالى رد عنه كيد الكافرين وقصد القاصدين.

المضامين التربوية:

حفلت قصة مؤمن آل فرعون بالعديد من القيم التربوية والتى نشير الى بعضها فيما يلى:

١ ـ حرص الفرد على صالح الجماعة التى ينتمى إليها : توضح هذه القصة مدى حرص مؤمن آل فرعون على ما فيه صالح قومه وخوفه الشديد عليهم من أن يتماودا فى تكذيبهم لموسى عليه السلام ومحاربتهم لدعوته ومساندتم لفرعون وتصديقه اياه فيما يدعيه من ألوهية، ويتضح ذلك الحرص فى أكثر من موطن فنجده فى قوله الله تعالى: (يا قوم إن أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) وأيضا فى قوله تعالى: (ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد).

اذن لابد من حرص الشخص على صالح جماعته التى ينتمى اليها لأن فى هذا الحرص دليل الانتماء الصادق فعل كل فرد أن يحاول جاهدا تصحيح مسار جماعته لما فيه خيرها وخيره.

٢ ـ الاعتبار بما يحدث للآخرين: فيضع من هذه القصة استعانة مؤمن آل فرعون بما حدث للأمم السابقة ونتيجة لتكذيبهم الرسل وتماديهم فى الكفر فذكرهم بماحدث لقوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود.

ومن هذا نأخذ ضرورة اعتبار الأفراد للأمم الأخرى أو الأفراد الاخرين فلا نكرر نفس الأخطاء التى أدت إلى هلاك الآخرين والحاق الضرر بهم وهذا يتطلب ضرورة دراسة التاريخ دراسة واعية حيث نستقى منه العبر ونحتاط لأنفسنا حتى لانقع فى محظور وقع فيه غيرنا.

٣ ـ الشورى فى الرأى ونبذ الاستبداد به: حيث توضح هذه القصة محاولة فرعون فرض رأيه فى قتل موسى ويظهر هذا فى قوله تعالى

(قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد).

ويظهر هنا ضرورة أن يكون الأمر شورى بين أفراد الجماعة الواحدة وألا ينفرد شخص معين باتخاد قرارات تخص جماعة معينة دون التشاور معها ولايحكم فرد ما بأن ما يراه هو الصواب دائما ولكن لابد من الإيمان بأن (رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى الآخرين خطأ يحتمل الصواب).

٤ ـ ضرورة الاستناد الى العلم فى المحاورة والنقاش: فلقد أوضحت الآيات فى هذه القصة أن الذين يجادلون فى آيات الله بغير حجة ولا علم يصيبهم مقت الله وخزيه، ونأخذ من هذا لضرورة الاستناد إلى العلم والحقائق العلمية فى الحوار والمناقشة والا يفتى الفرد بغير علم حتى يكون أكثر قدرة على اقناع الآخرين.

٥ـ عدم الاعتماد على الحواس وحدها فى اكتساب المعارف: قال تعالى: (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع إلى اله موسى).

فيتضح من خلال هذه القصة أن فرعون عندما أراد أن يتأكد من قول موسى عليه السلام بوجود اله اعتقد أن هذا الاله يوجد فى السماء فأراد أن يتأكد بحاسة البصر من أن هذا الاله موجود.

ونأخذ من هذا الاقتصار على الحواس وحدها فى اكتساب المعرفة وأقسم أن يسير إلى مكة ليهدم البيت الذى يحج العرب اليه، وجهز لذلك جيشا من أهل الحبشة، وسار هو على رأسهم راكبًا فيلا ضخما، هكذا استقر لديه الرأى، وصح من العزم على هدم الكعبة.

وأصبح الصباح على جنود الجيش وهم يعدون أنفسهم دخول مكة، ومحاربة أهلها اذا اضطرهم الأمر الى ذلك.

وبينما هذه الحركة قائمة فى الجيش على قدم وساق، وكل جندى من الجنود يعد سلاحه أويلبس درعه أو يجهز نباله، أقبل نفيل بن حبيب الذى أسره أبرهة ثم اتخذه دليلاً له، فتقدم من الفيل الضخم الذى جىء به من الحبشة ليركبه أبرهة، ووقف بجانبه يخاطبه، وأسر له فى أذنه بقوله:

ابرك أو ارجع راشدا من حيث جئت، فانك فى بلد الله الحرام،وترك نفيل الفيل، ثم ولى صاعدا فوق أحد الجبال، فاختفى بين صخورها وشعابها، وأتى «أنيس» بسائس الفيل بعد الفيل ليركبه أبرهة، ولكنه وقف أمام الفيل مبهوتا مندهشا! لقد برك الفيل ولم ينهض فأسرع أنيس ليخبر أبرهة بذلك فأمر رجاله أن ينهضوا الفيل، وقد تطير من ذلك، وتشاؤم تشاؤما شديدا، فأتوا بالعصى الغليظة يضربونه وبالحراب ينخسونه، ولكن دون جدوى، وأسقط فى أيديهم.

وكان أبرهة قد طلب أشرف رجل فى قريش ليتحدث معه، فقالوا له: انه عبدالمطلب بن هاشم، فلما رآه أبرهة أجله، وكان عبدالمطلب رجلا جسيما، حسن المنظر، ونزل أبرهة من سريره وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال عبدالمطلب للترجمان: ان حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى، فقال أبرهة لترجمانه: قل له:لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لاتكلمنى فيه؟ فقال له عبدالمطلب: إنى أنا رب الابل، وإن للبيت ربا سيمنعه، فرد إليه أبرهة إبله وأظهر له سخريته بما

قال، وأكد له عزمه على هدم البيت، ويقال: إنه ذهب مع عبدالمطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامه على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبدالمطلب ابله ورجع عبدالمطلب الى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن فى رؤوس الجبال تخوفا عليهم من جيش أبرهة، ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهُمَّ إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم الك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك

ثم خرجوا الى رؤوس الجبال، وذكر مقاتل أنه عند البيت تركوا مائة بدنة لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغيرحق فينتقم الله منهم، فلما أصبح أبرهه تهيأ لدخول مكة وهيأ جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة برك الفيل وخرج «نفيل بن حبيب» يشتد حتى صعد الى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوه فى رأسه وأدخلوا محاجن لهم من مراقه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول، ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى الكعبة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل أمثال الخطاطيف كل طائر يحمل ثلاثة أحجار: حجر فى منقاره وحجران فى رجليه مثل الحمص أو العدسة فلم يصب منهم أحدا الا هلك، ونفيل بن حبيب ينشد:

أين المفر والاله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وأخذ جسد أبرهة يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون حتى هلك ببلاد خثعم.

وأنزل الله سبحانه وتعالى فى هذه القصة قرانا يتلي إلى قيام الساعة. قال تعالى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) صدق الله العظيم «سورة الفيل».

إنه حادث مستفيض الشهرة فى حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التى اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون ملتقى النور الاخير ومحضن العقيدة الجديدة والنقطة التى تبدأ منها الدعوة زحفها المقدس لمحاربة الجاهلية فى ارجاء الأرض.

المضامين التربوية فى قصة أصحاب الفيل:

حفلت قصة أصحاب الفيل بالعديد من المضامين والدروس التربوية نذكرها فيما يلى:

١ ـ أنه لاتوجد فى الكون قوة الا وهى خاضعة لقوة الله فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم الكعبة أرسل الله عليه من ضعاف الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى أو الحصبة فأهلكته، وأهلكت قومه معه قبل أن يهدم الكعبة.

إذن لا صوت يعلو على صوت الحق، ولاقوة فوق قوة العزيز القادر القهار الجبار، فمصير كل طاغية يحاول أن ينازع الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته، دائما الى الهلاك، وكتب السيرة تروى لنا الكثير من قصص الطغاة الذين ردهم الله سبحانه وتعالى خائبين مهزومين».

٢ ـ تلك هى نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على قريش رغم وثنيتهم ولكن حفظا لبيته فأرسل سبحانه من يحميه بقوة دينه متمثلة فى الرسول عليه الصلاة والسلام الذى كان يوم ميلاده بمثابة بشارة للكون كله بانهزام الباطل وانتصار الحق فى كل مكان وايذانا من الخالق جل وعلا للحق أن يعم جميع الكون.

٣ ـ أن الله سبحانه وتعالى يجيب المضطر اذا دعاه: لقد أوكل عبدالمطلب حماية البيت لله سبحانه وتعالى واعترف أنه ضعيف لا يستطيع أن يدافع عن البيت، وأخذ بحلقة باب الكعبة داعيا الله سبحانه وتعالى أن يحمى بيته ويمنعه لأنه قادر على كل شىء.

اذن.. يجب على المؤمن أن يلجأ الى الله سبحانه وتعالى عند الشدة، فلا ناصر الا الله، ولا معين الا الله، ولا قادر على أن يكشف الضر غير الله، واستجاب الله سبحانه وتعالى لهم، وأهلك جيش أبرهة ولم تهدم الكعبة.

٤ ـ حاجة المسلمين الى حكمة الشيوخ وأصحاب الخبرة: يظهر هذا الدرس عندما أمر عبدالمطلب قومه بأن يتحصنوا فى الجبال حتى لايتعرضوا للايذاء من جنود أبرهة.. فالرأى المتسرع والأهوج لا يأتى بشىء ولكن الخير كل الخير فى التفكير الهادىء الرزين الذى يدفع دائما الى النجاة، ولاسيما اذا كان هذا الرأى نابعا من الكبير المجرب ذى الخبرة.

٥ ـ أراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ تلك البقعة وهى مكة المكرمة والكعبة الشريفة من دنس المشركين حتى تكون هى نقطة انطلاق الدعوة فى أرجاء الدنيا وحتى نكون دائما فى حرية لأنه سوف يكون

اليها قصد جميع المسلمين من جميع أنحاء العالم للحج والتكبير والتهليل الى قيام الساعة.

٦ ـ الصبر عند الشدائد: يجب على الانسان الصبر والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى عند الشدائد ولايجزع حتى يكشف الله سبحانه وتعالى عنه الضر، ولايضجر الانسان بتفشى الظلم والطغيان فان الضجر يسبقه دائما ظلام حالك السواد.

٧ ـ لا قيمة للقوة المادية أمام قدرة الخالق عز وجل: تروى لنا كتب السيرة أن المسلمين دائما ينتصرون بقوة العقيدة وبطهارة القلوب وبتوكلهم على الله واعتمادهم عليه لا ينتصرون بالقوة المادية وحدها، ولكن لايخفى علينا أن القوة المادية معتبرة فى شريعتنا فيجب الإعداد وبذل الطاقة جميعها ثم الاعتماد على الله لأنه لانصر لمتواكل ومتنطع.

٨ ـ الاتعاظ بالتاريخ: وهذا درس تربوى عظيم مثل قوله تعالى: فى مطلع هذه السورة «ألم تر كيف فعل ربك..» والرؤية هنا ليست بصرية بل هى رؤية علمية بمعنى ألم تعلم، ألم تسمع؟ فالسؤال وطلب العلم وتتبع أخبار الأمم السابقة فيه دائما قيمة تعليمية وتربوية جليلة.

٩ ـ القوة مهما كانت عظمتها خاضعة لنظام الله فى الكون: فالفيل لم يكن للعرب عهد به من قبل، لأن بلادهم الصحراوية ليس فيها أفيال، وقد جاء به أبرهة من الحبشة معتقدا أنه ـ بحكم قوة جسمه وكبر حجمه ـ قادر على بث الرعب فى نفوس العرب وتحطيم بيتهم المقدس، ولكن قدرة الله تعالى عطلت قوة الفيل ودمرت آمال أبرهة

وجيشه فى الاستعانة بهذا الحيوان الأعجم الذى لايملك من أمر نفسه شيئا، وهذا يمكن أن يقال فى أعظم الأسلحة الفتاكة فى هذا العصر من نووية وبيولوجية وكيميائية، فكلها ـ فى النهاية ـ خاضعة لإرادة الله إن شاء جعلها فعالة، وإن شاء جعلها مجرد هشيم تذروه الرياح.

الفهرس